

دكتور عبد المعبود مصطفى سالم

كلية أصول الدين والدعوة
جامعة الأزهر

موقف مفكرى المسلمين من المشرقين

الطبعة الأولى

١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م

مطبعة الأمانة
٣ شارع جديدة بلدان شبرا- مصر

مكتبة المهتدين الإسلامية





بسم الله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده سيدنا ومولانا
محمد وعلى آله وصحبه وأتباعه ومن اهتدى بهديه وسلم تسليهما كثيرا

وبعد

فإن الصراع بين الحق والباطل سنة الله في خلقه وهو قائم منذ
خلق الله آدم حتى تقوم الساعة والحق لا ينصره إلا من يعرف الحق
ويقويه ويعمل به ويدعو إليه ويعرف الشر ويتعد عنه ويتجنبه ويحذر
منه والحق أن المسلمين في العصر الحديث والمعاصر بل ومن قبل
تكالبت عليهم الأمم والشعوب من كل حذب وصوب وغزاهم أعداؤهم
بالسلاح تارة وبالفكر والتخطيط والتدبير تارة أخرى وما حدث هذا إلا
لأنهم تساهلوا في دينهم وضعفت همهم نحوه فتركوا نصرته من هنا
كان العداء مستحكما وزاد الطين بلة أن المستشرقين عندما عجزوا عن
محاربة ديننا استعانوا بأبناء جلدتنا ومواطنينا يحاربون الإسلام عن
طريقهم أي أن الإسلام يحارب من داخل الإسلام وبيد أناس ليسون
مسوح الإسلام ويعلقون اسم الإسلام على أجسادهم وما ذلك
إلا نفاقا ووصوئية إلى كراسي الحكم الزائلة الفانية (اشتروا بآيات
الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله أنهم ساء ما كانوا يعملون) (١) •

وأوضحت ظاهرة العداء للدين واضحة تكشف عن وجهها السافر بكل وضوح ودون تحرج أو خجل من دين أو ضمير أو مجتمع وما جرى ويجرى من أحداث على يد أناس مسمين خير شاهد على ذلك من كتابات طبعت في كتب وتداولت وأبحاث نشرت ومقالات بالصحف والمجلات وغيرها وخير دليل على ما نذكر على سبيل المثال كتابات طه حسين ورفاعة الطهطاوي ، وعلى عبد الرزاق وغيرهم ممن سرك نظرح على الأسماع فكرهم وآراءهم أنهم بذلك يستهدفون دين الله الحنيف وكتابه الكريم وسنة نبيه المشرقة - ﷺ - وكثرت الدعاوى التي عمدت إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ تشبيهها بأفعال الغرب من المستشرقين الحاقدين من الذين عمدوا دائما منذ زمن بعيد إلى الطعن في حقيقة الاسلام وصدق النبوة والغمز واللمز في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ (وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى لا جرم أن لهم النار وأنهم مفرطون) (٢) لكن الله قيد لهذا الدين من فضح خططهم وكشف زيعهم وأبان عن هدفهم ومقصدهم انسيء وهذا الكتاب الذي بين يدي القاري الآن فيه القاء للضوء على هذه الظاهرة ظاهرة التشبه بالغرب من بعض المسلمين ومحاولة السير في ركابهم وندأؤهم بالتمسك بكل ما هو غربي حتى ولو كان على حساب الدين أو حرب الدين فقد رأيت من واجبي كمسلم داعية الله تعالى أن ألقى الضوء على هذه الظاهرة مستهدفا بيان الحق والصواب والحق أحق أن يتبع وقد تناولت (هذه الظاهرة) - موضوع بحثي - مباشرة دون أن أقف كثيرا أمام المقدمات الطويلة اكتفاء بما قد يكون كتب في غير هذا الكتاب هذا من

المهتدين

فأخية ومن الناحية الثانية أردت أن أكتب الحقائق وأيسر على القارىء حتى لا أطيل عليه مكتفياً بأن أحيله الى المراجع التى تناولت الموضوع بإسهاب والله من وراء القصد وهو نعم المولى ونعم النصير ومنه العون وعليه التكلان وقد تناوأت فى بحثى هذا بيان أن هناك اناساً يتجلججون بجنباب الاسلام وباسم البحث العلمى على أن أفكارهم فى الحقيقة كانت تحمل بين طياتها معول الهدم لهذا الدين الحنيف وللعقيدة المسماة بالكتاب الجيد ولللسنة الشريفة المطهرة والأسلوب الحياة الاسلامية المكتسبة من كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ .

من هنا نستطيع أن نقول ان الاستشراق فى معظم الأحيان كان عبارة عن حركة هدامة انه حركة أكاديمية سعت فى غالب الاحيان الى احتواء أبناء المسلمين الدارسين فى الغرب لتشويه أفكارهم وعقيدتهم — كما سنرى ذلك بالمثل — وبالإضافة الى ذلك فان المستشرقين يصنعون أكثر من ذلك فيما يستفيد منه رجال الاقتصاد وعلم النفس والعلوم الاجتماعية فى توجيه أفكار الدارسين من أبناء المسلمين نحو سياسة غربية تبعد تماماً عن الدين بأوامره وتعاليمه وما صنعه ماركس وفرويد ودوركايم ليس عنا ببعيد وما نسمعه ونقرؤه فى وسائل الاعلام من أفكار وآراء لا تمت بصلة الى عقيدتنا السمحاء وغير ذلك مما نادى به المتمسكون ولا أقول المسلمون لأنهم ساروا خلف الغرب وناخوا بالتعريب والعلمانية انها الحركة الكثنية استهدفت الاسلام وأهله للقضاء عليه انها الحركة الفكرية تمثلت فى الترجمة والتأليف والتحريف والتشويه والدس والتروير والاتهامات الباطلة للإسلام والمسلمين وغسل فمخ الدارسين من أبناء المسلمين ثم امتدت بعد ذلك حيث تمثلت فى حروب عسكرية مع الحرب الفكرية انتهت كلها بالفشل كما هو الحال

وأوضحت ظاهرة العداء للدين واضحة تكشف عن وجهها السافر بكل وضوح ودون تحرج أو خجل من دين أو ضمير أو مجتمع وما جرى ويجرى من أحداث على يد أناس مسمين خير شاهد على ذلك من كتابات طبعت في كتب وتداولت وأبحاث نشرت ومقالات بالصحف والمجلات وغيرها وخير دليل على ما نذكر على سبيل المثال كتابات طه حسين ورفاعة الطهطاوى ، وعلى عبد الرزاق وغيرهم ممن سرك نظرح على الأسماع فكرهم وآراءهم انهم بذلك يستهدفون دين الله الحنيف وكتابه الكريم وسنة نبيه المشرقة - ﷺ - وكثرت الدعاوى التي صمدت الى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ تشبيها بأفعال الغرب من المستشرقين الحاقدين من الذين عمدوا دائما منذ زمن بعيد الى الطعن في حقيقة الاسلام وصدق النبوة والغمز واللمز في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ (وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى لا جرم أن لهم النار وأنهم مفرطون) (٢) لكن الله قيد لهذا الدين من فضح خططهم وكشف زيفهم وأبان عن هدفهم ومقصدهم انسى وهذا الكتاب الذى بين يدي القارىء الآن فيه القاء للضوء على هذه الظاهرة ظاهرة التشبه بالغرب من بعض المسلمين ومحاولة السير فى ركابهم وندأؤهم بالتمسك بكل ما هو غريب حتى ولو كان على حساب الدين أو حرب الدين فقد رأيت من واجبي كمسلم داعية لله تعالى أن ألقى الضوء على هذه الظاهرة مستهدفا بيان الحق والصواب والحق أحق أن يتبع وقد تناولت (هذه الظاهرة) - موضوع بحثى - مباشرة دون أن أقف كثيرا أمام المقدمات الطويلة اكتفاء بما قد يكون كتب فى غير هذا الكتاب هذا من

فأخية ومن الناحية الثانية أردت أن أكف الحقائق وأيسر على القارىء حتى لا أطيل عليه مكتفياً بأن أحيله الى المراجع التى تناولت الموضوع بأسهاب والله من وراء القصد وهو نعم المولى ونعم النصير ومنه العون وعليه التكلان وقد تناولت فى بحثى هذا بيان أن هناك اناساً يتجلججون بجنتاب الاسلام وباسم البحث العلمى على أن أفكارهم فى الحقيقة كانت تحمل بين طياتها معول الهدم لهذا الدين الحنيف وللعقيدة السمحاء وللكتاب الجيد ولللسنة الشريفة المطهرة وللأسلوب الحياة الاسلامىة المكتسبة من كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ •

من هنا نستطيع أن نقول ان الاستشراق فى معظم الأحيان كان عبارة عن حركة هدامة انه حركة أكاديمية سعت فى غالب الأحيان الى احتواء أبناء المسلمين الدارسين فى الغرب لتشويه أفكارهم وعقيدتهم — كما سنرى ذلك بالمثل — وبالإضافة الى ذلك فان المستشرقين يصنعون أكثر من ذلك فيما يستفيد منه رجال الاقتصاد وعلم النفس والعلوم الاجتماعية فى توجيه أفكار الدارسين من أبناء المسلمين نحو سياسة غربية تبعد تماماً عن الدين بأوامره وتعاليمه وما صنعه ماركس وفرويد ودوركايم ليس عنا ببعيد وما نسمعه ونقرؤه فى وسائل الاعلام من أفكار وآراء لا تمت بصلة الى عقيدتنا السمحاء وغير ذلك مما نادى به المتمسكون ولا أقول المسلمين لأنهم ساروا خلف الغرب وناذروا بالتغريب والعلمانية انها الحركة الكنىسية استهدفت الاسلام وأهله للقضاء عليه انها الحركة الفكرية تمثلت فى الترجمة والتأليف والتحريف والتشويه والدس والتروير والاتهامات الباطلة للاسلام والمسلمين وغسلت مخ الدارسين من أبناء المسلمين ثم امتدت بعد ذلك حيث تمثلت فى حروب عسكرية مع الحرب الفكرية انتهت كلها بالفشل كما هو الحال

مع الحروب الصليبية واستعمار لبلاد المسلمين بقصد صبغ المسلمين بصبغة غربية خالصة وترك كتاب الله واصطناع قوانين وضعية من شأنها ابعاد الأمة عن دينها وتشتيت شملها وتمزيق وحدتها المتمثلة في التمسك بعري الاسلام ونشر الانظمة المتعددة تسمت بأسماء كثيرة مثل الرأسمالية والشيوعية والبرجماتية الى غير ذلك من أسماء اختلف اسمها واتحد هدفها لذا أنبه أبناء جلدى الى هذا الخطر المحدق بنا فعلينا •

(أ) تنقية حياتنا الاسلامية مما علق بها من أفكار مسمومة خلفها الغرب الحاقد وبثها في نفوس بعض أبناء المسلمين ممن افتننوا بالثقافة الغربية وحضارة الغرب عموما كما تتلمذوا على يد المستشرقين اتحاقدين فعلينا أن نعيد النظر في الرواسب التي خلفها الاستعمار متمثلا في التبشير والاستشراق والآراء الهدامة في المدارس والجامعات ومناهج التعليم والثقافة والحضارة على اعتبار أننا أمة مسلمة لها مقوماتها العريقة النابعة من صميم دينها انها أمة لها كيائها المستقل بل والتميز بحيث يخصها هي وحدها •

(ب) النظر الى مراكز القيادات خاصة في التوجيه والتعليم والثقافة والاعلام والتخطيط فنستبعد المشبوهين والعملاء بهذا نحفظ للنشء والأجيال من سموم هؤلاء المستعربين والعلمانيين •

(ج) أيضا مراقبة وسائل الاعلام وما المانع أن تخضع لاشراف ديني واع يعمل لله ولرسوله خاصة وأننا دولة مسلمة دينها الاسلام وقيادتها مسلمة بهذا ننشئ جيلا صالحا عارفا بربه مزودا ب زاد الاسلام المحمدي بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ •

(د) تشجيع العلم والعلماء المتخصصين ليقفوا دائما بالمرصاد
 أمام أى حركة تستهدف كتاب الله وسنة نبيه ﷺ بهذا نصون بيضنة
 العقيدة من العابثين والناقمين على هذا الدين الحنيف فيكونون
 كالصقور يلتقطون الشاردة والواردة ضد كتاب الله والسنة المطهرة .
 والله من راء القصد فهو نعم المولى ونعم النصير .

المؤلف

دكتور / عبد المعبود مصطفى سالم

الفصل الأول

الروح التي سيطرت على الفكر الغربي خلال العصور الوسطى

المبحث الأول

موقف الغرب من الاسلام فى القرون الوسطى

تمتد العصور الوسطى الى فترة زمنية طويلة قدرت بحوالى عشرة قرون تبدأ من القرن الخامس وتنتهى بالقرن الخامس عشر أو السادس عشر من ميلاد المسيح عليه السلام (١) وهى الفترة التى كانت تعيشها أوروبا فى عصر الظلام الحالك فى الجهل والظلم ، ظلم رجال الكنيسة والحكم الكنسى والجهل الذى فرضه رجال الدين الكنسى على شعوب أوروبا قاطبة فى وقت كان يعيش فيه المسلمون أزهى عصور العلم والحضارة والعدل شهدت هذه الحقبة الزمنية من عمر الدنيا تفوقاً إسلامياً عظيماً تفوقاً على بلاد أوروبا فى جيوشه ومعداته وأفكاره وآرائه ونهايك بمعتقداته الإسلامية الرائدة ، وقد امتدت الفتوحات الإسلامية الى أطراف مترامية شملت تلك الفتوحات الإسلامية بلاداً كثيرة ومناطق شاسعة ذات أهمية فكرية وحيوية غزاها الاسلام بفكرة المضى وحضارته العظيمة وبعده له ومحبته فى وقت كانت فيه أوروبا

(١) راجع أبو زيد شلبى تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامى

ص ٢٧٢ سنة ١٢٨٣ هـ طبعة ثالثة مكتبة وهبة .

.. كما ذكرت سابقا — لا تزال تعيش فى ظلام العصور الوسطى القاسية فى وقت بسط الاسلام نفوذه على معظم بقاع العالم المتخضر القديم حيث قوض عروش القياصرة والاكاسرة وحطم امبراطورية الفرس والروم وأغاد أبنائوه من ثقافة الفرس والصين والهند وغيرها (٢) هذه نبذة تاريخية عن هذه الحقبة الزمنية وحتى يمكننا أن نشهد الخلفية الفكرية التاريخية التى عاشتها أوروبا ونشأ فيها الاستشراق وترعرع فى الغرب المسيحى الحاقده على الاسلام فانه لابد منلقاء نظرة ولو سريعة على موقف أوروبا من الاسلام فى تلك الفترة الزمنية (العصور الوسطى) وما بعدها .

أقبل وبالله التوفيق ومنه العون والسداد لقد كان موقف الغرب المسيحى (فى تلك الفترة) من الاسلام موقفا ينطوى على بعض الاعجاب الممتزج بالشعور بالهيئة أمام قوة الاسلام الكاسحة وحضارته المضيئة فظل الخوف مع الشعور بالهيبة والاجلال هو العنصر الأساسى الذى سيطر على هذا الموقف طوال تلك القرون العديدة بحيث دفعهم الى الحذر من الاسلام لكونه يمثل خطرا كبيرا يهز عقيدتهم ويقضى على حضارتهم ويكتسح بلادهم بجيوشه الجرارة ويستولى عليها ويفرض سلطانه وأفكاره فيها تماما كما صنع فى حضارة الفرس والروم فمئذ القرن الأول من هجرة رافع لواء العز والكرامة ﷺ (السابع المئادى) وقوة الاسلام — السياسية والحربية والثقافية والروحية — فى نمو مضطرد وانتشار مستمر وخلال القرون الثلاثة الاولى اتسعت رقعة الاسلام بحيث شملت مناطق شاسعة ذات أهمية حيوية كانت

(٢) نفس المرجع السابق .

تابعة للإمبراطوريتين الرومانية التي تدين بالنصرانية والفارسية على سبيل المثال مصر والشام والمغرب وإسبانيا (البرتغال) وصقلية وامتدت حتى وصلت جبال البرانس في فرنسا وامتد هذا الزحف الإسلامي المبارك حتى وصل إلى شبه القارة الهندية وأندونيسيا والصين في آسيا أضف إلى ذلك نفوذه في أفريقيا وليكن الحسبان أن هذه الفتوحات العظيمة لم تكن فتوحات عسكرية حربية بل كانت في أغلب الأحيان فتوحات حضارية وعقائدية ثم إن هذا الهدف الديني كان هو الأساس مما ترتب عليه أن دخل كثير من أهل تلك البلاد بما فيهم المسيحيون في دين الله (الإسلام) أفواجا وهذا ما هدد أوروبا بالفعل وجعلها تعيش في حياة كلها خوف ورعب حيث فقدت المسيحية كثيرا من أتباعها الذين فضلوا الإسلام (فدخلوه طوعية واقتناعا) على المسيحية واتضحت هذه الظاهرة في البلاد التي كانت تابعة للإمبراطورية الرومانية المسيحية (٣) .

على أية حال نستطيع أن نقول وببطل فخر واعتزاز :

شهدت أوروبا هذا المد الإسلامي الواسع والنهضة الحضارية العظيمة على دين كانت تمر - كما ذكرنا - فترة التخلف والجهل وصفها المؤرخ « جييون » بأنها تعتبر أحلك الفترات في تاريخ أوروبا قاطبة ، بعد ذلك استيقظ الغرب المسيحي من سبات طال عليه الامد وليمته صحا على خير للأسف لقد صحا الحقد الدفين على الإسلام وتمثل ذلك في شن الحروب ضد المسلمين والتي سميت في التاريخ

(٣) انظر المرجع السابق وانظر كذلك دكتور أحمد غراب رؤية

اسلامية للاستشراق ص ٢٤ سنة ١٤١١ هـ ط ثانية .

باسم الحروب الصليبية والتي استمرت حوالي قرنين من الزمن من ١٠٩٦ : ١٢٢٩ م تقريباً سفكت خلالها دماء بريئة كما مثل بجث القتلى وارتكبت أعمال وحشية همجية أنبأت عن مدى الحقْد للإسلام وللمسلمين ولا ذنب في ذلك سوى أن الإسلام حكم بالعدل وراعى الحريات العقديّة والفكرية والشخصية وغيرها (٤) وهى الأعمال التي سرّدت بها صحائف التاريخ والتي يندى لها الجبين اذ لم يسبق لها مثيل ، على أية حال فإن هذه الحروب قد انتهت بالفشل اذ ريع وطُورت ابلاد من رجسهم (٥) على يد صلاح الدين الايوبى برحمة الله تعالى حيث واصل الإسلام زحفه المجيد ففى موجه التوسع الإسلامى الثانية فتح المسلمون القسطنطينية سنة ١٤٥٣م ووصوا خلال القرن الخامس عشر الميلادى الى مشارف أوروبا وحاصروا فيينا سنة ١٥٢٩م (٦) وفى القرن التاسع عشر كان الإسلام ممثلاً فى دولة العثمانيين يعتبر انقوة التي تتحدى الغرب المسيحى فى ذلك الوقت اذ كان الهجوم الإسلامى كما يقول المستشرق « ولفرد كانتول » موجهاً الى عالم الواقع كما هو موجه الى علم النظريات اذ أن العقيدة الإسلامية حازت المبدأ الأساسى الرئيسى للعقيدة المسيحية « مبدأ التثليث » وبما أن الإسلام امتاز بالعقيدة السهلة المبسطة التي يفهمها

-
- (٤) انظر تفصيلاً لهذه الحريات فى الإسلام مبادئ نظام الحكم فى الإسلام للدكتور عبد الحميد متول ص ٧٠٤ ، وما بعدها واطر كذلك نظام الحكم فى الإسلام للدكتور محمد فاروق النبهان ص ١٤١ وما بعدها (٥) راجع دكتور محمد البهى الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى ص ٥٢٧ (٦) انظر رؤية اسلامية للاستشراق ص ٢٤

العوام فضلا عن المتعلمين فان الاسلام آخذ ينتشر ويقوّة مما جعل الاسلام بالفعل قوّة تهدد الكيان المسيحى اذ انتزع من بين المسيحيين اناسا دخلوا فى الدين الجديد وآمنوا به لا عن جبر بل عن اقتناع (٧) •

واذا كان الغرب قد فشل فى الحروب الصليبية الاولى فانهم بدؤا يفكرون فى الانتقام مرة أخرى من المسلمين القاتحين المنتصرين وذلك بطرق أخرى منها دراسة الاسلام ومحاولة التشكيك فيه بتقده والصاق التهم به كما نشأت فكرة الاستيلاء بالقوة على البلاد الاسلامية وانهاك اخلافة الاسلامية وقد تسنى لهم ذلك بالفعل حين ضعفت الخلافة وبعد المسلمون عن الاسلام مصدر عزهم وشرفهم وبدأ الغرب فى الاستيلاء على بلاد المسلمين فى العصر الحديث وبدأت موجة التبشير فى بلادنا واتت مصلحة المبشرين وتوافقت مع أهداف الاستعمار وبذلك سهل المستعمر المهمة للمبشرين والمستشرقين اذ زودوهم بالمال بل بكل ما يحتاجون اليه (٨) •

(٧) قارن المرجع السابق والصفحة •

(٨) راجع دكتور محمد البهى الفكر الاسلامى الحديث ص ٥٢٧ •

البحث الثانى

صورة الاسلام فى القرون الوسطى

كما رسمها المستشرقون فى أوروبا

عرفنا فيما سبق أن الاسلام كون قوة حقيقية أرهبت الغرب بل كل شعوب العالم التى لا تدين بالاسلام وخاصة أهل الكتابين اليهود والنصارى وصدق الله تعالى فى قوله الحق « ومن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم » (٩) والحق أن هذه الخشية مع الرهبة -- والنسبة تحدثنا عنها فيما سبق -- قد ولدت بغضا أكثر وحقدًا بحيث حاربوه بشتى الوسائل كما ذكرت من قبل وحتى لا ينتشر أكثر خوفاً من أن يسقط نوره فى أرجاء المعمورة فيقضى على عقيدتهم ويدمر ملكهم وبذلك يصبحون بلا ملك أو جده أو نفوذ هكذا طغت عليهم الدنيا فعموا وصموا أذانهم عن سماع الحق والانصياع له وصدق الله تعالى (ألم تر الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون) (١٠) وهكذا تحققت نظرية المستشرق الألماني « بيكر » من أن هناك عداًء من جانب النصارى للمسلمين والاسلام وذلك ولأن الاسلام عندما توسعت رقعته وأخذ فى الانتشار أثناء العصور الوسطى بذلك أقام سداً منيعاً فى وجه انتشار

(٩) سورة البقرة آية رقم ١٢٠ .

(١٠) سورة آل عمران آية رقم ٢٣ .

الدين المسيحي فالاسلام امتد نفوذه حتى وصل الى البلاد التي كانت خاضعة لصولجان المسيحية (١١) •

تضافر الخوف من الاسلام مع الجهل به والحقده عليه في تكوين صورة مشوهة عنه في أوربا بيد المستشرقين الحياقيين وذلك اثناء القرون الوسطى بل استمرت هذه الصورة المشوهة عن الاسلام ونبيه لم تتغير حتى وقتنا الحاضر فهي لم تتغير الا قليلا على الرغم من أن بعض من اعتنى بدراسة الفكر الاسلامي منهم حاولوا ان يتحرروا من ترديد لعنات أجدادهم الحاقدين وانتقاداتهم المرة الكاذبة على الاسلام الا أنهم أخذوا يرددونها بطرق أخرى أو بمعنى آخر ألبسوها ثوبا جديدا يسير مع لغة العصر انه طريق اللف والدوران وهم يظنون أنهم بذلك ارتفعوا بكتاباتهم عن طريقة أجدادهم حتى يلبسوا ثوب البحث الحر النزيه تسترا فقط (١٢) •

هذه الصورة المشوهة والكاذبة عن الاسلام تعتبر بداية الاستشراق فقد قام بتكوينها المستشرقون المنصرون الأوائل من «او» و«ابطرق» مباشرة أو غير مباشرة في تشويه الحقيقة الناصعة لهذا الدين تشويها متعمدا ومقصودا ، يحدثنا المستشرق الحاقق «مونتجمري وات» عن أهم الأسباب التي دعت الى تكوين هذه الصورة الكاذبة ويجعلها في ١ - أن العقيدة الاسلامية تحتوى على انحراف عن العقيدة المسيحية وان الاسلام دين اشتهر بالعنف والشدة وأكبر دليل على ذلك أنه انتشر بحد السيف •

(١١) انظر الفكر الاسلامي الحديث ص ٥٢٥ •

(١٢) قارن دكتور قاسم السامراي الاستشراق بين الموضوعية

والانفعالية ص ٦٨ سنة ١٤٠٣ هـ ط أولى منشورات دار الرقاعي •

٢ - انه دين يدعو الى الشهوات والانغماس فى اللذات وبخاصة الشهوات الجنسية فهو دين بعيد عن الروحانية .

٣ - ثم ان نبى هذا الدين - سيدنا محمد ﷺ - ملك شخصية ضعيفة نفسيا وأخلاقيا فهو ضعيف أمام النساء وفى هذا اشارة الى ما سبق أن قرره من ابتداع فرية الشهوة والبعث عن الروحانية -- كذبا وافتراءا .

٤ - اتهمه بالكذب والزور فهو - أى سيدنا محمد ﷺ - كذاب اخترع القرآن من عند نفسه فهو مؤلف لدين زائف .

لكل هذه الاسباب مجتمعة يجب ان يحارب ﷺ هو ودينه لانه بهذا يعتبر أداة طيعة فى يد ابليس بل ان محمدا - ﷺ - هو نفسه الشيطان .

هكذا كان رجال الدين الكنسى فى أوروبا فى تلك الفترة الساحقة (انقرون الوسطى) يصفونه ويحرفون اسمه (عمدا) فيدعونه ماهوند Mahond يعنى الشيطان (١٣) .

على أية حال نستطيع أن نقول ان هذه الفترة الزمنية قد اعتمدت فى تشويه صورة الاسلام (فى نظر الأوربيين عامة) على أمرين : الأول - : افتقاد البحوث والتأليف فى هذه الفترة للموضوعية بل وكل مقومات الروح العلمية اللازمة لهذا الأمر الخطير .

(١٣) راجع فى ذلك فصلا كاملا فى كتابنا المستشرقون وأثرهم السئ على البيئة الاسلامية وهو بعنوان موقف المستشرقون من الرسول ﷺ

الثانى أن الرؤية الغربية للإسلام فى العصور الوسطى قد استمدت موادها الاولى من مصادر تاريخية بيزنطية وإسبانية لاتينية مع ما أضيف إليها من مدد الحقد والحسد الذى تولد خلال الحروب الصليبية (١٤) •

هذه المطاعن والافتراءات قد أخذت شكل اعتقادات ثابتة وحقائق مسلمة ظل الأوروبيون يتوارثونها خاصة رجال القرون الوسطى فقد كانوا من السذاجة فى التفكير والضحالة فى العقل بحيث يتقبلون كل ما يلقى عليهم فى هذه الفترة التى قد جاء كل شيء عن الإسلام فيها خائياً تماماً من كل ما يمكن وصفه بالموضوعية (١٥) •

ومن الجلى أنه كان وما يزال لنشر هذه الصورة المشوهة عن الإسلام أغراض دينية توجز فى الآتى :

الأول : الحيلولة دون انتشار هذا الدين بين شعوب أوروبا بعد أن سطع نوره فى كثير من شعوب الأرض وبين الناس هناك إذ اعتنقه الكثيرون •

ثانياً : وهو الجدير بالذكر محاولة تشكيك المسلمين فى عقيدتهم ومحاولة ردهم عن دينهم عن طريق التبشير أو التنصير وصدق الله تعالى : «ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً» (١٦) •

(١٤) راجع دكتور سيد رزق الحجر مدخل لدراسة الفكر الإسلامى

الحديث والمعاصر ص ٨٢ •

(١٥) نفس المرجع ص ٨٧ •

(١٦) سورة آل عمران آية رقم ١٠٩ •

لذا نستطيع أن نلتبس السبب الذي من أجله ارتبطت نشأة الاستشراق في الغرب المسيحي مع عملية التنصير والتبشير ببيان ذلك وتوضيح ذلك أن الاستشراق قد بدأ وجوده الفعلي في القرون الوسطى في أوروبا بعد قرار أصدره المجلس الكنسي في فيينا سنة ١٣١٢م بتأسيس كراسي جامعية عن طريقها يتم تدريس اللغة العربية لغة القرآن مع اللغات الشرقية الأخرى ، وقد صدر هذا القرار بناء على اقتراح قدمه المنصر العتيق « ريموند لوك » [١٢٣٥ - ١٣١٦ م] والذي كان يحث الأوروبيين على تعلم لغة القرآن فهي أفضل وسيلة لتنصير المسلمين (١٧) .

ثم ان قبول اقتراحه في المجلس الكنسي لأجبر دليل على نمو فكرة التنصير ومؤازرتها ومحاولة ظهورها في الوجود كشيء فعلي وبخاصة بعد اندحار الصليبيين وفشلهم في غزو انشرق المسلم لرده عن دين الاسلام أو اباداة الشعوب المسلمة لمحوه من الوجود عن هذا الطريق (١٨) .

ثالثا : العداوة والحقد على الاسلام والمسلمين ذلك الحقد اندفين منذ بعث ﷺ فهو يكمن تارة فاذا وجد الفرصة سانحة ظهر مرة أخرى الى الوجود في صورة تشويه لمنظر الاسلام ومحاولة محاربته بكل الوسائل الممكنة وهذا ما حاول أن يصنعه رجال الدين الكنسي في القرون الوسطى وما تلا ذلك من حروب سميت بالحروب الصليبية .

(١٧) راجع دكتور أحمد غراب ص ٢٦ .

(١٨) انظر فوق ما تقدم دكتور عدنان وزان الاستشراق والمستشرقون وجهة نظر ص ٥٢ وما بعدها .

رابعاً : الحيلولة دون انتشار الاسلام بين الأوربيين كما انتشر بين غيرهم - كما أشرت الى ذلك فيما سبق - فقد صنعوا من أجل ذلك كل الأفاعيل .

خامساً : وإذا كانوا قد عمدوا من وراء ذلك الى تشكيك المسلمين في عقيدتهم فانه مضاف الى ذلك محاولة تشكيكهم لا في العقيدة فقط بل وفي التراث المجيد الغنى بالمعلومات التي فيها صلاح حال البشرية جمعاء انها العقيدة والمثل العليا والأخلاق الفاضلة الموروثة عن الاسلام (١٩) .

هكذا استمر رجال الدين المسيحي في العصور الوسطى حتى عصرنا هذا انهم كانوا وما يزالون مستمرين في نشر أباطيئهم لا تهدأ لهم خاطرة يدبرون في اسماته من أجل القضاء على الاسلام مستقرغين المجيد والجد بل ومضحين بكثير من ملذاتهم يغادرون أوطانهم ويتركون أهلهم من أجل هذا الغرض [تنصير المسلمين أو ردتهم عن دينهم] فلم يجدوا فجا الا سلوكه ولا سببا الا أخذوا به من أجل تحقيق هذا الغرض الدنيء لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

ولذلك نرى أن ريموند لوك سابق الذكر وغيره من كبار رجال الدين المسيحي مثل البابا « جريجورى » العاشر كانوا يأملون بل ويحاولون أن يتحول القطار الى المسيحية عندئذ لو تم هذا فانهم يكونون عوناً للمسيحيين في اباداة المسلمين أو محو دينهم من الأرض وقد جاء أملة معبرا عنه في تلك الكلمات « اذا استطعنا أن نعيد المنشقين للسيطرة

(١٩) راجع دكتور محمود حمدي زقزوق الاستشراق والخلفية الفكرية

للصراع الحضارى .

الى حظيرتنا وأن نحول التتار الى المسيحية فان جميع المسلمين يمكن أن يقضى عليهم بسهولة ولكن أشد ما يثير الخوف هو أن يتحول التتار الى الاسلام اما باختيارهم أو باغراء المسلمين لهم وعندئذ سيكون العالم المسيحي كله فى خطر عظيم » •

وقد حدث ما توقعه هذا المستشرق الحاقد فقد تحول التتار بالفعل الى نور الاسلام الذى سطع فى قلوبهم ليسر معتقداته وبسطة أوامره بل وسهولة تطبيقه ولم يتحولوا الى المسيحية ذات المعتقدات المعقدة والطلاصم اللاهوتية التى لا يمكن أن تصمد أمام نقاش العقل (٢٠).

وبالرغم من هذه الهزائم المتوالية الا أن روح التنصير والعداء للاسلام ظل مستمرا يصنع عمله فى الخفاء تارة وفى العلن تارة أخرى تبعا للظروف والأحوال كما استمرت هذه الروح العدائية التنصيرية فى التأثير على الشعوب متمثلة فى الدراسات الاستشراقية وكيفية توجيهها الوجهة العدائية خوفا على المستشرقين من التأثير بدراسة الاسلام وهذا ما حدث بالفعل فقد اسلم الكثير منهم واعتنقوا الاسلام وتركوا النصرانية طوعية واقتناعا وتسمى بعضهم بأسماء الاسلام كمحمد أسد وغيره كثير وأكبر دليل على استمرارية الروح العدائية رغم الهزائم المتوالية انه فى سنة ١٦٣٦م أنشئ كرسى للدراسات العربية بجامعة كمبردج بهدف توسيع حدود الكنيسة وتنصير المسلمين الذين يعيشون فى الظلمات كما نص على ذلك قرار الانشاء (٢١).

ومن أوائل المستشرقين وأشهرهم الذين شغلوا هذا الكرسى

(٢٠) راجع دكتور أحمد غراب ص ٢٧ •

(٢١) قارن الفكر الاسلامى الحديث ص ٤٧٧ •

سيمون أوكلى صاحب كتاب تاريخ المسلمين والذي فيه هاجم الاسلام والمسلمين [١٧٠٨ - ١٧١٨ م] ومن وصايا هذا المستشرق أن يدرس القرآن الكريم لا على أنه كتاب هداية ورشد بل لتقنيده وإظهار معانيه كما ادعى ولم يكن أبدا متعاطفا مع الاسلام بل كان دائما يحاربه ويعلم أنه هرطقة لا تطاق (٢٢) •

وكان له في نفس المنصب زميل في جامعة كمبردج يسمى ونيام وينستون وهو خليفة اسحاق نيوطن لكن كان وينستون له موقف متعاطف مع الاسلام اذ تكشفت له حقائق الاسلام فاعترف بها لذا طرد من الجامعة عام ١٧٠٩م (٢٣) •

(٢٢) راجع كتابنا المستشرقون وأثرهم السئ على البيئة الاسلامية فصل بالكامل ذكرت فيه بعض المتعصبين من المستشرقين ومنهم سيمون أوكل -

(٢٣) راجع نفس الكتاب فقيه الكثير عن المستشرقين المنصفين •

« المبحث الثالث »

بداية الكتابات الاستشرافية فى هذه الفترة مع ذكر نماذج منها :

لقد نشط اللاهوتيون النصارى فى القرن الخامس عشر من الميلاد فى ذلك الوقت المبكر من حرب الاسلام اذ وراح بعضهم يهاجم الاسلام وينشر حوله الأباطيل والافتراءات والاكاذيب والاضاليل المصطنعة من ذلك قولهم عن الاسلام أنه قوة خبيثة شريرة وأن نبى الاسلام ليس الا صنما أو اله قبيلة أو شيطانا ، واتخذ الكتاب من الاساطير الشعبية والخرافات انبالية مادة يستقون منها معلوماتهم وصنائعهم ضد الاسلام وعليه فان الموضوعية مفقودة من بين هؤلاء فغذا الغرض أبعد ما يكون عن قصدهم وعن أذهان المؤلفين فى هذه انحقة الزهنية على أن هؤلاء الكاتبين لهم حكايات وقصص عن الاسلام مضحكة هى أشبه بالخيال وأبعد عن الحقيقة والصواب وكيف لا يكون هذا حالها ومصادرها الحكايات والاساطير والأوهام التى تحكى على السنة العوام فهناك من القصص ما يحكى عن العرب أنهم عباد أصنام ويروايات أخرى تحكى عنهم أنهم يعبدون آلهة ثلاثة « تيرفا جان ومحمد وأبوللو » .

وقد كان هذا الهذيان وعدم الاعتماد على المراجع الصحيحة اعترافا صريحا على لسان مؤلفيهم والمسؤولين عن الأدب منهم فما هو جوبير أحد أدبائهم [المتوفى عام ١٢٢٤م] يذكر أنه لا يعتمد فى كتاباته عن الاسلام على أية مصادر مكتوبة وأنه يستقى معلوماته من أفواه العامة من الناس وأنه لا يملك وسيلة يميز بها بين الحق والصواب ثم ذكر معللا كتاباته غير العامية عن الاسلام ونبيه ﷺ بقوله :

« لا جناح على المرء اذا ذكر بالسوء من يفوق خبثه كل سوء
يمكن أن يتصوره المرء » وهليليل آخر يشهد لنا نقوله في هذه القضية
فما هو ساذرن يطبق على هذه الفترة اسم عصر الجهالة وذلك في كتابه
« نظرة الغرب الى الاسلام في القرون الوسطى » ويصفه بأنه عصر
أبعد ما يكون عن روح العلم والموضوعية (٢٤) •

ويمصور لنا المستشرق النمساوى « محمد أسد » ما تتطوى عليه
نفوس هؤلاء من عقده على الاسلام والتعصب للضلال في قوله
« ان كره الأوربيين نحو الاسلام كره عميق الجذور يقوم في الاكثر
على التعصب الشديد ، هذا الكره ليس عقليا فحسب ولكنه يصطبغ
بصبغة عاطفية شديدة وقوية وعنيفة وقد لا تقبل أوروبا تعاليم الفلسفة
البوذية أو الهندوكية مثلا ولكنها تحتفظ دائما فيما يتعق بهذين
المذاهبين بموقف عقلى مترن ورصين وحكيم مبنى على التفكير وخلق
الاعذار لأصحاب هذه المذاهب الوثنية الا أنهم حين يتجهون الى
الاسلام يختل عندهم التوازن ويأخذهم الميل العاطفى حتى أن أبرز
المستشرقين جعلوا أنفسهم فريسة التحزب غير العلمى فى كتاباتهم عن
الاسلام ويظهر فى جميع بحوثهم على الاكثر كما لو أن الاسلام لا يمكن
أن يعالج على أنه موضوع فى البحث العلمى بل على أنه متهم
يقف أمام قضاته » (٢٥) •

ويقول « ان اعداء الاسلام فى الخارج يرون ان فى اتحاد

(٢٤) راجع دكتور محمود حملى زقزوق ص ٢٩ وما بعدها •

(٢٥) محمد محمد الدهان قوى الشر المتحالفة الاستشراق التبشير

للاستعمار ص ٥١ وما بعدها سنة ١٩٨٦ ط أولى دار الوفاء •

المسلمين قرب هلاكهم واضمحلال حضارتهم وقد ذهبوا ينشرون في طول
العالم وعرضه أفكارا سيئة ومشوهة عن الاسلام والمسلمين وانهم اناس
تواقون للحروب والتدمير كما يشوهون حضارة الاسلام وتراثه بكل انواع
الوسائل التي لديهم (٢٦) ثم يشهد بعد ذلك لعظمة هذا الدين وبعده
عن التحريف والتبديل وأنه الدين الصحيح من عند الله تعالى فيقول :
« ان الاسلام دين أنزله العليم الخبير ولذلك يبعد عن التضاد أو
التناقض ولو كان فيه شيء من ذلك لكان من عند غير الله » (٢٧) •

أما النفس بيتر المتعصب جداً ضد الاسلام والمسلمين فانه يقف
بكل قوته لتحقيق غرضه (هدم الاسلام) انه يلوم المسيحيين على
مهادنتهم للمسلمين ويستحث بنى دينه على استعمال القوة والشدة
واتخاذ العنف وسيلة لآبادة المسلمين وتحقيقا لغرضه هذا نراه يقوم
بحركة نشيطة وفعالة فترجم القرآن الكريم الى اللاتينية الغرض من
وراء هذه الترجمة كما ذكر تنصويه صورة القرآن في أعين المسيحيين
واستخراج أشياء تشين القرآن ثم تنفيدها بهذا تشوه صورة القرآن
كتاب المسلمين ومستورهم ولذلك نرى حركة الترجمة تنشط بصورة
سريعة ففي منتصف القرن الثاني عشر صدرت أربع تراجم للقرآن
قدم لها هذا النفس اللعين كما كتب ترجمة لسيرة النبي ﷺ وتاريخ
الخلفاء الراشدين حتى عهد يزيد بن معاوية ومقتل الحسين رضي الله عنه

وبالطبع فان هذه الترجمات للقرآن كانت مشوهة وناقصة وهذا
هدف مقصود كذلك لم يأت بتاريخ المصطفى ﷺ على الصورة الصحيحة

(٢٦) راجع دابطة العالم الاسلامي ندوة محاضرات عام ١٣٨٨ هـ ص ١٦٣

(٢٧) محمد أسد الاسلام على مفترق الطريق ص ١٥ طبعة بيروت •

الثابتة في التاريخ الصحيح إنما صنعت عن قصد وبهدف لتفجير
المسيحيين بل والمسلمين من الاسلام ونبويه وكتابه وسيرة أصحابه
الكرام .

كما ظهر في هذه الفقرة أيضا - القرن الحادي عشر والثاني
عشر - قسّس آخر ساروا على نفس المنوال الحاقّد على الاسلام نرى
على سبيل المثال القس الملقب « الجوس قرطبة » فهو من مشهورى
المستشرقين في قرطبة ومن رجال الدين المسيحيّ النشطين ضد الاسلام
أقّد كتب بحثا عن حياة محمد - ﷺ - والمطلع على البحث يرى الجهل
الفاضح والكذب المتعمد والمحاربة الظاهرة فهو بعيد عن الحيّدة العلمية
أو الموضوعية البحثية إذ تبدو عليه ملامح الصبغة المسيحية الحاقدة
جاء فيه أن النّبى محمد ﷺ كان يخبر أصحابه أنه بعد ثلاثة أيام من موته
سيرفع إلى السماء فلّمات بقی بدون دفن حتى يرفع جسده كما
أخبر لكنه لم يرفع بل تعفن جسده وأخذت الكلاب والطيور تنهش
جسده (٢٨) .

والغريب أن هذا القس اللعين ما كان يعرف لغة العرب ولا درسها
فمن أين أتى بهذا الهراء والكذب إذ لم يثبت أبدا في خبر صحيح ولا
كاذب أن النّبى عليه الصلاة والسلام قد قال ذلك لكن القس يعتمد في
تقل معلوماته هذه على ما كتب بيد الشياطين من المسيحيين المستشرقين
الذين سبقوه فقد اعتمد في معلوماته هذه على مخطوطة لاتينية يدعى
أنه عثر عليها صدقة في مدينة (بامبالونا) وهذا يدل دلالة صريحة على

(٢٨) راجع دكتور محمد الجليل عبده شلبي صور استشراقية ص ٦

أن الكتابة ضد الاسلام ونبيه ﷺ قد بدأت قبل هذا الوقت وفى كتابنا المستشرقون وأثرهم السىء على البيئة الاسلامية كذبت فصلا بينت فيها أن المستشرقين المحدثين قد استهدوا معلوماتهم عن الاسلام من الكتب التى كتبت فى عصر الدولة البيزنطية فإرجع اليها من أراد مزيد الاطلاع (٢٩) •

هذه نبذة قصيرة عن بداية الكتابة الاستشراقية فى القرنين الحادى عشر والثانى عشر والمعروف والثابت بما لا يدع مجالا للشك أن هذه الكتابات وهذه الروح العدائية لم تخدم ولم تسكن الاقلام فيها أبدا عن الكتابة العدائية ضد الاسلام وكتابه ونبيه ﷺ اذ لم تنقطع هذه الروح طوال هذه الفترة حتى وقتنا هذا وإن تغيرت طريقة البحث وبيان الاحداث وتفسيرها تاريخيا فهم بلا شك متفقون فيما بينهم على مبدأ عدائى وضع أسسه بيتر بداه بمحاربة القرآن والنبي ﷺ فالقرآن هو المقصود الأول والهدف المهم فى نظر هؤلاء لدرجة أننا نجد «جلاد ستون» وزير المستعمرات البريطانية فى هذا القرن (العشرين) يعلن فى مجلس العموم البريطانى أنه لن تستقر أقدام الانجليز فى الشرق الأوسط طالما هذا الكتاب يعنى القرآن يتلى بينهم ويحملونه بين جنباتهم (٣٠) •

فالحق أن الحقد مستمر والكتابة ضد الاسلام مستمرة كذلك وذلك بقصد تشويه صورته بتكوين صورة غير صحيحة عنه فى نظر

(٢٩) انظر كتابنا سالف الذكر فى الفصل الاخير منه

(٣٠) راجع صور استشراقية ص ٧ وما بعدها •

أوربا في القرون الوسطى بخاصة وما زالت الافعال مستمرة ضد الإسلام لم تتغير حتى وقتنا هذا وكما ذكرنا مرارا قبل ذلك ان الوسيلة مهما اختلفت فان الغاية واحدة تتلخص في محاولة صرف المسلمين عن التمسك بدينهم والتخلي عن كتاب ربهم تبارك وتعالى والله المستعان وهو خير الناصرين وصدق تعالى في قوله الصدق : « ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين » (٣١) « يريدون ليطفؤا نور الله بأنفواهم والله متم نوره ولو كره الكافرون » (٣٢) •

(٣١) سورة الانفال آية رقم ٣٠ •

(٣٢) سورة الصف آية رقم ٨ •

نماذج من أقوال المستشرقين

فى القرون الوسطى

نستطيع أن نقول بإيجاز أن كتاب المسيحيين العربيين فى القرون الوسطى قد أجمعوا على عدة أوصاف وصفوا بها رسول الله ﷺ كلها بطبيعة الحال مفتراه ومخترة من عند أنفسهم إذ أنهم جاروا فيها اليهود والمشركين الذين عاصروا رسول الله ﷺ أو أنهم قلدوا فيها •

كتاب الدولة البيزنطية من اليهود والنصارى الذين ملأوا الحقد قلوبهم وقطع أمعاءهم من تلك الأوصاف اتهمه ﷺ بالكذب وادعأؤه الوحى وأنه مخترع للإسلام من عند نفسه ومؤلف للقرآن ومن ثم ينسبون إليه الإسلام فيقولون « المحمدية » كما ينسبون المسيحية إلى المسيح عليه السلام •

أيضا وصفه ﷺ بانسحر والكهانة والشهوانية والدعوة إلى الاباحية الجنسية والغدر فقد نشر دينه الإسلام بالسيف بل أن الإسلام نفسه هو نوع من الهرطقة (يعنى الابتداع والانشقاق والخروج عن الدين المسيحى والردة عنه) (١) •

ولما سئل الكتاب المسيحيين من رجال الدين عن حقيقة الرسول ﷺ ؟ وأى نوع كان من الرجال هو ؟؟ وما سبب نجاحه وانتشار دعوته ؟؟ كان الجواب عن كل ذلك أنه كان ساحرا هدم الكنيسة فى افريقيا بسحره ومكره وخداعه وعظم نجاحه عندما أباح الاختلاط بين الجنسيتين (٢) •

(١) انظر رؤية اسلامية للاستشراق ص ٢٨ •

(٢) نفس المرجع السابق ص ٢٩ •

ولعل مما يثير الدهشة والعجب أن أحد كتاب المسيحيين فى القرون الوسطى يصرح بأنه لا يستطيع أن يجزم هل هذه المعلومات التى قيلت وتناقلها الكتاب فى كتبهم عن شخص الرسول ﷺ هل هى صحيحة ام كاذبة ؟ ثم يلتمس العذر له والأمثلة من الحاقدين على الاسلام ونبيه ﷺ بأنه يمكنك أن تدم شخصاً يفوق شره أى ذم يقال هكذا يلتمس العذر فى سب أو ذم رسول الله ﷺ .

ثم أننا نجد أن السورة ترداد تشويها بما أضيف اليها من كتابات الشعراء والقصاصين وأصحاب الخرافات والسذاجات اذ استباحوا كل شئ يقال عن الاسلام (٣) .

هكذا ازداد الطعن فى النبى ﷺ وكتاب الله المجيد حيث وصفوه بالبشرية على معنى انه من محمد ﷺ ومن صنعه اخترعه من عند نفسه وبمعونه آخرين ومن هنا قامت الترجمات المتعددة للقرآن بغية تحريفه وطمس معالمه لدرجة أن بطرس الملقب بالمحترم يجزل العطاء للمترجمين بتقدير العملهم الذى قاموا به من ترجمة القرآن وقد قرر المستشرق المنصر صمويل زويمر أن هذه الترجمة تمت بدافع تنصيرى وتحت تأثير الروح التنصيرية لدى بطرس المحترم (٤) .

(٢) قارن نفس المرجع السابق ص ٢٩ .

(٤) نفسه ص ٣٢ وانظر كذلك ابراهيم خليل أحمد الاستشراق والتبشير وصلتهما بالامبريالية العالمية ص ١٦٣ وما بعدها من صفحات مكتبة الوعى العربى .

الفصل الثاني

المعجبون بالمستشرقين

باديء ذي بدء أقول لأبد من التأكيد على أن الغرض الأساسي لهؤلاء المعجبين ممن سوف نذكر بعضهم لاكلهم هو العمل على استبعاد الدين الاسلامي كمنهج صالح للحياة بل اعتباره منهجا روحيا فقط فهذه صفة لازمة لهم — كما سنرى قريبا ان ثناء الله تعالى — عند عرض آرائهم وفكرهم ، ويؤكد على هذا الرأي المنطق الداخلي لاتجاهاتهم التي سلكوها أو ارتضوها منهجا لهم بل يتفق في ذلك غير المسلمين من مفكرى العالم العربى الذين أعجبوا بأراء المستشرقين بل والحضارة الغربية عموما وهاك بعض الأمثلة لهم بالامكان أن نقسم هؤلاء المعجبين الى قسمين على النحو التالى :

- (أ) البذور الأولى أو البدايات الاولى لهؤلاء المعجبين •
- (ب) شيوخ هذا الفكر وكثرة أنصاره •

المبحث الأول

الدور الأول لهذا الفكر

(أ) نذكر الآن بعض المعجبين الأوائل من افئنتوا بفكر المستشرقين وحاولوا تطبيقه في البيئة الاسلامية نذكر نصوصا من أقوالهم كما سنحاول أن نردها الى منابعها الاستشراقية وبعبارة أخرى وجه التوافق والشبه بين ما أرتضوه وحاولوا نشره وبين آراء المستشرقين ان شاء الله تعالى :

١ - أحمد لطفي السيد [١٨٧٢م - ١٩٦٣م] كان من المعجبين بفكر الغرب عموما اتخذ التعريب منهجا له اتجه الى السياسة اذ اعتبر من أكبر مؤسسي حزب الاحرار الدستوريين كان يدعو الى الاقليمية الضيقة فهو صاحب العبارة المشهورة « مصر للمصريين » (١) .

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن الى أى حد يصل هذا الكلام من غرض المستشرقين؟؟ والجواب أن من أغراض الاستشراق الدعوة الى الوطنية و احياء القوميات القديمة بدراسة التاريخ القديم (٢) وفي هذا مناهضة للدعوة الاسلامية العالمية فهم بذلك يحاربون الاسلام من كونه دينا عالميا صالحا لكل زمان ومكان ، على أن المستشرقين

(١) راجع الموسوعة الميسرة في الأدين والمذاهب المعاصرة الندوة العالمية للشباب الاسلامي الرياض سنة ١٩٨٩م ط ثانية ص ١٤٨ .

(٢) المرجع السابق ص ١٥١ .

يستبدلون بدله فكرة نشر اللؤى المقاتل بالعالمية الانسانية لا عن طريق الاسلام المفتى عليه بل عن طريق جمع الناس على مذهب واحد ترول معه الخلافات الدينية والعنصرية لاحلال السلام فى العالم - كما يدعون - بهذا تصبح الأرض وطنا واحدا يدين بدين واحد وفى الحق أن هذه دعوة يهودية تبنتها الصهيونية العالمية تريد من ورائها تذيب الفكر الاسلامى واحوائه فى بوتقة اليهود أصحاب الذهب والمال بغية احتلالهم للعالم وجعل اليهودية ديننا عالميا بذك يسودون العالم ويحققون حلمهم الموعود فى التوراة [حكم العالم كله] كما وعدتهم بذلك كتبهم (المقدسة) المحرفة والمبدلة وقد تكفت البروتوكولات الصهيونية برسم هذه الخطط الشيطانية (٣) •

وعمل اليهود من أجلها الكثير والحق أن فكرة القومية التى تبناها لطفى السيد هى خطوة تغريبية انتقلت من أوروبا المسيحية الحاكمة على الاسلام الى بلاد الاسلام ذات الرابطة الدينية الواحدة القوية التى تمثلت فى الخلافة الاسلامية اذ كان الغرض من ورائها تمزيق الوحدة الاسلامية القوية الى دويلات صغيرة وبدلا من أن يجمعها روح الدين الاسلامى فانها تقوم على رباط هش هو الرابط الجغرافى الذى يجمع أناسا ينتهون الى أصول عرقية وطنية (٤) •

بهذا يحارب المستشرقون عالمية الاسلام والصد عنه والوقوف فى

(٣) راجع خطط اليهود بالتفصيل الخطر الصهيونى بروتوكولات

حكماء صهيون ترجمة الأستاذ التونسى وكل الكتاب وضع لهذا الهدف

• حكم العالم كله بيد الصهيونية •

(٤) الموسوعة الميسرة ص ١٥١ •

وجهه حتى لا ينتشر ومما يؤكد على هذه النظرة أعنى تنمية الاهتمام ببعث الحضارات القديمة ومحاولة احياائها لهدم الاسلام ما قاله المستشرق الحائق على الاسلام هـ ١٠٠ ر . جب الانجليزى « وقد كان من أهم مظاهر سياسة التغريب فى العالم الاسلامى تنمية الاهتمام ببعث الحضارات القديمة التى ازدهرت فى البلاد المختلفة التى يشغلها المسلمون الآن . . . وقد تكون أهميته محصورة الآن فى تقوية شعور العداء لأوروبا ولكن من الممكن أن يلعب فى المستقبل دورا مهما فى تقوية القوميات المحلية وتدعيم مقوماتها» (٥) .

والنتيجة المرجوة من وراء ذلك بالطبع هدم الاسلام وتفتك عراه القوية واضعاف روح الاخاء بين المسلمين وتفرقهم لاحكام اسيطرة عليهم فجاء لطفى السيد وتبنى هذه الفكرة « فكرة القومية » معجبا ومغتبرا بالمنطق الاستشراقى الذى لم يفتن الى هدفه حيث تبناه ودافع عنه ويتضح هذا الامر أكثر فى قوله الذى يحدد انتماء الفكرى « يعوزنا شيوع الاعتقاد بأن مصر لا يمكنها أن تتقدم ، واذا كانت تجبن عن الاخذ بمنفعتها وتتواكل فى ذلك فعلى أوهام وخيالات يسميها بعضهم (الاتحاد العربى) ويسميها آخرون (الجامعة الاسلامية) (٦)»

هكذا نرى لطفى السيد يحاول فى هذه الحقبة الزمنية من تاريخ مصر أن يبيث فكرة القومية بتجريد المنظومة الاسلامية من عاليتها الدعوة وانسانيتها الى حصرها فى نطاق القومية والعصبية الضيقة وهى

(٥) نفس المرجع السابق ص ٣٦ ، ١٥١ .

(٦) د . فهمى جلعان أسس التقدم عند مفكرى الاسلام فى العصر

الحديث ص ٣٢١ ، ٢٣٢ يروت ص ٣٩ سنة ١٩٨١ ط ثانية .

الفكر والمنطق الذى يتنافى تماما مع خلود الاسلام وعالميته على اعتبار
أنه الدين الخاتم والعام للخلقة كلها انسها وجنها (٧) •

بهذا لم يعد الدين عنصرا قويا وجوهريا حاسما فى بناء القومية
الاسلامية العامة الشاملة لكل الدنيا كما هى دعوة القرآن الكريم والسنة
المطهرة بل وجدنا المحاولات لتأسيس أمة عربية جديدة لا ترتبط بمفهوم
الاسلام فكانت دعوة لطفى السيد الى وطنية مصرية علمانية تربط
الشخصية المصرية بالاصول التاريخية افرعونية (٨) ••

هكذا تبنى مفكرنا آراء المستشرقين الغربيين وحاول التأكيد عليها
بنشرها والعمل من أجلها مفتتنا بها غير فطن الى ما تستهدفه وما تريده
لديننا الحنيف من اضعاف للرابطة الدينية تك التى تجمع كل المسلمين
وتوثق عرى الصلة بينهم شرقا وغربا وذلك بتفريق انجماعة التى كانت
تلتقى على وحدة القيم الفكرية والثقافية أو بتعبير أشمل وحدة القيم
الحضارية (٩) •

٢ - وقد تبنى هذه الفكرة « فكرة القومية البعيدة عن الدين »
كثير من المفكرين سيأتى أمثلة لهم لكن غالبهم كان من المسيحيين وهذا
أمر طبعى أن يرغب مثل هؤلاء فى تأسيس دولة مبنية على الشعبوية
والقومية التى لا تمت بصلة للدين الاسلامى فمفكرو الغرب من أهل

(٧) راجع سليمان الخطيب التفريغ والمآذق الحضارى المركز

الاسلامى للدراسات والبحوث سنة ١٩٩١م ط. أولى •

(٨) انظر المرجع السابق والصفحة •

(٩) قارن د. محمد محمد حسين الاسلام والحضارة الغربية ص ٤١

مؤسسة الرسالة سنة ١٩٨٦م •

(٣ - المستشرقون)

الكتاب كانوا أكثر المترجمين لهذه الفكرة وأول من أيدها «فكرة القومية العربية» الخالية من أى مضمون إسلامي (١٠)

وكان هؤلاء المسيحيين عدد من المجلات والصحف احتكروها عبر سنين طويلة مما جعل قراء البلاد العربية طيلة جيل كامل يتأثرون بكتاباتهم وأفكارهم إذ كانت تدعو فى صراحة إلى فصل الدين عن الدولة وجعل الدنيا شئ والآخرة شئ آخر (١١) •

مثل مجلة الجنان لصاحبها بطرس البستاني فى لبنان [١٨١٠ - ١٨٨٦] ومجلة المقتطف (١٨٧٦م) فى بيروت أنشأها يعقوب صروف وفارس نمر وقد انتقلا من سوريا الى القاهرة عام (١٨٨٥م) وكذلك مجلة الهلال (١٨٩٢م) أنشأها جورجى زيدان •

والملاحظ على غالب هذه الصحف أنها كانت تدعو الى العلمانية بالمعنى الذى تبناه الغرب « فصل الدين عن الدولة » أو بمعنى آخر لا سياسة فى الدين بل الدين لله والوطن للجميع (١٢) فغالبهم من نصارى الشام الذين هاجر بعضهم الى مصر كما سبق أن مثلنا فقد كان ولاؤهم الواضح للحضارة الغربية بل لا ينتسبون الى الاسلام ديننا أو حضارة لا من قريب ولا من بعيد وأخذوا تعاليمهم على يد المستشرقين

(١٠) قارن د. سليمان الخطيب المرجع السابق ص ٣١ •

(١١) راجع د. هشام شرابي المثقفون العرب والغرب ص ٨٠ سنة ١٩٧٨ ط بيروت دار النهار •

(١٢) انظر فى ذلك البرت حورانى الفكر العربى فى عصر النهضة.

ص ١٢٥ ترجمة كريم عزقول سنة ١٩٦٨م ط بيروت •

فى تلك المدارس التبشيرية التى انتشرت فى مصر والشام فكان من الأسهل فى دعوتهم المخلصة من أجل النهوض بحضارة البلاد كما يزعمون أن يأخذوا بنهج الغرب حيث درسه وتربوا على مبادئه أكثر فنظروا إليه على أنه سبب فى نهوض الغرب الفعلى (١٣) لكن يهمنى هنا وفى هذا المكان أن نتعرض أكثر لهؤلاء المسلمين الذين تأثروا بالمستشرقين وحملوا عبء الدعوة على أكتافهم ومن هؤلاء رفاعة الطهطاوى .

(١٣) قارن المثقفون العرب والغرب ص ٧٦ .

٣ - رفاعة رافع الطهطاوى :

ابتعث رفاعة الطهطاوى الى باريس وأقام فيها خمس سنوات (١٨٢٦م - ١٨٣١م) رجع بعدها محملاً بأفكار تدعو الى تنظيم المجتمع على أساس علمانى عقلانى (١) مستمداً ذلك من أفكار المستشرقين الحاقدين على الاسلام ونا مع الطهطاوى وفتات نظر اليها لنرى الى أى حد هذه الافكار تمت بصله الى الفكر الاستشراقى الواقع دائماً ضد الاسلام وما هو وجه الشبهه بين فكره وفكر المستشرقين الحاقدين علينا ؟؟ •

الموقف الأول : نقده للدين بعد مدحه له :

نرى الطهطاوى يتعرض لبيان أهمية الدين فى بناء الحضارات مادحا له فيقول : معرفا الدين « أنه وضع الهى سائق لذوى العقول السليمة باختيارهم المحمود الى ما هو خير لهم بالذات - ويستشهد لذلك بآيات القرآن الكريم - من مثل قوله تعالى : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا » الآية (٢) كذلك يستدل بالآية الكريمة : « وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين » (٣) وسمى ديننا للثنتين به » (٤) •

(١) الموسوعة الميسرة ص ١٤٦ مرجع سبق ذكره •

(٢) سورة الشورى آية رقم ١٣ •

(٣) سورة البينة آية رقم ٥ •

(٤) رفاعة الطهطاوى المرشد الأمين للبنات والبنين ج ٢ ص ٧١٩

وهو ضمن الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوى تحقيق د. محمد عمارة
المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت •

وعن الدين وأثره انحسن يقول في :وطن آخر « ان الذي يرشد
 إلى تركية النفس هو سياسة الشرع وصدق متابعة الرسول -- ﷺ --
 في سائر ما جاء به من الأحكام والآداب التي نصها الشارع وجعل
 مرجعها الكتاب العزيز الذي هو الآية الكبرى والنعمة العظيمة في بيان
 ما لا تهتدى إليه العقول وفي الاعتصام من الشتن فهو الجامع
 لأنواع المطلوب من العقول والمنقول مع ما اشتمل عليه من بيان
 السياسات المحتاج إليها في نظام أحوال الخلق إلى آخر كلامه في
 بيان الأثر الطيب للدين (٥) بل انه في مكان آخر يؤكد على هذا الأثر
 الطيب وأنه لا قوام للمجتمع الا بالتمسك بالاسلام والالتزام بأوامره
 وإلى هنا الكلام طيب ولا شيء فيه ولا ضرر بل يمدح انقرآن الكريم
 فيقول « والقرآن الكريم أساس الدين الذي هو أساس المملكة فلا
 قوام لها الا به ولا تثبت أركانها الا عليه وهو اقامة منار الاسلام
 وازهار شعار الحق واتباع أحكام الشرع والعمل بالفرائض والسنن
 ومندوبات الشريعة واقامة الحروف وامثال أمر الشارع والانتفاء عن
 فواهي فإنه لا دوام للملك ولا بقاء للسلطنة بدون هذه الاشياء
 فمعرفة على الملوك أوجب من غيرهم (٦) هذه هي رؤية الطهطاوى
 للدين من أنه عليه مدار صلاح الامم واقامة المجتمع الذي تترابط فيه
 كافة عناصر المدنية والحضارة والرقى ولو وقف لكان خيرا لكن هل
 يستقر مفكرنا على هذه الروح الواعية بحقيقة الاسلام البناءة ؟؟
 نراه يمدح الدين ويدافع عنه كعنصر فعال في بناء الحياة للدين وظيفة
 مهمة في واقع حياتنا « ان الدين يصرف النفوس عن شهواتها ويعطف

(٥) المرجع السابق ص ٣٨٦ .

(٦) نفس المرجع السابق ص ٤٤٥ .

القلوب على ارادتها حتى يصير قاهر للسرائر زاجرا للضمائر رقيقا على
 لنفوس في خلوتها... فبهذا المعنى كان الدين أقوى قاعدة في
 اصلاح الدنيا واستقامتها... وبعد مدح طويل - يقول فحقيق على
 العاقل ان يكون به متمسكا عليه ومتمسكا «(٧) كلام طيب ومنطق
 شديد لا غبار على هذا الكلام فهو يدعو الى الاسلام والتمسك
 به ويصل الامر في دعوته الى الربط بين الانسان العاقل برسعيه نحو
 التمسك في كل شئونه وفي نظرتة وسلوكياته في الحياة انطلاقا من
 تعاليم هذا الدين الحنيف(٨) وبالرغم من هذا الاتجاه المناصر للدين
 والواضح كل الوضوح الا أننا نرى أثر التعاليم الاستشراقية تبدو عليه
 بعد ذلك مباشرة انه الاثر السيء الذي نجده عندما يتناقض فهم الدين
 فهما خاطئا في النص الآتي أنه ينظر الى عمارة الارض في اطار
 التوجيهات المدنية بعيدا عن الدين بعاليمة وآدابه فيقول « فأدب
 الشريعة ما أدى الفرض وادب السياسة ما عمر الارض وكلاهما يرجع
 الى العدل الذي به سلامة السلطان وعمارة البلدان لأن من
 ترك الفرض فقد ظلم نفسه ومن خرب الارض فقد ظلم غيره «(٩)
 وغنى عن البيان أن نذكر أن صاحب العقل السليم يرى بكل وضوح
 العلمانية والدعوة الاستشراقية الظاهرة في عبارة الطهطاوى انه بكل
 وضوح ينادى بفصل الدين عن الدولة « فأدب الشريعة ما دى الفرض

(٧) رفاعة الطهطاوى مناهج الألباب المصرية في مباهج الآداب العصرية
 ج ١ ص ٢٤٩ وما بعدها ضمن الأعمال الكاملة .

(٨) راجع د. سليمان الخطيب الدين والحضارة في فكر الطهطاوى ص
 ٢٧ المركز الاسلامي لدراسات الحضارة سنة ١٩٩٢م ط أولى .

(٩) مناهج الألباب المصرية في مباهج الآداب العصرية ص ٢٥٠.

وأدب السياسة ما عمر الأرض « فهل يشك عاقل أنه يدعو في هذه العبارة إلى الفصل بين الشريعة والسياسة وسابقا صرح بأن الشريعة أساس للسياسة بل يجب أن تسير تبعا للدين والأوامر ؟؟ وقد يدافع عنه مدافع بقوله ما قصد الطهطاوى ذلك ؟ لكنى أعقب فأقول العبارة بمنطوق لفظه لا بغيره وهذا ما نشاهده بوضوح فى النص السابق وقد عقب الدكتور الخطيب على هذا النص بقوله « وهذا يعنى أن الاسلام يجعل من عمارة الأرض نافلة من النوافل يمكن الأخذ بها وتركها على اعتبار عدم فرضيتها على الشخصية المسلمة وذلك ما يبرزه النص بوضوح بصرف النظر عن مقصد الطهطاوى فى الحث على عمارة الحياة » (١٠) « وموقف الانسان فى الحياة الدنيا سيؤول الى الخسران بمجرد افتقاد شرطين أساسيين الايمان والعمل الصالح : والعصر ان الانسان افنى خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » (١١) الربط هنا بين الايمان والعمل يصبح من حقائق العقيدة الاسلامية وبذلك يصبح الفصل بين عمارة المكون وفرضيات الشريعة غير جائز فى سياق المذهبية الاسلامية » (١٢) هذه هى النظرة المتناقضة فى فكر الطهطاوى لكن هذا حدث له كثر وكرد فعل لما تلقاه من تعاليم على يد الاوربيين الحاقدين فالحق أن هذا من الطهطاوى خارج عن حدود الدين اذا أن الدين والدولة شئ واحد فى اسلامنا لكن يأتى هذا الخلط من جراء ما تلقاه على أيدي المستشرقين فى فرنسا فالغروب منذ عصر النهضة قد نادى بفصل الدين عن الدولة أو بمعنى آخر الفصل بين الكنيسة والدولة أو بين السلطة الدينية والسلطة السياسية فقد كان ذلك هو الحل الوحيد لتقديم شعوب أوروبا

١٠ - الدين والحضارة فى فكر الطهطاوى ص ٢٧ - ٢٨

(١٠) الدين والحضارة فى فكر الطهطاوى ص ٢٧ - ٢٨
(١١) سورة العصر بتمامها .

بعد أن قاسوا الأمرين من سيطرة الكنيسة على الحكم وما نتج عنه من حجر على الحريات وحرق وشنق للعلماء والمفكرين مما تسبب عنه نشوء الصراع بين آباء الكنيسة في روما وبين البابا والموك في دول أوروبا ، وفي الحضارة الغربية أصبحت العلمنة جزءاً من الحياة اليومية قام على أساسها القانون أو الدستور والحل الوحيد هو الفصل بين السلطتين الكنسية من جهة والدولة كحاكمة لشئون الدنيا وباختصار العودة لقول المسيح « اعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله » وبناء على ذلك فلا دين رسمي للدولة ولا دين للرئيس فهذا شرط أساسي ليكون رئيساً ولا حكم لرجال الكنيسة (١٣) لكن لوثة الفكر الأوربي خالطت عقل الطهطاوي فأتانا بهذا الأثر السيء غير الحميد انه التشبه بكل ما هو أوربي فقد كان من أغراض الغرب المسيحي نشر المذاهب الهدامة بين أبناء المسلمين كالفرويدية والدارونية والدعوة الى الإقليمية والوطنية والفصل بين الدين والدولة أو الدين والمجتمع وحملة الانتقاص من الدين ودعاة الاسلام وبث الشك في القيم الاسلامية الى غير ذلك (١٤) وفي الحق أن هذه الدعوة (فصل الدين عن الدولة) لا تصحح عندنا إنما كانت علاجاً لأوروبا في أوروبا من جراء الحكم الكنسي لكن النزعة الطبيعية اكتسحت أوروبا بأساليبها الحسية والتجريبية بحيث طغت على الروح والأخلاق معاً (١٥) .

(١٣) د. سليمان الخطيب المرجع السابق ص ٢٨ .

(١٣) راجع التفريغ والمأذق الحضاري ص ٢٠ .

(١٤) انظر في ذلك الموسوعة الميسرة ص ١٥٢ .

(١٥) د. عماد الدين خليل تهافت العلمانية ص ٩٦ سنة ١٩٨٣م .

مؤسسة الرسالة بيروت .

الموقف الثانى :

وهذا موقف آخر أشد عجبا من سابقه نرى فيه أن الطهطاوى قد أعماه التعلق بالغرب حتى عن بدهيات إحلال والحرام فى دينه الحنيف أنه الانبهار الخاوى أمام تيار النهضة الاوربية الجارفة تلك المدنية المادية الخالية من الروحانية وإن شئت فقل بعيدة عن الدين بالمرّة هذا الموقف ساقه بنا الطهطاوى فى أثناء كلامه عن عادات وتقاليد الشعب الفرنسى فى كتابه الذى سماه « تخليص الابريز فى تلخيص باريس » أنه يتحدث عن عادة الرقص فى المجتمع الفرنسى مقارنة بينه وبين الرقص فى مصر والعجب أنه يدافع وفى شجاعة عن هذه العادة القبيحة والنتى هى محرمة فى دينه متجاهلا أنه مسلم إذ يرى أن الرقص عندهم لون من الفنون يمارسه كل الشعب هناك وكأنه نوع من العياقة لا من الفسق فهذا اللون يعتبر بذلك غير خارج عن قوانين الحياء — ويعتد مقارنة — وهذا بخلاف الرقص فى مصر فهو لون خاص بالنساء لأنه مهيج للشهوة أما فى فرنسا فانه نمط مخصوص لا يشم منه رائحة العهر أبدا فالمرأة يعزمها الرجال على الرقص معها سواء يعرفونها أو لا يعرفونها بل إن النساء ليفرحن بذلك ويتمادى فى وصف الرقص فى فرنسا ويدافع عنه وكأنه ليس بعيب فى نظره (١٦) وكنا نود من شخصية مسلمة مثل الطهطاوى أن يذكر ذلك معقبا عليه بالنقد خاصة وأنه من المحرمات فى الاسلام بل انه يذكر أنه من العياقة لا من الفسق كما شاهدنا ذلك فى كلامه السابق وأنه لا يخرج المرأة عن قوانين الحياء رغم ما فى هذه العادة من التحلل والفساد القيمى الناتج

(١٦) الطهطاوى تخليص الابريز فى تلخيص باريس ج ٢ ص ١٢٢

وما بعدها ضمن الأعمال الكاملة للطهطاوى بتعليق د. محمد عمارة •

عن الاختلاط وكأني بالطهطاوى لم يقرأ أبدا هذه الآية الكريمة ولم يشم رائحتها « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ان الله خبير بما يصنعون وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبددين زينتهن الآية » (١٧) •

والسؤال التقليدى أين يقع هذا من فكر المستشرقين والغرب عموما الحاقدا على الاسلام والمسلمين ؟؟ والجواب :

أن أوربا يهودا ونصارى كرسوا جهدهم لهدم الاسلام وأعلنوا من قديم سواء أكانت حربا بالسلاح ام حربا بالفكر والقلم واليهود عليهم اللعنة أشد الناس عداوة للاسلام كما قال تعالى « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا » (١٨) فالحاخامات قد استغلوا علماءهم فى تحقيق هذا الغرض نرى المستشرق الفرنسى دوركايم يحاول نشر الفساد فى المجتمعات باسم علم الاجتماع ومن خلال القول بتطور الاسرة والمجتمع (١٩) كما نرى فرويد يدعو الى التحلل وينادى بالجنس فى أوسع صورة ويعتبر ان ذلك سائغا لا غضاضة فيه بل ذلك من أولى الخطوات التى يأتى من ورائها حضارة الامم وتقدم الشعوب (٢٠) هكذا نرى الاثر الواضح يبدو على فكر رفاعة انه الاثر الاستشراقى النقيم •

(١٨، ١٧) الآيتان على التوالى سورة النور آية رقم ٢٩ - ٣٠ وسورة

المائدة آية رقم ٨٢ •

(٢٠، ١٩) أود أبه القارىء الكريم الى أننى قد كتبت بحثا بعنوان

دوركايم ربيب الثقافة الصهيونية وآخر بعنوان الفكر الفرويدى امتداد

للفكر الصهيونى وخادم له وذلك بحولية كلية أصول الدين بالمنوفيه

العدد الخامس والسادس فيراجعهما من أراد مزيد الاستقصاء حيث بينت

ذلك الشية التخبيثة لهذين اليهوديين •

الموقف الثالث :

وهنا مزلق آخر ينزلق فيه مفكرنا انه لا يتورع عن وصف اندين الاسلامى بانه محمدى فينسبه الى رسول الله ﷺ ويعبر عن ذلك بقوله الامه المحمدية نراه يربط بين المدنية واندین فى تكوين الحضارة فيقول : « ومدار سلوك جادة الرشاد والاصابة منوط بعد ولى الامر بهذه العصاة التى ينبغى أن تصيف الى ما يجب عليها من نشر السنة الشريفة ورفع أعلام الشريعة المنيفة معرفة سائر المعارف البشرية المدنية التى لها مدخل فى تقديم الوطنية من كل ما يحمد على تعلمه وتعليمه علماء الامة المحمدية » (٢١) وللحق فافى أنبه القارىء الكريم الى ان هذا تعبير استشراقى محض يهدف الى نسب الرسالة الاسلامية الكريمة الى رسول الله ﷺ وتجاهل خصوصية الوحي المنزل من عند الله تبارك وتعالى والافضل والاصوب أن يقال الامة الاسلامية فقد جبل المستشرقون من قديم على أن يصفوا الاسلام بهذا الوصف فيقولون الديانة المحمدية فى عقابله الديانة المسيحية نسبة الى المسيح عليه السلام فرواد الاستشراق من الكتاب المسيحيين العربيين فى القرون الوسطى وعصر النهضة يجمعون على وصف النبى ﷺ بعدة أوصاف مفتراة من عند أنفسهم وكلها تدور حول اتهامه عليه الصلاة وأفضل السلام بالكذب وادعاء الوحي وأنه اخترع الاسلام من عند نفسه ومؤلف للقرآن ومن ثم ينسبون ايه الاسلام فيقولون:

(٢١) مناهج الأناب ص ٥٣٣ .

(٢٢) انظر د . محمد البهى الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار

الغربى ص ٢٠٧ وانظر كذلك أحمد غراب رؤية اسلامية للاستشراق ص ٢٥

ط ثانية سنة ١٤١١ هـ .

« المحمدية » كما ينسبون المسيحية الى المسيح عليه اسلام (٢٢).
ونستمع الى بعض أقوالهم فى هذا الشأن يقول المستشرق « جورج
سبيل » ان القرآن انما هو من اختراع محمد ومن تأليفه وأن ذلك امر
لا يقبل الجدل » ويقول « شيندون اموس ان الشرع المحمدى ليس
الا القانون الرومانى للأمبراطورية الشرقية معدلا وفق الاحوال
السياسية فى الممتلكات العربية » ويقول أيضا ان القانون المحمدى
ليس سوى قانون جستنيان فى لباس عربى » (٢٣) كما وصفوا الوحي
بأنه هابط من ذلك ما قاله المستشرق « بلاشير » حدث أن قامت
استحالات مادية فى سبيل تسجيل الوحي الهابط فجاء فى اشفر
وفى اصلاة وخلال الليل » (٢٤) الى غير ذلك من الأوصاف الذميمة
التي أضفوها على الاسلام ونبىه ﷺ لذا أحببت أن أنبه القارئ الى
هذه النسبة « المحمدية » وأنها من صنع المستشرقين حيث أرادوا من
خلفها وصف الوحي والقرآن بما ذكرناه وأكثر من ذلك فقد تعرضوا
بأسنتهم القذرة الى شخص الرسول ﷺ والصحابه الكرام والازواج
الأطهار والقرآن والسنة والتاريخ الاسلامى المجيد وما فيه من
بطولات (٢٥) ولذلك حاولوا أن ينشروا فريتهم على القرآن الكريم من
أنه ليس وحيا منزلا من عند الله واعتبار القرآن فيضاً من العقل الباطن
مع الاشادة بعبقريه النبي ﷺ والمعيته وصفاء ذهنه واعتبار ذلك كله

(٢٣) انظر الموسوعة الميسرة ص ٤٠ .

(٢٤) راجع د عبد الصبور شاهين تاريخ القرآن ص ٧٢ سنة ١٩٩١م

(٢٥) راجع آراءهم بالتفصيل فى كل ما ذكرنا فى كتابنا المستشرقون
وأثرهم السئ على البيئة الاسلامية .

إشراقاً روحياً تمهيداً لازالة صفة النبوة عنه ﷺ (٢٦) ولذلك سوغوا لأنفسهم أن يطلقوا على الاسلام اسم « المحمدية » هذه بعض المواقف رأيها في فكر انطهاوى المتأثر بفكر الغرب الحاقده على الاسلام والمسلمين خاصة من المستشرقين الذين نذروا حياتهم لهدم الاسلام وحرب المسلمين وهناك المواقف الكثيرة في فكر رفاعة أعرضت عنها خوف الاطالة وفيما قلنا الكفاية ان شاء الله تعالى فليرجع الى كتبه من أراد مزيد الاطلاع والمعرفة وقد تقدم الدكتور محمد عمارة بجمع كتبه وعلق عليها تحت اسم الاعمال الكاملة لرفاعة الطهاوى والله أعلم .

٤ - منصور فهمى (١٨٨٦ - ١٩٥٩ م)

ويظهر اتجاهه ناحية الغرب في فكرة المعاند للاسلام وذلك في رسالته للدكتوراه والتي (قدم أطروحتها في فرنسا وكانت بعنوان « حالة المرأة في التقاليد الاسلامية وتطوراتها » اذ كانت وللأسف تحت إشراف المستشرق الفرنسي المتعصب « ليفى برول » وكان منهج الباحث فيها منهج النقد التاريخي العلمى المتحرر من أى التزام بحقيقة الوحي في تفسير ساوك النبى ﷺ وعلاقاته وتشريعاته (١) فقد تحلل من قيود الدين وأطلق العنان لنفسه تقول ما تشاء في حق رسول الله ﷺ غير مربو ولا عابى بدين أو عقيدة أو خوف من الله تعالى وكيف لا يكون هذا شأن رسالة يشرف عليها يهودى حائق حاقده على الاسلام مثل ليفى برول ؟؟ نجد الباحث يهاجم نظام الاسرة وازواج فى الاسلام يقول منصور فهمى « محمد يشرع لجهيع الناس ويستثنى نفسه » ويقول

(٢٦) انظر الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب المعاصرة ص ١٥٢ .

(١) لطفى السيد تأملات ص ٧٥ طبعة ثانية .

أيضا لقد «أعفى نفسه من المهر والشهود» أى وفرض ذلك على أمته ويقال أنه تابعد ذلك ورجع عن أقواله واعترف بخطئه اذ انتقد بعد ذلك حركة التغريب وفضح المستشرقين فى سنة ١٩١٥م بل جاهر بأرائه فى الإخطاء التى حملها طه حسين ومدرسته (٢) وأقول إن الباحث المذكور برسالته السابقة قد حقق أهداف الاستشراق أيما تحقيق وخدمت رسالته أغراض المستشرقين بل ربما ذهبت الى أبعد مما يريدون فإذا كان من أهداف الاستشراق التشكيك فى صحة الرسالة النبوية الشريفة أيضا التشكيك فى صحة أقواله ﷺ كذلك التشكيك فى صحة القرآن الكريم والطعن فيه (٣) فإن الرسالة المذكورة ذهبت الى ذلك وأكثر منه انه الهدف الاستشراقى الدنىء الذى أراد دائما النيل من الاسلام والخط من شأنه حقدا وحسدا لكن الله غالب على أمره ناصر لدينه ان شاء الله تعالى.

(٢) الموسوعة الميسرة ص ١٤٩ .

(٣) د . محمد أحمد جمال مفتريات على الاسلام ص ١٢٨ ، ١٤١ .

البحث الثانى

شروع هذا الفكر وكثرة أنصاره

بدأت البذور الأولى المتأثرة بالاستشراق تنفث سمومها واتسعت رقعتها بعد ذلك على يد رجال حملوا عبء نشر هذه الأفكار بل كانوا لهم مدارس فكرية ومذاهب علمانية كلها ترمى الى خدمة الغرب بفكرة الاستشراقى الحاقده على الاسلام والمسلمين وانتشر التفكير القومى البعيد عن الروح الاسلاميه ذلك التفكير الذى يتنافى مع خلود وعالمية الرسالة الاسلاميه بحصرها فى نطاق القوميات الضيقة وقد سبق أن بينا ذلك لكن هنا نقول ان الهوة قد اتسعت فشملت ذلك وأكثر من ذلك « ومن أهم هذه القضايا التى كان لها أصداء سياسية واسعة وتركت بصمتها القوية على الممارسات الفكرية والثقافية فى محيط العالم الاسلامى فقد تمثلت فى العلاقة بين الدين والدولة أو العقيدة والشريعة وأراد أصحاب هذه النزعة تجريد الاسلام من منهجه التكاملى الذى يجمع بين العقيدة والشريعة بين الدين والدنيا ليجعلوه مجرد « دين فحسب بالمعنى الغربى الحديث لهذه الكلمة ضمن مدلولاتها وتطبيقاتها فى الحضارة الغربية وأخطر من مثل هذا الاتجاه » (١) •

(١) التغريب والمآزق الحضارى ص ٣٥ ، ٣٦ •

١ - الشيخ على عبد الرازق :

نشر كتابه « الاسلام وأصول الحكم » سنة ١٩٢٥ بعد عام واحد من انهاء الاتراك للخلافة الإسلامية وفيه يطرح قضية العلمانية للمرة الاولى في صميم الفكر الاسلامي ومعناها فصل الدين عن الدولة لقد وجدت هذه الدعوة منه نصيرا ومعينا وناشرا لها جريئا فهو لم يكتف بمجرد الكتابة والكلام عنها وانما ذهب فيها الى درجة الاعتقاد الراسخ (٢) بأن النصوص الشرعية نفسها والوقائع التاريخية (كذبا) وتؤكد عليها وتدعمها وتسوغها تماما (٣) والمطلع على كتاب على عبد الرازق السابق الذكر يجد أن المؤلف يحاول أن يقنع المطلع عليه بأن الاسلام دين فقط وليس دولة لدرجة أن « سميث » يضرب به مثلا عندما أشار الى أن التحررية العلمانية والعلمانية لا تنتشر بين أقطار الاسلام الا اذا قسرت نفسها تفسيراً اسلامياً مقبلاً (٤) هكذا نرى أن « عبد الرازق » يختصر الطريق أمام المستشرقين ويبين لهم السبيل الذي يسلكوه كي يحاربوا الاسلام ببسر وسهولة فلا تعجب اذن (بعد هذا الذي أفصح به هذا المستشرق) اذا علمنا أن الكتاب وصاحبه قد قدما للمحاكمة من قبل الازهر الشريف بعلمائه الافاضل وذلك في ١٢/٨/١٩٢٥م بحيث أدين من قبل اللجنة اذ اعتبرته خارجا عن زمرة العلماء وصادر الكتاب لكن يد خبيثة تصنع ضد الاسلام من

(٢) راجع بالتفصيل الاسلام وأصول الحكم للشيخ على عبد الرازق ص ٤٨ - ٨٠ .

(٣) انظر المرجع السابق والصفحات ترى تفصيلا كاملا لموقفه المشار اليه من ص ٤٨ : ٨٠ .

(٤) راجع الموسوعة الميسرة ص ١٤٩ .

المستشرقين والمتعربين عملت على نشر الكتاب ، فقد ترجم الى لغات عدة منها الانجليزية والاوردية وهذا كله نكايه في الاسلام وفي الازهر حامل ثوائه في الارض (٥) ولقد ظهرت علمانية هذا الباحث وميوله للاستشراق والمستشرقين ومحاولته للاسلام والمسلمين ويظهر ذلك بجلاء في تأليفه للكتاب سالف الذكر أيضا كان يشرف على مجلة اترابطة الشرقية التي تهجم الاسلام وانتصح هذا أكثر في اقامته حفل تكريم لارنست رينان في الجامعة المصرية بمناسبة مرور مائة عام على وفاته (٦) والمعروف أن ارنست رينان كان مستشرقاً فرنسياً حاقداً لم يدخر وسعاً في مهاجمة العرب والمسلمين ولا ريب فهو صاحب نظرية التعصب الجنسي وتقسيمه الى آري وسامي مفضلاً الأول علي الثاني وعنى بالثنائي العرب والشرق عموماً والآن مع بعض نصوص الكتاب « الاسلام وأصول الحكم » لنرى بأنفسنا كيف « كان على عبد الرازق » يعمل جاهداً على استبعاد المنهج الاسلامي من واقع الحياة مع اعتبار الاسلام منهجاً روحياً فقط كما هو بمنطق الكتاب وشي بيان وجهة نظره هذه يقول على عبد الرازق : « ان الدين الاسلامي بريء من تلك الخلافة التي يتغافلها المسلمون وأن الخلافة ليست في شيء من الخطط الدنيوية ولا القضاء ولا غيرها من وظائف الحكم ومراكز الخلافة وانما تلك كلها خطط سياسية صرفة لا شأن للدين بها فهو لم يعرفها ولم ينكرها ولا أمر بها ولا نهى عنها وانما تركها لنا لنرجع فيها الى أحكام العقل وتجارب الامم وقواعد السياسة كما أن تدبير الجيوش الاسلامية وعمارة المدن والشعور ونظام الدواوين

(٥) انظر د. محمد عمارة الاسلام والسياسة ص ١١٠ .

(٦) انظر الموسوعة الميسرة ص ١٤٩ .

لا شأن للدين بها وإنما يرجع فيها إلى العقل والتجربة أو إلى قواعد
 الحروب أو هندسة المباني وآراء العارفين» (٦) ويوضح رأييه أكثر
 والذاهب إلى أن الإسلام منهج روحي أو يعود إلى شائفة الروح فقط
 وأن الحياة ترد إلى دائرة العلم الوضعي سواء منها الاجتماعية
 والسياسية إذ لابد من تحريرها وإبعادها عن الدين فذلك وحده هو
 سبيل الرقي والتقدم واللاحق بركاب الغرب وإلى مسابقة الشعوب في
 طريق المدنية هذا كله ما نفهمه من عبارته الآتية والتي يقول فيها
 « لا شيء في الدين يمنع المسلمين أن يسابقوا الأمم الأخرى في علوم
 الاجتماع والسياسة كلها وأن يهدموا ذلك النظام العتيق الذي ذلوا له
 واستكانوا إليه وأن يبنوا قواعد ملكهم ونظام حكومتهم على أحدث
 ما أنتجته العقول البشرية وأمتنى ما دلت تجارب الأمم على أنه خير
 أصول الحكم » (٧) ومما سبق يتبين لنا أن « هذا الوجه للحركة
 التغريبية الذي يتخطى في خطورته ونتائجه السياسية والاجتماعية
 كل الحدود وينطوي على قلب شامل للصورة التاريخية التي تبلورت في
 التجربة الحضارية الإسلامية حيث أراد أصحاب هذه النزعة (٨) جعل
 الإسلام مجرد دين فحسب بالمعنى الغربي الحديث لهذه الكلمة (٩)
 أي باعتباره منظومة روحية من العقائد التي تدور حول القضايا الكلامية

(*) على عبد الرازق الإسلام وأصول الحكم ص ١٠٣ سنة ١٩٢٥ القاهرة

(٧) نفس المرجع السابق والصفحة .

(٨) أعني نزعة التشبه بالغرب في كل شيء حتى خلع الدين من ربقة

النفوس .

(٩) أي لا دين في السياسة ولا سياسة في الدين كما هو مفهوم الدين

عند الغرب .

أو العقائدية المجردة حول الله والانسان والوجود الأول والآخر» (١٠)

وقد سلك أرباب هذا المذهب منهجا غريبا لابتعاد الاسلام عن الحكم وتغريب المسلمين وفى النهاية ارضاء المستشرقين وارواء غلتهم انرامية الى الحقد على الاسلام ومحاولة هدمه والذهاب به من نفوس معتنقيه وذلك بوسيلتين :

الوسيلة الاولى : وتتمثل فى الدعوة الى ادماج الشريعة الاسلامية الغراء فى القانون الوضعى بحيث ينتهى الامر باستبدال القانون الوضعى بالشريعة وهيمنته عليها وتأسيس الحكم والقضاء لا على أساس من شرع الله تعالى كما جاء فى كتابه الحكيم وسنة نبيه ﷺ المطهرة بل على أساس من القوانين الوضعية الغربية التى اخترعها الغرب عقب الثورات المتوالية فى أوروبا وخاصة الاحكام الفرنسية التى دخلت مصر بالفعل أيام الخديوى اسماعيل ومازالت حتى وقتنا هذا .

الوسيلة الثانية : وهى أخطر من الاولى وأشد حيث تتمثل فى استبعاد الاسلام بالفعل من الحقل السياسى والاجتماعى واتهامه بأنه قاصر لا يصح أن يبنى عليه سياسة أو ملك وهذا ما حدث بالفعل فى العالم الغربى المسيحى الذى تبرأ من الكنيسة ورجالها بعد أن ذاق الشعب الاوربى الامرين من جراء حكم رجال الدين الكنسى (١١) .

(١٠) التغريب والمأزق الحضارى ص ٥٤ .

(١١) لمزيد الايضاح والتفصيل راجع أسس التقدم عند مفكرى الاسلام

ص ٣٣٩ وما بعدها .

وهذا ما أراد أن يطبقه على عبد الرازق في مجتمعنا المسلم فحتى يتضح هذا المنهج العربي الذي تبناه ننقل هذه العبارات رأساً من كتابه الاسلام وأصول الحكم وفيها يتبين لقارئ الكريم الى أي حد وصل الكاتب في هذه المشكلة التي أثارها في كتابه وأراد بها أن يجارى الغرب يقول على عبد الرازق مؤكداً ومدعماً فصل الدين عن الدولة ، وأن النبي ﷺ ما كان حاكماً بل كان رسولا صاحب رسالة فقط ندعه يتكلم ويبدى رأيه في صراحة « أن محمداً - ﷺ - ما كان الا رسولا لدعوة دينية خاصة للدين لا تشوبها نزعة ملك ولا حكومة وأنه - ﷺ - لم يقيم بتأسيس مملكة بالمعنى الذي يفهم سياسته من هذه الكلمة ومرادفاتها ، ما كان الا رسولا كاخوانه الخالين من الرسل ، وما كان ملكا ولا مؤسس دولة ولا داعيا للملك ، ان ظواهر القرآن المجيد تؤيد القول بأن النبي - ﷺ - لم يكن له شأن في الملك السياسي آياته متصافرة على أن عمله السماوى لم يتجاوز حدود انبلاغ المجرى من كل معانى السلطان ، ولاية الرسول على قومه ولاية روحية وولاية الحاكم ولاية مادية ، تلك ولاية هداية الى الله وارشاد اليه ، وهذه ولاية تدبير لمصالح الحياة وعمارة الارض ، تلك لاديين وهذه للدنيا ، تلك لله وهذه للناس ، تلك زعامة دينية وهذه زعامة سياسية ، ويا بعد ما بين السياسة والدين » هذه مقتطفات متناثرة في فى أماكن متعددة من كتابه قيلت على لسانه « الاسلام وأصول الحكم » (١٢) .

والحق أن أدلة على عبد الرازق على ما ذهب اليه لا تصمد أمام النقد فقد تقدم كثير من الباحثين الافاضل بنقد نظريته هذه وهدموها

ويعينوا أن السند التاريخي فيها لا يخلو من الضعف وأن زعمه القائل بأن الخطط والقواعد الإسلامية المتعلقة بالجهاد والزكاة والغنائم والفيء والخراج وإقامة الحدود فضلا عن عقد اللويحة والرايات وإرسال القضاة إلى الأمصار وغيرها إلى آخر وقوله فيها إنها أمور لا شأن للدين بها وأن الدين ما عرفها وما أنكرها ولا أمر بها ولا نهى عنها هو إنكار صريح لما علم من الدين بالضرورة بل هذا كله من بدهيات الأمور المتعلقة بالدين وأخير شاهد على ذلك تلك النصوص الدينية الصريحة الواردة في هذا الشأن والواقع التاريخي الإسلامي يؤيده ويعاضده فهذا مما لا شك فيه (١٣) فالدين في نظر الفكر السياسي في ديننا الحنيف مرتبط بالدولة فلو تجردت الدولة من سلطان الدين لأصبحت عاجزة بحكم أجهزتها عن إيجاد الضوابط الحاسمة التي تكفل احترام الأوامر الصادرة عن السلطة نظرا لأن السلطة مهما كانت مرهوبة الجانب ومهما أكرت من الشرطة والبوليسية لفرض أحكامها فإنها لا تستطيع أن تضمن الاحترام النابع من داخل الأفراد بل لابد من الترغيب تارة والترهيب تارة أخرى ولا شك أن الدين هو العامل الوحيد الذي تتوفر فيه هذه المقومات ، والواقع يشهد أن الأفراد يحاولون ما استطاعوا احترام قوانينهم ورواين الإسلام في الوقت الذي فيه يحاولون بوسيلة أو بأخرى التحايل على قانون البشر فدعوة هؤلاء إلى فصل الدين عن الدولة هي دعوة مشبوهة منقودة غريبة عن ديارنا (١٤) مستوردة من الخارج ومن

(١٣) قارن محمد نجيب المطيعي حقيقة الإسلام وأصول الحكم طبع

القاهرة سنة ١٣٤٤هـ في أماكن متفرقة منه .

(١٤) راجع ٥: فاروق النبهان مبادئ الثقافة الإسلامية ص ٣٤٩ وما بعدها

المناسب هنا أن نسأل أنفسنا السؤال التقنيدي اياه الى أى حد تصله هذه الدعوة من الفكر الاستشراقى؟؟ وما هى الصلة الوثيقة بينها وبين الغرب الحاقد على الاسلام؟؟؟

ونسير مع الدكتور البهى يرحمه الله تعالى وغيره من الباحثين ليجيبوا عن هذا التساؤل المهم ، والحق أن كل الدراسات والابحاث الاستشراقية ترمى الى قصر العلاقة الدينية على ما بين الانسان ومعبوده سبحانه وتعالى وتتجاهل تماما العلاقة بين الانسان والمجتمع وهى الحقيقة - والله الحمد - التى أبرزها وأوضحها الاسلام أيما توضيح بل أعلى من شأنها وجعلها ركيزة أساسية من ركائز العقيدة كما أقام بناء الدين الاسلامى على قبول الحكم بما أنزل الله تعالى وتكررت الآيات فى هذا الشأن من مثل قوله تعالى « وَأَن أَحْكَم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتَنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ » (١٥) « وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ » (١٦) « وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ » (١٧) « وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ » (١٨) •

لكن المستشرقين - حتى تعم البلوى - حاولوا جهدهم فرض مفاهيمهم الغربى على الفكر الاسلامى ومما يدخل فى هذا النطاق طرح القضية « الصراع بين العلم والدين » وذلك على النحو الذى يرمى المستشرقون الى اقراره بالانطباع فى النفوس والعقول وهو الدعوة العلمانية على معنى « فصل الدين عن الدولة » وأنه لا دين فى السياسة

ولا سياسة في الدين (١٩) وهذا بناء على زعمهم القائل ان العقيدة الاسلامية تشبه العقيدة المسيحية وهو الزعم الذي أخذ يشرحه وينشره المستشرق الهولندي « ففستك » وريهان وغيرهما (٢٠) وبناء على ذلك نقول : ان هذه الدعوة نشأت في مجتمعات أوروبا ثم حاول المعجبون بالغرب المفتونون بالاستشراق أن ينقلوها الى مجتمعاتنا على الرغم من اختلاف التربة والبيئة والاسباب التي أدت الى وجودها في أوروبا حيث ان المجتمع الاوربي بما قاساه وعاناه من الحكم الكنسي كان لديه تقبل شديد لهذه العمنة أضف الى ذلك أن المسيحية عبارة عن مبادئ في الاخلاق والمثل السامية التي تهذب الروح والنفس الانسانية فهي خالية من التشريع المتكامل الذي ينظم حياة الانسان المختلفة وبناء على ما سبق فان الاسلام يختلف عن المسيحية من جهتين :

الاولى الاسلام قد اشتمل على تشريع متكامل يمكنه أن يفي بجميع جوانب الفكر التشريعي وقد بزغ كثير من العلماء الذين استنبطوا الامور الفقهية من المعاملات والعبادات وغيرها ولهذا كان الترابط وثيقا بين مفاهيم الاسلام الدينية والخلقية والتشريعات الدنيوية .

الجهة الثانية : اذا كان رجال الكنيسة قد استطاعوا أن يكونوا

(١٩) انظر د. محمد البهي الفكر الاسلامي الحديث ص ٤٩ سنة ١٩٧٥

ط ثانية وانظر كذلك د/ محمد أحمد دياب أضواء على الاستشراق والمستشرقين ص ٥١ سنة ١٤١٠هـ ط أولى .

(٢٠) قارن د/ أحمد غراب رؤية اسلامية للاستشراق ص ١ ومابعدها

سنة ١٤١١هـ ط ثانية .

لأنفسهم سلطة روحية وسلطة دينوية حاكمة ومؤثرة حكمت بالحديد
 وإ النار واستغلت العباد لمصالحها فان الاسلام خلا من طبقة تسمى
 بطبقة رجال الدين بالمفهوم المسيحي نعم عندنا علماء في الدين تخصصوا
 فى الدراسات الدينية المختلفة وأخذوا على عاتقهم نشره بين العباد
 من باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وأداء للرسالة التى كُفهم
 بها مولا لهم تبارك وتعالى فهؤلاء العلماء ليست لهم قداسة رجال الدين
 المسيحي وليست لهم امتيازات ولا يملكون من شأنون العباد شيئاً
 فلا صدق غفران ولا كراس اعتراف فى الاسلام بل المسلم يتصل بالله
 مباشرة اذا أذنب تاب ورجع اليه دون وساطة كهنوتية واذا كانت تلك
 الدعوة « فصل الدين عن الدولة » قد شاعت فى المجتمع المسيحي فذلك
 لتصور هذا الدين على غرار ما بينا من هنا كانت محاولة تطبيقه فى
 المجتمعات الاسلامية قياساً غير صحيح فلا يستقيم حال هذه الامة
 بدون تطبيق شريعة الاسلام والتاريخ الطويل خير شاهد على عظمة
 هذا الدين فالاسلام بالنسبة لهذه الامة يعتبر روحها وجسمها معا هو
 فكرها الذى تعيش به ومن أجله وهو تاريخها المجيد الذى تتخر به وهو
 تراثها وخضارتها التى تتباهى وتعزز به (٢١) وقد أحسن ابن القيم عندما
 قال : « الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد فى المعاش
 والمعاد وهى عدل كلها وزحمة كلها ومصلح كلها وحكمة كلها » (٢٢)
 نعم الاسلام خير كله فيه الكفاية فلا داعى الى استيراد فكر دخيل اذا
 لو جردت هذه الامة من دينها اظلت خاوية متهاوية يبعث بها من سموا
 أنفسهم برواد الفكر (انه الفكر الدخيل) وأنصار التبعية الفكرية كما

(٢١) انظر دكتور محمد فاروق التبهان ص ٣٥٠ وما بعدها من كتابه

(مبادئ الثقافة الاسلامية) .

مثلنا لبعضهم فيما سبق اذ الاسلام لا يأتى الا بخير « تنزيل من حكيم حميد » (٢٣) فهو لا يأمر بمضرة ولا ينهى عن مصلحة (٢٤) فأوامر الدين والاخلاق تتجه دائما الى اسعاد البشرية وأن المنفعة والمصلحة تصلح مقياسا ضابطا لكل ما هو مأمور به فى الدين أو منهى عنه (٢٥) فليس هناك شئ فى الوجود كله الا وهو محكوم فى هذا الدين الحنيف بنصوص ومن هنا كانت السلطة محكومة بالاسلام وهى جزء منه بحيث أن السلطة وغير السلطة كلاهما جزء من الحياة التى هى محكومة فى مجملها وتفصيلها بنصوص الاسلام لهذا كله كان الاسلام ديننا مجتمعيا أو اجتماعيا صالحا لأمور الدنيا والآخرة (٢٦) وتبطل دعوة على عبدالرازق وأمثاله ممن ساروا سيرته سواء قبله أو بعده ويبقى العز والحكم للاسلام متمثلا فى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ هذه هى الصلة الوثيقة بين فكر المستشرقين والغرب عموما وبين فكر على عبد الرزاق ونكتفى بهذا القدر من الحديث عن الصلة الوثيقة بينهما وقد يتبادر الى الذهن سؤال يجب أن نطرحه ثم نجيب عليه ؟؟ هل هذا هو رأى على عبد الرزاق حتى آخر حياته ؟؟ على معنى هل استمر هذا الرأى معه حتىلقى الله عز وجل ؟؟ هل تراجع عنه بعد ذلك ؟؟ هذا ما نريد أن نجايه أمام القارىء الكريم فى السطور الآتية واحقاقا للحق نقول حتى يكتشف الغطاء عن الاعين .

(٢٢) ابن القيم أعلام الموقعين ص ١٤ وما بعدها .

(٢٣) سورة فصلت آية رقم ٥٢ .

(٢٤) الشاطبى الموافقات ج ١ ص ١٥٨ .

(٢٥) الشيخ محمد أبو زهرة الامام مالك ص ٣٦٩ وما بعدها .

(٢٦) راجع أسس التقدم عند مفكرى الاسلام ص ٣٨٥ .

رجوع على عبد الرازق عن هذا الرأي :

نستطيع أن نقول أن على عبد الرازق قد رجع عن رأيه أخيراً وأعلن ذلك بصراحة لقد عاد فأعلن حاكمية الشريعة الإسلامية مع وجوب قيام الحكومة المسلمة الملتزمة بتطبيق أحكام الشريعة الغراء مع تطور « شكلي » هذه الحكومة وفق المصلحة والزمان ومع قطع القول بأن روحانية الإسلام فقط هو الرأي الذي كان يقول به في بدء حياته هو من نزوات الشياطين والتي يلقيها الشيطان على لسان المرء بدون قصد (٢٧) من هنا تأتي أهمية الوقوف عند ظاهرة التراجع التي أعلنتها على عبد الرازق عن النحو الذي يقرره ويتميز به الإسلام أنه بحق كما هو واضح من عباراته وتصريحاته وكتابات — على ما سيأتي قريباً إن شاء الله تعالى — يبتدع القول بعلمانية الإسلام ولكنه يتراجع ويعلن أسفه لما قاله من قبل فالإسلام دين تشريعي وليس مجرد دين روحاني فقط ويصرح بقوله : أن عبارة الإسلام رسالة روحية فقط والتي ذكرها في كتابه أصول الحكم في الإسلام هي عبارة ألقاها الشيطان على لسانه ، نحن نعلم أن على عبد الرازق قد صدر الحكم بادانته من هيئة كبار العلماء بسبب قوله السابق أعني انقول بروحانية الإسلام وانفصام علاقته بالحكم والدولة والسياسة وذلك في ١٢ أغسطس سنة ١٩٢٥م وفي اليوم التالي للحكم أجرت معه جريدة « البورص لجيشن » حديثاً وفيه تحدى الهيئة الموقرة وأعلن أنه سيمضي في آرائه ناشراً لها مدافعاً عنها بكل ما يملك من كتابة وتأليف



ونشر ومقالات ومحاضرات واحاديث اى آخر (٢٨) والحق يقال لقت مضت الاعوام والايام دون أن ينجز شيئاً مما قال بل لقد بدا حرصه طوال حياته على البعد عن افكار نقابه انه لم يعد نشره مرة أخرى بعد نفاذه وما تحدث عنه بعد ذلك وكأنه سبه او عار يجب البعد عنه وبعد هذه الممارسة الفعلية للشيخ على عبد الرازق وبعد وقوع الادانة له الى جانب الصمت عن اثاره الفضية اذ يعتبر ذلك تراجعاً ضمناً بل وعملياً وان كان غير معلن او صريح فى الامر واكبر دليل على ذلك التراجع أن الرجل بعد شهر من ادانته نشرت له صحيفه السياسة اليومية (٢٩) تحت عنوان « حديث جديد مع الشيخ على عبد الرازق » وفيه يتراجع بصراحة ووضوح تامين لا لبس فى ذلك حيث يقول « أن الاسلام دين تشريعى وأنه يجب على المسلمين اقامة شرائعه وحدوده وأن الله خاطبهم جميعاً بذلك ، ويجب على المسلمين اقامة حكومة منهم تقوم بذلك ، ولكن الله لم يقيدهم بشكل مخصوص من أشكال الحكومات ، بل ترك لهم الاختيار فى ذلك ، وفق مقتضيات الزمن وحيث تكثر المصلحة » انتهى كلامه والذي أراه وأعتقد أن القارئ الكريم سيوافقنى عليه هو أن هذا الكلام السابق من الشيخ على عبد الرازق يعتبر تراجعاً أكيدا عن القول الذى سبق وأن ذكره فى كتابه (أصول الحكم) انفصام العلاقة بين الاسلام والحكم والدولة والسياسة فبعد أن كان يجيز للمسلمين أن يحكموا بأى نظام كان كالديمقراطى أو البلشفى الشيوعى أو غير ذلك نراه يتراجع كما رأينا ويقول ان الاسلام دين تشريعى أى

(٢٨) راجع فى ذلك دكتور محمد عمارة معركة الاسلام وأصول الحكم

ص ١٣١ سنة ١٩٨٩م طبع القاهرة دار الشروق .

(٢٩) صحيفة السياسة اليومية الصادرة فى يوم ١ سبتمبر سنة

١٩٢٥م نقلا عن الاسلام والسياسة ص ١١١ .

أن فيه الشريعة وقانوننا للمجتمع والدولة بل من الواجب على المسلمين إقامة مثل هذه الحكومة التي تطبق شرع الله وتقيم حدود دينه الاسلام فهذا تراجع أكيد من الرجل وان لم يكن هناك استخدام لمصطلحات التراجع أو الاوبة أو النقد الذاتي (٣٠) وهناك موقف ثان جدير بالذكر والاعبار والتعليق يوضح ما نحن فيه من رجوع الشيخ على عبد الرازق وأوبقته بصراحة قالى هذا الموقف الجريء؟؟ فى عام ١٩٥١م يلتقى الشيخ بالدكتور أحمد أمين ويتبادلان الحديث حول مشكلاتهم المسلمين وما هو الواجب عمه تجاه هذه المشكلات التي تؤرق وتشغل فكان مما ذكره على عبد الرازق ان ادواء هذه المشكلات التي تعوق تقدم المسلمين أن نرجع الى ما نشرته قديما من أن رسالة الاسلام روحانية فقط ولنا الحق فيما عدا ذلك من مسائل ومشاكل (٣١) وفى هذه العبارة اعتراف بما سبق أن نشره فى كتابه الاسلام وأصول الحكم وهو الامر الذى من أجله ادانته هيئة كبار العلماء عام ١٩٢٥ عند صدور كتابه سالف الذكر وقد نشر الدكتور أحمد أمين هذا الحوار فى مجلة (رسالة الاسلام) (٣٢) تحت عنوان « تعليق على مقال الاجتهاد فى نظر الاسلام » .

(٣٠) الاسلام والسياسة ص ١١٢ .

(٣١) مجلة رسالة الاسلام جمادى الآخرة سنة ١٣٧٠ مايو سنة ١٩٥١م

مقال للشيخ على عبد الرازق نقلا عن الاسلام والسياسة ص ١١٣ .

(٣٢) مجلة رسالة الاسلام ابريل سنة ١٩٥١م نقلا عن المرجع السابق

ص ١١٢ .

فقام الشيخ على عبد الرازق بكتابة تعليق نشرته نفيس المجلة (٣٣) وكان تحت عنوان « تعليق على مقال الاجتهاد فى نظر الاسلام » ١٠٠

وقد قام الدكتور محمد عمارة باثبات هذا التعليق كاملاً ونحن هنا نثبت ما نراه ضرورياً يؤكد على القضية التى نحن بصدد الحديث عنها واثباتها الا وهى رجوع الشيخ على عبد الرازق عن رأيه القديم قال ما نصه « قرأت فى العدد الاخير من مجلة (رسالة الاسلام) المؤرخ جمادى الآخرة سنة ١٣٧٠ هـ ابريل ١٩٥١م بحثاً قيماً لحضرة صاحب العزة الكاتب الكبير أحمد أمين بك تحت عنوان « الاجتهاد فى نظر الاسلام » وقد جاء فى صدر هذا البحث أنه كان يتجادل معي ، وكنا نستعرض حال المسلمين وما وصلوا اليه من جهود ، فقمت فيما قات « ان دعاء ذلك أن نرجع الى ما نشرته قديماً من أن رسالة الاسلام روحانية فقط ولنا الحق فيما عدا ذلك من وسائل ومشاكل » وقفت أمام ناظرى كلمة « رسالة روحانية فقط » ولم نشأ أن تمر من غير أن تشير ذكرى قصة قديمة لهذه الكلمة معي ، وتبعث من جديد فى خاطرى صوراً من هذا الصراع الذى احتدم بيوم نشرت كتاب « الاسلام وأصول الحكم » فقد زعم الطاعنون الذين جعلوا فى قلوبهم الحمية يومئذ : أننى فى ذلك البحث قد جعلت الشريعة الاسلامية شريعة روحية محضة ، ورتبوا على ذلك ما طوعت لهم أنفسهم أن يفعلوا ، أما أنا فقد رددت ذلك عليهم وقلت لهم يومئذ صادقاً مخلصاً « اننى لم أقبل ذلك مطلقاً » فى هذا الكتاب ولا فى غيره ولا قلت شيئاً يشبه ذلك

(٣٣) مجلة رسالة الاسلام عدد مايو سنة ١٩٥١م نقلاً عن المرجع

السابق ص ١١٣ .

الرأى أو يدانيه » ثم كان ما كان من ندد فى الخصومة وتماد فى الحق وفى الباطل ومضابره فى الهجوم وفى الدفاع ، الى أن قامت هدنة ظال أمدها ، والله وحده يعلم هل تمت الرواية ام لم تتم فصولها ؟؟ أسوق هذا الحديث ليذكر الاستاذ الكاتب الكبير أن فكرة روحانية الاسلام لم تكن رأيا لى يوم نشرت البحث المشار اليه وأنا نى رفضت يومئذ رفضا باتا أن يكون ذلك رأى : فما ينبغى - وذلك موقفى - أن أعيد اليوم فأقول اننى أدعو الى أن نرجع الى ما نشرته قديما من « أن رسالة الاسلام روحانية فقط » لان ذلك لم يكن رأى فى تلك الرسالة ولا فى غيرها :

أرجو أن لا يظن صديقى أحمد أمين بك أو من يقرأ كلمتى هذه أننى أمارى من قريب أو من بعيد فى صحة الحديث الذى رواه عنى فانى لأذكر هذا الحديث نفسه ، وأذكر أين ومتى كان ، وما ينبغى لى ، يرويه أحمد بك أمين أن يكون موضعاً للمراء ، وما أرى فى الامر الا أن هناك خطأ فى التعبير جرى به لسانى فى المجلس الذى كنا نتجادل فيه ونستعرض حال المسلمين ، وما أدرى كيف تسربت كلمة روحانية الاسلام الى لسانى يومئذ ولم أرد معناها ولم يكن يخطر لى ببال ، بل لعله الشيطان ألقى فى حديثى بتلك الكلمة ليعيدها جذعة تلك الملحة التى كانت حول كتاب « الاسلام وأصول الحكم » والتى أشرت اليها آنفا وللشيطان أحيانا كلمات يلقيها على ألسنة بعض الناس هذه كلمة غير ذات بال لا تمس موضوع المقال ولكنها تصحح وضعاً شخصياً أرى من الانصاف أن يصحح •

أما الموضوع فى ذاته فقد رأى الاستاذ الكاتب الكبير أن نظريته يؤدى الى نفس النتيجة التى أراها » وأنه ليشرح صدرى أن يرى

الاستاذ الكبير أن غايته تتفق وغايتي ، وذلك فضل من الله كبير ، وما يسرني أن لى به حمر أنعم ومن يدرى ؟ فلعلنا لو حققنا النظر فيما يظنه الاستاذ الكبير خلافا بيننا فى المقدمات لا فى النتائج لوجدنا أكثره يرجع الى اختلاف فى الاسماء وفى تحديد ما تحمل من معانى ، ولعلنا لو استطعنا أن نحدد الكلمات التى يقوم الخلاف حول معانيها ومدلولاتها ، مثل كلمات روحانية الاسلام ، والاجتهاد المطلق ... الخ لوجدنا — بعون الله — الاتفاق تاما بيننا فى المقدمات والنتائج وفى المبادئ والغايات « (٣٤) » .

هذا هو نص المقال الذى كتبه على عبد الرازق علق به على ما كتبه أحمد أمين عن الحوار الذى دار بينهما وبصرف النظر عن نفى على عبد الرازق لما تضمنه كتابه الاسلام وأصول الحكم اذ من المعروف أن فى كتابه العبارات الكثيرة التى تدل على أنه من انقائين بروحانية الاسلام فقط وقد نقلنا الكثير منها فيما سبق عند عرضنا لآرائه وصلتها بالمستشرقين فليرجع انيها م ن أراد .

يكفى هنا أن نشير وهذا هو المهم أنه قد اعترف بأنه قال أمام أحمد أمين أن رسالة الاسلام « الروحانية فقط » وأن هذا ليس بالكلام الجديد وإنما قيل من قبل فى كتابه الاسلام وأصول الحكم اذ أنه فى المقال سالف الذكر يدعو الكاتب الكبير أحمد أمين ومعه القراء الى ترك

الظن بأنه يمارى فى صحة الحديث الذى كتبه عنه أحمد أمين ونشره
فى (رسالة الاسلام) •

لكن المهم فى الامر أنه يذكر — بعد ذلك — أن هذا خطأ فى التعبير
جرى به لسانى دون قصد منى ، ولعل الشيطان هو الذى قذف بها على
لسانى دون قصد منى وللشيطان كلمات يلقيها أحيانا على السنة بعض
الناس فهذا اعتراف صريح برجوعه عن آرائه السابقة واعتذاره عنها
وأسفه لما بدر منه ونسبة ذلك الى الشيطان صاحب الافعال مع بنى آدم

٢ - شبل شميل :

وعلى الرغم مما حققه الاسلام للانسانية من حضارة وتقدم الا اننا نرى بعضهم وخاصة الخارجين عن هذا الدين المنتصرين من المسيحيين يعرفون بما لا يعرفون أن الاسلام أعطاهم حقوقهم كاملة وعاشوا في كتب الاسلام عيشة طيبة لكنهم تنكروا لهذا الجميل وحملوا حملتهم ضد الاسلام ومن هؤلاء شبل شميل الذي قاد الدعوة الى العلمانية والدفاع عن الاستشراق ومهاجمة قيم الاديان والاخلاق (١) ونحن بالطبع لا يمكننا أن نسير معه في كل ما قال لكننا سنأخذ بعض المواقف التي تبرهن وتؤكد على ما ذهبنا اليه أولا :

تبني نظرية داروين في النشوء والارتقاء : لقد أخذ يدافع عنها بكل ما أوتي من قوة البيان وحمل على عاتقه نشرها في دول الشرق المسلم وتوالت مقالاته في مجلة المقتطف ، وتعلم أن نظرية داروين تنفي وجود الاله تعالى بنسبة الخلق الى ابتولد الذاتي من الجماد (٢) كما بشر بالقيم العقلانية في البناء الاجتماعي والحضاري رافضا الدور الذي تقوم به الاديان في بناء الحضارات وتأسيس المجتمعات على الفضائل واثم والاخلاق ، ولقد أدت هذه الافكار الى ضجة كبرى في بلادنا المسلمة

(١) قارن الموسوعة الميسرة ص ١٥٠ .

(٢) راجع تفاصيل هذه النظرية في رسالتنا للدكتوراه بعنوان نظرية

التطور في ضوء الاسلام .

(٣) راجع تفاصيل هذه النظرية في رسالتنا للدكتوراه بعنوان نظرية

التطور في ضوء الاسلام .

شأن الأمة» (٦) بل اندين لا يأتي من ورائه الا الاذى والبغضاء
والحق «غالدين يفضى الى التعصب وغير ذلك من الصفات السلبية
التي يتحلى بها الناس» (٧) •

لكن ما موقع هذا الكلام السئ من كلام الغربيين وخاصة
المستشرقين؟؟

لا شك أن من أكبر الاهداف الاستشراقية اضعاف روح الاخاء بين
المسلمين وتفرقتهم لاحكم السيطرة عليهم وهذا ما صنعه الشميل من
محاولة اضعاف الرباط الدينى بين أبناء الأمة الواحدة بمحاولة الحط من
الدين وأثره الطيب فى نفوس البشر ومن أسوأ الاهداف التي قصدها
المستشرقين ذلك الدافع السئ اللاهوتى النصرانى بغية تحطيم الاسلام
من داخله بالدس والكيد والتشويه وهذا (٨) ما صنعه أو حاول أو يصنعه
الشميل ، غنى عن الكلام أن مقصد الشميل كان استشراقيا خالصا
«والله مقيم نوره ولو كره الكافرون» (٩) •

على أية حال فان هذا الذى ذكرناه سابقا من حقد على الدين
ومحاربته من أبناء الشرق هو موقف المستشرقين من الاسلام دائما
تبناه رجال من أبنائنا ودافعوا عنه يقول ريتان المستشرق الفرنسى
المتعصب «ان الاسلام لا يشجع على العلم والفلسفة والبحث الحر

(٦) نفس المرجع ج ٢ ص ٥١ •

(٧) المرجع السابق والصفحة •

(٨) انظر الموسوعة الميسرة ص ٣٧ ، ٤١ •

(٩) سورة الصف آية رقم ٨ •

بل هو عائق لها» (٩) وزعم وثيام موير «ان سيف محمد والقرآن هما
ألد الأشياء عداوة للحضارة وحرية والنق» (١٠) فهل هذا الكلام من
عين ما تبناه الشميل؟؟ بل حاول أن ينشره في العالم العربي المسلم؟؟
أقول نعم هو عينه لقد تأثر الشميل بالنزعة المادية اللاحادية التي
سادت أوروبا في عصر النهضة فاعتقد أن الدين هو الحاجز عن التقدم
والرقى والحضارة كما كان الحال في أوروبا قبل عصر النهضة فقام يدعو
لتطبيقه في العالم العربي من هنا كانت حملته على الأديان لأنها تعوق
التقدم والرقى - كما ادعى - وإذا كان المستشرقون (كما سبق الذكر)
قد قالوا ان الاسلام عائق عن الفكر والفلسفة والنظر وابتعث الحر
فلن شبل شميل يرى أنه لا شيء كالدين يقيد حرية الفكر والتعبير (١١)
وصديق رسول الله ﷺ عندما قال محذرا ايانا من موالاة القفار
«للتبعض سنن من كان قبلكم شبيرا شبيرا واذراعا ذراعا حتى لو دخلوا
جر ضب لتبعموهم» (١٢). لكن المدارس لتاريخ الحضارات يتبين له
بجلاء ما أدته الديانات للبشرية من رقى وتقدم وحضارة والتاريخ خير
شاهد على أن الأمم ترقى عندما تتمدت بالأديان وعندما تركت الأديان
انهارت وبادت وخير شاهد على ذلك أيضا دراسات جروسقاف لوبون

(*) د/ محمود حمدي زقزوق الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع

المضاري ص ١٣٤ سنة ١٩٨٣ .

(١٠) انظر رؤية اسلامية للاستشراق ص ٣٨ .

(١١) انظر جوزيف مغيزل العروبة والعلمانية ص ٢٠ دار النهار للنشر

سنة ١٩٨٠ م .

(١٢) الحديث رواه البخاري كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ج ١٣

ص ٣١٢ فتح الباري طبعة دار الريان للتراث ورواه الامام مسلم بشرح

النووي كتاب العلم ج ١٦ ص ٢١٩ طبعة دار الريان للتراث وابن ماجه

كتاب الفتن ج ٢ ص ١٣٢٢ طبعة دار الريان للتراث .

جاءت أبحاثه وكتبه الكثيرة عن الحضارات وخاصة الحضارة الإسلامية وقد جاءت دراسته فيما متسمة بالانصاف على الرغم من أنه ملحد لا يؤمن بالاديان مطلقا وخير الفصل ما شهدت به الاعداء (١٣) بهذا تسقط دعوى الشميل ضد الدين وحضارته .

ثالثا : تطبيق فكرة الغرب فى التجربة الدينية :

والمطلع على كتابات الشميل يظهر له بوضوح المؤثرات الثقافية الغربية على تكوينه وشخصيته انه يحاول قدر الامكان تطبيق المفهوم الدينى الغربى كما ظهر وتطور فى الممارسة الفعلية تجاه الفكر والحضارة فى أوربا المسيحية النابذة للدين بعد أن ذاقت من حكم رجال الدين الكنسى — كما سبق أن تحدثنا مرارا — فى هذا الشأن فأتانا شبل شميل محاولا نقله وتطبيقه — وفق منهج تعميمى خاطئ — فى بلادنا المسلمة ذات الفكر والحضارة والمثنية الإسلامية ومن كتابته المتعمدة نرى الخلط الواضح للمفاهيم ونجاهلا متعمدا لحقائق التاريخ الحضارى انه يخطأ بين التجربة الدينية الغربية وبين التجربة الدينية فى المجتمعات الاخرى محاولا فى منهجية قاصرة اخضاع فهمه للمسألة الدينية من خلال تجربة العصور الوسطى المسيحية (١٤) وهى العصور المظلمة كما نعلم واكبر دليل على ما نقول ما ذهب اليه من أنه « لا حاجة للقول ان الامثلة التى تدلل على أن رجال الدين هم المسؤولون عما آلت اليه الظروف بالرغم من أن تعاليم الدين تدعوهم الى ما يخالف

(١٣) انظر تفصيلا أكثر جوستاف لوجون حضارة العرب ترجمة عادل

زعيتر ففيها أمثلة ونماذج كثيرة تؤكد على ما ذكرنا .

(١٤) راجع التغريب والمأزق الحضارى ص ٥٠ ، ٥١ .

سلوكهم ، رؤساء الاديان من كل دين وملة علموا الناس حتى اليوم غير ما تأمرهم به الاديان وكم قاموا يبيعون دينهم وفرطوا بمال الايتام» (١٥) لا شك في أن القارئ الكريم سوف يلحظ من هذا النص السابق أن شبلى الشميل قد خلط بين الادوار السلبية التي اداها الدين في حياة الغرب قبل عصر النهضة على يد رجال الدين المسيحي في مجتمعات أوروبا في عصورها المظلمة (الوسطى) من استغلال للسلطة الكهنوتية على ما سبق أن بينا ذلك عند حديثنا عن علي عبد الرازق (١٦) حيث كان الدين في هذه الحقبة الزمنية عبارة عن الخضوع المطلق لكل ما يصدر عن الكنيسة من اجتهادات وتحليلات واعتبر كل من يخالف ذلك خارجا عن سلطة « الاكليروس » التي تحكم باسم الدين وهو ما عرف باسم « الحكومة الشيوقراطية » في تجربة الغرب الدينية وقد تسببت هذه الافعال من رجال الكنيسة أو بعبارة أخرى الحكم الكنسي من تشدد في الدين والحكم مع التسايط على الرقاب وابتزاز الاموال تحت أسماء مختلفة (صكوك الغفران كراسي الاعتراف الى آخر) ومصادرة العلماء الى ثورة العقل الوضعي العلمي بكل توجهاته ورفض الحديث مطلقا عن امكانية قيام أى مشروع حضارى ترتبط فيه الجوانب الدينية بالجوانب المدنية أو بالمصطلح المعروف ربط الدين بالدولة (١٧) من هنا قامت الدعوة في أوروبا الى

١٥) أسس التقدم عند مفكرى الاسلام ص ٣٤٠ .

١٦) راجع حديثا في هذا البحث عن علي عبد الرازق لتري نفس

النتيجة .

١٧) راجع دكتور محمد فاروق النبهان مبادئ الثقافة الاسلامية

ص ٣٥٠ وما بعدها وانظر كذلك التفريب والمآزق الحضارى ص ٥١ .

فصل الدين عن الدولة وهو ما اشتهر بأنه لا سياسة في دين ولا دين في السياسة وهكذا حقق الشميل بعض ما يصبو اليه المستشرقون وتقصت على يديه وأمثاله الخلافة الاسلامية والرابطة الاسلامية وهي الحركة التي نذر من أجلها المستشرقون حياتهم فانقد كان المستر بلنت وهو مستشرق حاقم حائق يطوف هو وزوجته مرتديا الزي العربى داعيا الى القومية العربية والى انشاء خلافة عربية بغية تحطيم الرباط الاسلامى الوثيق (١٨) •

وقد سبق أن وضحنا هذه النقاط فليرجع اليها من أراد الاطلاع حيث ضربنا — هناك — الامثلة الكثيرة من أقوال المستشرقين وأفعالهم ضد الاسلام والمسلمين انه التدبير والتخطيط الاستشراقى الذى لا ينام ليل نهار « فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم » (١٩) •

(١٨) انظر الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب المحاصرة ص ١٤٧

(١٩) سورة البقرة آية رقم ٦٢ : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَاتَّخِذُوا لِلدِّينِ حُدُودَ اللَّهِ

٣ - طه حسين :

كان من أشد الناس إعجاباً بالاستشراق والمستشرقين يعتبر من أكبر مؤسسي المدارس التغريبية في العالم الإسلامي وكان له تلاميذ ساروا على نهجه لكنه يعتبر هو من أبرز دعاة التعريب ، ولا ريب في ذلك فقد تلقى علومه في فرنسا على يد الفاجر المتحلل من ربة الأديان « دور كايم » (١) وهو مستشرق فرنسي يهودي عمل لخدمة الصهيونية العالمية وحاول نشر آرائها الهدامة كما رسمتها البرتوكولات (٢) وأمامنا كتابان لطه حسين هما [في الشعر الجاهلي ، ومستقبل الثقافة في مصر] وقد أودعهما أخطر آرائه على الإسلام والمسلمين وكما هي عادتنا سوف لا نسير معهما إلى آخر الخط لكننا سوف نقف معهما بعض الوقفات التي تعطي الضوء أمام القارئ والحاصل أن طه حسين يثير الاهتمام عند من يقرأ كتابيه السابقين أنه ينقاد الانقياد الكامل للقيم الغربية ويتجرد من كل روح نقدية بازاء هذه القيم تقريبا في المواقف الذي نراه ينهال على الإسلام [بكتابه ونبيه ﷺ] نقداً وهدماً وتشويهاً ونفياً للحقائق الثابتة كل هذا من أجل خدمة الاستشراق والدعوة إلى العلمانية في مصر بنز الدين والأخلاق والمثل العليا النابعة من تعليمات الإسلام الدين الحنيف والتمسك بكل ما هو أوربي من

(١) راجع بحثاً كاملاً في دوركايم بحولية كلية أصول الدين بشبين

الكوم منوقية للمؤلف وهو بعنوان دوركايم ربيب الثقافة الصهيونية .

(٢) انظر بالتفصيل المرجع السابق وانظر كذلك الخطر الصهيوني

برتوكولات حكماء صهيون لترى بنفسك الخطر الذي ينتظر العالم من جراء هذا التخطيط الخطير على الدين والأخلاق والمثل والاقتصاد وغيرها

عادات وتقاليد وغيرها ويصور بعض الكاتبين هذا التوجه من طه حسين ناحية الغرب فيقول « ان التوجه شطر الغرب هو في منظار طه حسين بمنزلة العودة الى الذات وبما أن مصر كانت ساعية الى الاستقلال فيستوجب عليها إعادة ما انقطع وخصوصا أن كل ما في الحياة المصرية الحديثة ماديا واجتماعيا وسياسيا وتعليميا إنما هو أوربي خالص » (٣)

الوقفه الاولى :

التشكيك في صحة القرآن الكريم وأنه ليس من عند الله :
نستمع لطله حسين وهو يحدثنا في كتابه الشعر الجاهلي « للتوراة ان تحدثنا عن ابراهيم واسماعيل وللقرآن ان يحدثنا أيضا ولكن وروود هذين الاسمين في التوراة والقرآن لا يكفي لاثبات وجودهما التاريخي ثم يذكر بعد ذلك قائلا « وقد كانت قريش مستعدة كل الاستعداد لقبول هذه الاسطورة في القرن السابع للمسيح » والاعجب من ذلك أنه ينفي نسب النبي ﷺ الى أشرف قريش (٤) ويستمر هكذا في مهاجمة القرآن الكريم والتشكيك في أخباره الصادقة من عند الله تعالى كقصة الخيل وابنه اسماعيل ونزولهما بمكة كما يدعوننا الى أن ندرس القرآن لا على أنه كتاب منزل من عند الله تعالى بل على أنه كتاب كأي كتاب لا بد أن ندرسه دراسه فنية بقطع النظر عن مكانته الدينية وقد سار على هذا النهج أمين الخولي وهو أحد مدرسي مادتي التفسير والبلاغة بالجامعة

(٣) د. أحمد شلبي طه حسين رجل فكر وعصر ص ٤٣٤ بيروت سنة

١٩٨٥ م

(٤) طه حسين في الشعر الجاهلي ص ٢٦ وما بعدها سنة ١٩٢٦ م وانظر

في هذا الشأن فقرات متعددة منه

المصرية فقد كان يتبنى في تدريسه هذا الخط ويروج لافكار استتاده طه حسين في الدعوة الى ذلك وقد استمر أمين الخولى في هذا الخط حتى سنة ١٩٤٧م عندما اكتشفه الشيخ محمود ثلثوت رحمه الله تعالى (٥) ولنا وقفة متأنية بعد ذلك مع هذه النقطة ان شاء الله تعالى •

وبهذا نستطيع أن نقول وبكل تأكيد ان طه حسين قد ترسم هو ومدرسته خطى المستشرقين اذ خدمهم أكبر خدمة وأكبر دليل على ذلك ما نحن بصده الآن وهو تشكيكه في أخبار القرآن فالى أى حد يصل هذا الكلام من كلام المستشرقين؟؟ من الحقائق الثابتة أن المستشرقين كان من هدفهم الاول « كتاب الله تعالى » بمحاولة التشكيك في أخباره والصد عن أحكامه وهذا ما يتضح الآن بجلاء من استعراضنا لبعض فقراتهم وآرائهم في القرآن الكريم والى القارىء الكريم البيان مشفوعا بالنص والمصدر (٦) •

(أ) ننقل هذا افتراء لمرجليوث لكن من هو مرجليوث ؟ هو مستشرق انجليزي متعصب من مدرسته طه حسين وأحمد أمين واذا كان الكلام هنا لمرجليوث وهو استاذ لطله حسين فلا نعجب اذا تأثر التلميذ بأستاده وبئس التأثير ،

وينشئ ناشئ الفتيان منا على ما كان عوده أبوه

(٥) راجع الموسوعة الميسرة ص ١٥٠ •

(٦) راجع فصلا كاملا بعنوان موقف المستشرقين من القرآن الكريم في

كتابتنا المستشرقون وأثرهم السيء على البيئة الاسلامية فيه الكفاية وارواء

الغلة ان شاء الله تعالى •

هذا الافتراء الذى سننقله عن مرجليوت قد أشاعه وأخذ ينشره مستشرق حاقده آخر هو جولد زيهر الشهير بتعصبه وبغضه للإسلام ولنبيه ﷺ كان مستشرقاً مجرياً تخصص فى الدراسات الإسلامية حتى أصبح زعيمها فى أوروبا بلا منازع (٧) لكن الحق قد ملأ قلبه فبدل أن يهتدى (بعد دراسته الواسعة للإسلام) الى الحق قطع الحق قلبه ومزق أمعاءه فأخذ يحارب الإسلام ينقل جولد زيهر افتراء لمرجليوت - استاذ طه حسين - (بأن الآيات القرآنية التى تحكى قدوم ابراهيم الى مكة واقامة ذريته بجوار البيت الحرام بعد أن بناه هو وابنه اسماعيل هذه الآيات مفتعلة وأن الذى دفع الرسول ﷺ الى افتعالها رغبته فى تأليف قلوب اليهود وهن حوله وإثبات صلة القربى بينهم وبين قومه العرب ، على اعتبار أن العرب من نسل اسماعيل ابن ابراهيم وأن اليهود من ذرية اسحاق ابن ابراهيم) (٨) •

هكذا يحاول المستشرقون أن يثبتوا خطأ بعض المعارف القرآنية [طبعا بلا دليل ، أو سند] ليس الا الحق والصدق فاذا تطرق الخطأ الى بعض المعارف القرآنية تطرق الخطأ الى البعض الآخر وهكذا تذهب قدسية القرآن وجلاله وكونه منزلا من عند الله تعالى تماما كما فعلوا بكتبهم من التحريف والتبديل وصدق تعالى فى قوله [انا نحن نزلنا ونكتبهم من التحريف والتبديل وصدق تعالى فى قوله [انا نحن نزلنا الذكر واننا له لحافظون] (٩) وهذا الغرض الدنىء نراه عند قدماء المستشرقين والمحدثين كذلك فاذا كان هذا الراى قد شاع فى العصر الحديث كما رأينا فعلى هذا الدرب سار الاقدمون من أمثال « نيكلاس »

(٧) انظر الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب المعاصرة ص ٣٥ ، ٣٦

(٨) راجع مفتريات على الإسلام ص ١٣٧ •

(٩) سورة الحجر آية « قمْة » وما رقىس من غير ذلك

وهو من رجال الدولة البيزنطية المتعصبين ضد الاسلام ونبيه ﷺ. لقد كتب وفي كتابته نرى محاولة اثبات خطأ بعض المعارف التاريخية الواردة في كتاب ربنا عز وجل لا بواسطة النقد التاريخي — كما يشهد لذلك — « جرونيباوم » (*) بل عن طريق المقارنة مقارنة نص قرآني بما ورد في الكتاب المقدس فينكر أن يكون ابراهيم واسماعيل عليهما السلام قد قاما ببناء البيت الحرام كما جاء ذلك في القرآن الكريم وهذا الإنكار لا يعتمد فيه الكاتب على سند من التاريخ ، وانما ينكر ذلك بناء على أن مؤرخ سفر التكوين الشديد الدقيق — كما يدعى — لم يذكر أى شيء مطلقا عن اقامة الاب الكبير لهذا البيت ، هل هذا هو عين ما ذهب اليه طه حسين ؟؟ أيضا نرى افتراء آخر لنديكتاس على القرآن وهو محاولة التشكيك في صحة أخباره اذ ينكر الطريقة التي روى بها القرآن الكريم قصة أهل الكهف وينتقد النبي ﷺ لانه تجرأ على حكاية هذه القصة وبالطريقة التي ارتضاها — كما هو ادعاؤه — حيث ان طريقته غامضة كما يقول ثم يذكر أن النبي ﷺ تظاهر بتجاهل التفاصيل وانما ذكرها لهدفين الاول اظهار العلم بدآثير من الكتب المنزلة وثانيهما رغبته في استخدام المعجزة لمصلحته الشخصية (١٠) .

غنى عن التعليق بعد الذى ذكرناه أن نقول ان طه حسين تبني أفكار المستشرقين وقد تقلد على أيديهم أخذ ينشرها ويدافع عنها كما رأينا سابقا عن طريق المقارنة بين ما ذهب اليه في شأن القرآن

(*) جرونيباوم مستشرق ألماني يهودى من المتعصبين ضد الاسلام درس في جامعات أمريكا قلعة الاستشراق ألفا في الاسلام له كتاب « الاعياد المحمدية : دراسات في تاريخ الثقافة الاسلامية راجع الموسوعة الميسرة ص ٣٥ »

(١٠) راجع جرونيباوم سبق التعريف به

وما تحدث به المستشرقون سواء القدماء منهم أو المحدثون فهو يشكك في خبر القرآن تجاه قصة سيدنا إبراهيم وإسماعيل تماماً كما صنع المستشرقون وقد اتضح هذا بجلاء عند سياقتنا لآرائهم في نفس القصة

الوقف الثانية :

نفى روح التقديس عن الكتاب الكريم :

ان طه حسين عندما ينظر الى القرآن الكريم لا ينظر اليه على أنه كتاب مقدس « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » له روح التقديس والاحترام وأنه معصوم من الخطأ لأنه وحى منزل ؟ لا كل هذا قد نفاه عن القرآن فهو يدعونا إلى دراسة القرآن الكريم كأي كتاب آخر يحمل لوحة فنية من التأليف والكتابة والنسج والرسم بقطع انظر عن المكانة التي يحظى بها بين المسلمين من التقديس والاحترام (١١) بل انه يسخر من ذكر أول آية شرف بها المصحف كتابة ونسخا وهي بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين فاذا كان النبي ﷺ يوصينا بذكرها في مقبلة كل أمر ذي بال ويحذرننا من تركها كما جاء في حديثه الصحيح [كل أمر لا يبدأ فيه ببسم الله فهو أبتقر] أي مقطوع عن البركة فان طه حسين يسخر منها لقد بدأ محاضرة له في اللغة والادب بحمد الله تعالى والصلاة على نبيه ﷺ ثم أعقب ذلك بقوله « سيضحك مني بعض الحاضرين اذا سمعني أبدأ هذه المحاضرة بحمد الله والصلاة على نبيه - ﷺ - لان ذلك يخالف عادة

(١١) انظر في الشعر الجاهلي مرجع سبق ذكره وانظر كذلك الموسوعة

العصر» (١٢) وهكذا يستمر طه حسين في اغترائه على القرآن والسخرية من كتاب الله وأوامر رسول الله ﷺ ولا شك أن هذا هو ما أرادته المستشرقون من قديم وحاولوا نشره بين المسلمين لكن ما استطاعوا غاتى ابن الاسلام وابن الشرق الاصيل ليختصر امامهم الطريق بنشر تلك الافكار الهزيلة وقد قوبل كتابه (الشعر اجاهلى) برودود الفعل العنيفة من العالم العربى والاسلامى بين الاوساط العلمية والثقافية وذلك لظهور الاغراض الاستشراقية والمرجعية الغربية السافرة والواضحة على قسّمات هذا الكتاب واتوجه بالسؤال التقليدى عن مدى الصلة بين هذا الكتاب وما فيه من أفكار وبين مقصد المستشرقين؟ والحق أن الصلة وثيقة وواضحة بين الفكرين بل الهدفين فقد زعم بعض المستشرقين « أن لغة القرآن لا تتميز عن لغة الادب الدنيوى بعصمة يقينية وهذا أمر يجده المرء فى عدم اتفاق الصحابة - رضوان الله عليهم - فيما بينهم على تبعية بعض فقرات معينة للقرآن فابن مسعود - رضى الله عنه - مثلاً يرى أن سورة الفاتحة والمعوذتين ليست من القرآن على الرغم من أن هذه السور تعد من أشهر المشهورات » (١٣) هكذا يرى القارىء لهذا النص مدى التكلف والتصنع والكذب على الصحابة الاجلاء والنص من الوضوح بحيث لا يحتاج الى تعليق وقد ذهب البعض منهم الى ما هو أبعد من ذلك حيث دعا الى ترك القرآن بالكلية وعدم النظر اليه فالعودة الى القرآن وإلى عصر الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - يعتبر تخلفاً ورجوعاً الى الوراء أنه الرجوع الى الحياة البدائية التى كانت للجماعة

(١٢) راجع مجلة الهلال عدد اكتوبر ونوفمبر سنة ١٩١١ م .

(١٣) راجع الاستشراق والخلفية الفكرية ص ١٠٣ ، ١١٠ .

الاولى من المسلمين فحياة الصحابة المضيئة والدور الذى لعبوه فى الحياة عند هؤلاء ليس الا رجوعا الى حياة الجماعة ابدائية (١٤) وإذا كان طه حسين قد حاول أن يحط من شأن الرسول ﷺ وأن ينفى عنه الانتساب لاشراف قريش (١٥) فهو بهذا قد أدى خدمة جلييلة للمستشرقين انهم أيضا حاولوا كثيرا أن يحطموا من شأنه ﷺ وسلوكوا من أجل ذلك مسالك عدة على سبيل المثال فقد ذكر البعض أن محمدا - ﷺ - ليس بنبي ولا رسول بل هو ناقل وداعى اقتبس معارفة من الديانات السابقة ومن فلسفات الامم القديمة كالهنود والفرس (١٦) الى غير ذلك من الافتراءات .

الوقفه الثالثة :

الانقياد الكامل للقيم الغربية ونبذ الاسلام بالكلية :

وهنا أذكر القارئ الكريم بحديث رسول الله ﷺ مرة ثانية « لتتبعن سنن من قبلكم شبرا شبرا وفراعا وفراعا حتى لو دخلوا جحر صنب لدخلتموه » وهذا ما قام به طه حسين بالفعل فى الشرق المسلم ونترك الآن كتاب الشعر الجاهلى وقد سبق أن وقفنا معه بعض الوقفات ونأتى على كتاب آخر لطه حسين ونقف معه هذه الوقفة المتأنية انه كتاب بعنوان « مستقبل الثقافة فى مصر » لقد عقد هذا

(١٤) انظر الفكر الاسلامى الحديث للدكتور البهى ص ٥٤ ، ٥٥ .

(١٥) قارن الموسوعة الميسرة ص ١٤٨ وانظر كتابة فى الشعر الجاهلى

ففيه الكثير .

(١٦) راجع مفتريات على الاسلام ص ١٢١ ، ١٢٢ ورؤية اسلامية

للاستشراق ص ٣٢ وما بعدها .

الكتاب للعرض الذى عنواننا به هذه الوقفة نستمع اليه بشيء من القانى والنظر وهو يحدثنا عن منهج التجديد الواجب الالتزام به فى اقامه النهضة المصرية الحديثة بعيدة عن الذين بل تترجم بكل ما هو غربى خيرا أو شرا فيقول فى هذا الصدد المشؤوم « لكن السبيل الى ذلك واحدة ليس لها تعدد وهى : أن نسير سير الاوربيين ونسلك طريقهم لنكون لهم أندادا ولنكون لهم شركاء فى الحضارة ، خيرها وشرها ، ظلوها ومرها وما يجب منها وما يكره ، وما يحمد منها وما يعاب » (١٧) وفى موطن آخر حث على ذلك ووجد فيقول « واذا كنا نريد عددا المستقلال العقلى والنفسى الذى لا يكون الا بالاستقلال العلمى والادبى والفنى فنحن نريد وسائله بالطبع ، ووسائله : أن نتعلم كما يتعلم الاوربى لنشعر كما يشعر الاوربى ولنحكم كما يحكم الاوربى ثم لنعمل كما يعمل الاوربى ونعرف الحياة كما يعرفها » (١٨) •

هذا يدعونا طه حسين الى مسامرة الغرب مسامرة كاملة والسير على نهجهم والتمسك بهذا الدرب الى آخر المشوار دون أن نعبأ بدين أو عقيدة أو سلوك مكتسب من هذا الدين اربانى الخفيف بل يجب وجوبا مطلقا أن نبعد الدين عن كل نشاط من شأنه أن يكون حضاريا وعدم الاعتداد بأهمية اللغة كرابط حضارى بين أفراد المجتمع الواحد (١٩) كان له من الاثر القوى على مدى التاريخ فى ربط

(١٧) طه حسين مستقبل الثقافة فى مصر ج ١ ص ٤٥ سنة ١٩٣٨

ط المعارف بمصر •

(١٨) نفس المرجع ج ١ ص ٤٩ وما بعدها •

(١٩) راجع التغريب والمأزق الحضارى ص ٦١ •

المجتمعات وتوثيق الصلات بين الافراد نستمتع اليه يقول في^{٢٠} هذا المعنى : « ومن المحقق ان تطور الحياة الانسانية قد قضى منذ عهد بعيد بان وحدة الدين ووحدة اللغة لا تصححان امساكها للوحدة السياسية ولا قواما لتكوين الدول » (٢٠) هكذا يصدر حكمه جازما غير عابىء بالتاريخ والحضارات وما تشهد به الدراسات فيها بضمها يقول وفيها القاطع لهذا المذهب المحجف بالحقوق لكسبه الاعجاب بحضارته الغالب والاعتنان بأداب وفنون الاقوى وهو ما أكد عليه وإغفار الكاتب الاسلامى ابن خلدون فى موسوعته « المقدمة » فهو يحدثنا أن المغلوب مزلع دائما وأبدا بالافتداء بالغالب فى شعاره وزيه وسائر أحواله وعوائده والسبب فى ذلك عائد الى « أن النفس أبدا تعتقد الكمال فى من غلبها وانقادت اليه أما لنظرة بالكمال بما وفر لها من تعظيمه أو لما تغالط من أن انقيادها ليس لغالب طبعى إنما هو لكمال الغالب فإذا غالطت بذلك واتصل لها اعتقاد غلطت بجميع مذاهب الغالب وتشبهت به وذلك هو الافتداء أو لما تراه والله أعلم من أن غلب الغالب لها ليس بعصبية ولا قسوة بأس وأنه هو ما به انتخاته من العوائد والمذاهب تغالط أيضا بذلك عن الغالب وهذا راجع للكون ولذلك ترى المغلوب يتشبه أبدا بالغالب فى ملبسه ومركبه وسلاحه فى اتخاذها وأشكالها بل وفى سائر أحواله » (٢١) .

هذا ما حققه العلامة ابن خلدون فى بيان أثر الغالب وتأثير المغلوب

(٢٠) مستقل الثقافة فى مصر ج ١ ص ١٥ .

(٢١) ابن خلدون المقدمة ص ١٠١ ، ١٠٢ الفصل الثالث والعشرون

سنة ١٩٨٨ م ط بيروت .

(٦ - المستشرقون)

والحق أن طه حسين قد تجرر واسما وذهب إلى أبعد من ذلك أنه يحاول أن يبرهن ويستدل على سوء ما ذهب إليه مسترشدا بسير الحضارة الغربية وما مرت به من تجربة دينية قاسية على يد رجال الدين الكنسي عندما حكموا - كما تكلمنا في ذلك مرارا فيما سبق - فهذا أكبر دليل عنده على صحة ما ذهب إليه فهو يستشهد بثورة العقل الأوربي على الدين بعد العصور الوسطى انقاسية أي في مطلع عصر النهضة وما تلا ذلك من حضارة تعتبر نتاجا طبيعيا للثورة على الدين والمبادئ والمثل فعلى العقل العربي المتطور أن يسلك هذا المنهج أي يقوم بثورته ضد الدين والأخلاق بذلك يتمكن من تحقيق الحضارة والنهضة فالدين في جانب والسياسة في جانب آخر هل يختلف هذا التصور من طه حسين عن التصور الغربي في شيء ؟؟ اللهم لا خلاف فهذا بحق هو التصور الذي تقوم عليه الحياة الحديثة في دول الغرب المسيحي وعلى حد تعبيره « فقد تخففت أوروبا من أعباء القرون الوسطى وأقامت سياستها على المنافع الزمانية لا على الوحدة المسيحية ولا على تقارب اللغات والأجناس ، فأما الآن وقد عرفنا تاريخنا وأحسنا أنفسنا واستشعرنا العزة والكرامة واستيقنا أن ليس بيننا وبين الأوربيين فرق في الجوهر ولا في الطبع ولا في المزاج فاني لا أخاف على المصريين أن يفنوا في الأوربيين » (٢٢) •

هذا هو منهج طه حسين في كتابه « مستقبل الثقافة » فلا نعجب إذا وقفت الديار المصرية (بمثقفيها المتدينين بدين الله تعالى المؤمنين بالله وبرسوله المؤمنين بأثر الدين في النفوس وما يصنعه من تقدم في

(٢٢) مستقبل الثقافة في مصر ج ١ ص ١٧ وما بعدها أيضا ص ٦٣

من نفس الكبار •

بناء الأمم والشعوب) فى وجه هذا الكتاب ومنعت طبعه مرة أخرى وما صنعتته من ردود فعلية قوية ضد هذا الكتاب لما يرى عليه من مسحات تعريية ومقاصد لستشراقية واضحة لا تحتاج الى برهان ولم يظهر هذا الكتاب مرة أخرى الى الوجود الا مع اعادة طباعة الأعمال الكاملة له فى السبعينات لدار الكتاب اللبنانى ومعلوم أن هذا البلد مسيحى لا يهتم أمر الاسلام فى شىء فأعادت طبعه نكايه فى الاسلام والمسلمين ويبدو والله أعلم — أن من وراء طبعه يدا خفيه من المستشرقين وغيرهم من الحاقدين على الاسلام والمسلمين •

واذا أردنا فى النهاية أن نوجه لانفسنا السؤال التقليدى المعروف الى أين يصل هذا الفكر من طه حسين والى أى حد يشبه فكر الغرب ؟؟ فالاجابة عن هذا التساؤل تكمن فى أن الغرب خاصة المستشرقين كمنوا ومازالوا يمارسون هذا اللون من محاولة تغريب أو علمنة الامم المسلمة والعالم العربى بوجه خاص عن طريق الواقع الاستعمارى المـرير (٢٣) •

ومن المعلوم أن التغريب هجمة نصرانية صهيونية استعمارية فى آن واحد التقت على هدف واحد الا وهو طبع العالم الاسلامى بالطابع الغربى عملا استشراقيا خبيثا يأتى من وراءه محو الطابع المميز للشخصية الاسلامية (٢٤) وهو ما سعى لتحقيقه بالفعل والقول طه حسين وهل يشك عاقل أن الغرب عمومًا والمستشرقين على وجه الخصوص عملوا جاهدين على نشر المذاهب الهدامة بين أبناء المسلمين؟

• (٢٣) انظر التغريب والمآزق الحضارى ص ٦٤

• (٢٤) راجع الموسوعة الميسرة ص ١٥٤

ومنها الدعوة إلى فصل الدين عن الدولة في الفصل بين الدين والمجتمع والتشكيك في قيم المسلمين والدعوة إلى الانخراط في الإصلاح والتغيير وإشاعة القول بأن سبب تأخر المسلمين إنما هو الإسلام ومحاولة المستشرقين توجيه الأدلة الإسلامية فجوا هذه الأهداف المقصودة (٢٥) وقد سبق الحديث في ذلك مرارا بضرب الأمثلة فيرجع إليها من أراد.

والخلاصة أن الاستعمار بمعاونه الاستشراق مع الشيوعية والماسونية وفروعها المتعددة مع الصهيونية العالمية قد تكاثفت جميعها مع دعاة التطويق بين الأديان وتآزرت جهما على هدف واحد هو محاربة الإسلام ودعم حركة التغريب وتأييدها ومحاولة نشرها في العالم العربي بخاصة وفي العالم الإسلامي بعمامة ذلك من أجل تطويق الإسلام وتطويعه ليكون المخططون أداة طيعة لينة بأيديهم (٢٦) وهو ما تحقق على يد المستعربين ممن ضربنا أمثلة لهم فيما سبق ولعل في منهج طه حسين أكبر دليل على ذلك وهو الهدف الذي أعينه المستشرقون بكل صراحة ووضوح كما يتمثل ذلك في كتاب المستشرق الإنجليزي «جب» بعنوان «إلى أين يتجه الإسلام» إذ يقول فيه «من أهم مظاهر سياسة التغريب في العالم الإسلامي تنمية الاهتمام ببعث الحضارات القديمة — كما أعلن في بحثه هذا صراحة — أن الهدف من هذا البحث هو معرفة إلى أي مدى وصلت حركة تغريب الشرق وما هي العوامل التي تحول دون تحقيق هذا التغريب» (٢٧) وهذا وقد

(٢٥) نفس المرجع السابق ص ١٥٢ .

(٢٦) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ص ١٥٢ .

(٢٧) نفس المرجع ص ١٥٠ .

اختلفت وجهات النظر نحو تقويم طه حسين (٢٨) .
وعلى أية حال فإن المسلم اوعى الذي أطلق على كتابيه « الشيعة
الجاهلي » و « مستقبل الثقافة في مصر » لا يسعه الا أن ينكر هذا
الوجه ذهب اليه طه حسين على غرار ما سبق أن بيناه في بعض الامثلة
لأنه بالفعل كفر صراح ان انسانا ينكر بعض ما جاء في القرآن من
أخبار تاريخية أو يتوجه الى رسول الله ﷺ يمثل هذا التوجه لا شك
يعتبر كافرا لكنه التلّث الواضح بأفكار المستشرقين كما سبق أن
وضحت بالدليل القاطع والبرهان الناصع لكن مما يثير بالخير ما يذكر
البعض من أنه رجع عنه له وتاب وأتاب وتوجه الى أنفسنا هذا
السؤال ونحاول الاجابة عنه :

هل رجع طه حسين عن رأيه ؟ أم استمر عليه ؟؟

ان مما يثير بالخير أن نجد بعض العبارات منقولة رأسا عنه وفيها
تري بالفعل أن طه حسين قد رجع عن هذا الكفر وعاد الى حظيرة
الاسلام والله تعالى وحده هو الذي يعلم صحة هذا القول وان كنا
نرجو (مخلصين) من الله تعالى أن يكون هذا القول صحيحا وليس من
باب الاشاعة وانتضليل فلذل جواد كبوة ولكل عالم نبوة — كما
يقولون — فلعن الله أن يكون قد هداه وبصره بطريق الصواب وما ذلك
على الله بعزيز غاية الامر أنه يفهم من كلام الدكتور محمد الدسوقي (٢٩)
والذي عمل مع طه حسين في العقد الاخير من عمره أنه لم يعد تراثا

(٢٨) محمد عبد الفتاح عليان أضواء على الاستشراق ص ٣٢ سنة ١٤٠٠

ط أولى .

(٢٩) دكتور محمد الدسوقي مقال بمجلة العربي بعنوان رسائل الى طه

حسين ص ٣٦ عدد نوفمبر سنة ١٩٧٦م ذو القعدة ١٣٩٦هـ .

أى كتاب من كتبه وأنه لم يحاول تعديله أو حذف أو إزالة شئ منها عند إعادة طبعها وإن الكتاب الوحيد الذى تمنى طه حسين أن يعدل بعضاً منه هو « كتاب مستقبل الثقافة فى مصر » .

وقد وجدنا كلاماً طيباً عن طه حسين يبشر بالخير مما يجعلنا نعتقد بعض الشئ أن الرجل قد ختم له بالخير إن شاء الله تعالى هذا الكلام يذكره الدكتور محمد عمارة وهو الرجل الذى اعتنى بطباعة كتب الطهاوى وغيره واعتنى كذلك بتحقيقها نجده ينقل كلاماً من كتابى طه حسين فى الشعر الجاهلى ومستقبل الثقافة فى مصر ويأخذ فى نقده ثم بعد هذا الكلام يقول : « إن المقام ليس مقام الاغاضة فى نقض هذا البناء فقد تهاوى من الأساس وإنما المقام مقام الحديث عن عودة طه حسين عن هذا المذهب وتراجع غير المعان ولا الصريح بسبب من « كبريائه - المتضخم عن الآراء فالرجل قد عاد فى العقود الأخيرة من حياته الفكرية الى الحديث عن تميز الامة العربية قومياً وسياسياً على النحو الذى يجعل لهذا التميز مدخلاً فى وحدتها القومية ... » قتراجع - بهذا التطور - عن اهمائه - السابق - « اللغات والاجناس » كمقوم من مقومات السياسة والوحدة السياسية « (٣٠) هذه واحدة من تراجماته الكثيرة التى يذكرها الدكتور محمد عمارة .

أما الثانية : وهى أهم من سابقتها وأخطر - لو صح الخبر - لعمري « أن الرجل قد كان - فى حياته - يعيد طبع ما ينقذ من كتبه حتى كدابه (الشعر الجاهلى) بعد أن حذف منه السطور الثمانية

(٣٠) - دكتور محمد عمارة الاسلام والسياسة الرد على شبهات العمانيين

هى ١٢٥ سنة ١٩٩٣م ط١ أول دار التوزيع والنشر الاسلامية

والعشرين - وهذا بيت القصيد - التي تشكك في قصة إبراهيم وإسماعيل وغير عنوانه الى : (في الادب الجاهلي) ووثقه وأضاف اليه عددا من الفصول - ويستطرد الدكتور عمارة - قائلا : كان الرجل يعيد طبع ما ينفذ من كتبه الا كتابه (مستقبل الثقافة في مصر) ١٩٥٤م بل لقد سئل في سنة ١٩٧١ عن رأيه فيما تضمنه من آراء أثارت الجدل عند صدوره سنة ١٩٣٨م فقال عنه : « ده كتب سنة ١٩٣٦م وقدم قوى ، عاوز يتجدد ويجب أن أعود اليه وأصلح فيه بعض حاجات وأضيف » (٣١) وقد علق الدكتور عمارة بعد نقل هذا الكلام بقوله « فكأنه يعلن تراجع عن ما في هذا الكتاب من آراء مثيرة للجدل .. أولها هذا التأسيس لعلمنة الاسلام » (٣٢) .

وأخرى ثالثة يتراجع فيها طه حسين عن علمنته وموافقته للغرب والمستشرقين وهي قضية مكانة الدين في مقومات الدولة وحاكميته في مواثيقها الدستورية انه يعلن في كتابه مستقبل الثقافة أن وحدة الدين ووحدة اللغة لا فصلحان أساسا للوحدة السياسية ولا قواما لتكوين الدول ، وأن السياسة شيء والدين شيء آخر - كما علمناه سابقا - ويستشهد في ذلك بأوروبا عندما تخففت من أعباء القرون الوسطى وأقامت سياستها على المنافع الزمنية لا على الوحدة المسيحية ولا شيء على قتلرب اللغات والاجناس » (٣٣) بعد هذا الولاء للغرب بل العلمنة

(٣١) صحيفة الأهرام عدد أول مارس سنة ١٩٧١م نقل عن المرجع

السابق ص ١٢٦ .

(٣٢) الاسلام والسياسة ص ١٢٦ .

(٣٣) طه حسين مستقبل الثقافة في مصر ص ١٥ - ١٨ .

الراضحة من نفى حاكمية الدين وعدم مساحته لاقامة الدولة التي
 بنيناها ودافع عنها ونشرها سنة ١٩٣٦م في كتابه مستقبل الثقافة العربية
 يتراجع تراجعاً طريفاً وأكيداً وفي مناسبة ذات دلالة كبرى على
 صدق تراجعنا عن هذا الأمر الخطير كما حقق ذلك وبين الدكتور عمارة
 بالمناقش والأدلة من ذلك أنه بعد ثورة يوليو سنة ١٩٥٢م وما أعقبها من
 إلغاء دستور سنة ١٩٣٣م دعت الثورة لجنة يكون مهمتها وضع مشروع
 لدستور جديد وبالفعل تكونت لجنة للحريات والحقوق والواجبات
 العامة ضمت عضويتها كوكبة من قادة الفكر والرأى والقانونيين يمثلون
 مختلف الأديان والاتجاهات برئاسة محمد على عثوية وكان طه حسين
 أحد أعضائها البارزين ، ومما هو جدير بالذكر هنا أن هذه اللجنة
 كانت مدلولاتها واجتماعاتها سرية الأمر الذي يجعل الآراء المطروحة
 فيها صريحة ومعبرة عن قناعات أصحابها بحيث لا تتأثر بمراعاة عواطف
 الجمهور وفي الاجتماع الذي عقد في يوم الخميس ٢٢ رمضان سنة
 ١٣٧٦هـ - ٤ يونية ١٩٥٣م دار النقاش حول قضية مهمة هي « حقوق
 المرأة السياسية » وكان النقاش يدور من وجهة نظر اسلامية وموقف
 الاسلام في تحديد هذه المشكلة الخطيرة ومكان ضوابطه وشريعته
 وحدوده من دستور البلاد وقد أدلى الدكتور طه حسين برأيه الصريح
 والواضح في هذه المسائل من آرائه وردوده على بعض أعضاء اللجنة
 أخرى تراجعنا عن عزل الدين عن الدولة واستبعاد الاسلام عن الحكم
 أو عن مقومات اقامة الدولة على النحو الآتي انه في نص صريح بالنسبة
 للأهمية من تلك النصوص المتعددة لم يقف من تلك القضية المشار إليها
 « علاقة الدين بدستور الدولة » - عند ضرورة مراعاة حدود العجين
 في تقرير نطق حقوق المرأة السياسية وإنما ذهب إلى المطالبة بالنص
 في الدستور على عدم السماح لقوانين البلاد - المفصلة والمطبقة

للدستور - « بأن تعدل عن نص القرآن الكريم وهكذا نراء أيضا
يجعل للقرآن حاكمية سيأيد على قوانين البلاد » (٣٤) .

ونص عبارة طه حسين في هذا الشأن « انه من المظهر به أن
الاجلبية لن تقبل أن تخرج عند وضع الدستور ، على ما أمر به الاسلام ،
فلا اظن مثلاً أننا سننص على أن تأخذ المرأة في الميراث نصيباً كصيب
الرجل فلم يحدث هذا بالطبع » ولا يجتفى طه حسين بموقف الاجلبية
المسلمة كضمان لعدم سن قانون مخالف لعقيدتنا ، وإنما يدعو إلى
النص الصريح في الدستور على حاكمية النص القرآني على كل
القوانين ... فيستطرد قائلاً « ولكن لابد لنا من أن نحتاط فنقول :
انه ليس هناك أى مقتضى يسمح لنا بأن نعدل عن نص القرآن » هكذا
يؤكد القول على تأييد حاكمية النص القرآني على كل القوانين
ولا يقتضى بالاعتماد على موقف الاجلبية - كما هو واضح من كلامه -
ثم يفضى إلى طريقه عبر احرار فيضيف دعماً آخر ويقوى طلبه ريزكي
وجوب تطبيق النص القرآني وحاكمية الدين على القوانين وهو منطق
الحكمة الواجبة في مراعاة عقائد جمهور المحكومين فيقول : « أريد أن
أقول : انه اذا وجد نص ديني صريح اسلامياً كان أو مسيحياً فالحكمة
والواجب يقتضيان ألا نعارض النص وأن نكون من الحكمة ومن
الاحتياط بحيث لا نضر الناس في شعورهم ولا في ضمائرهم ولا في
دينهم » (٣٥) هكذا يؤكد على كلامه من ضرورة التمسك بنص القرآن

(٣٤) دكتور محمد عمارة الاسلام والسياسة ص ١٢٧ ، ١٢٨ .

(٣٥) (لجنة مشروع الدستور) محضر لجنة الحريات والحقوق
والواجبات العامة الجلسة السابعة ص ٨١ طبعة مطابع وزارة الارشاد القومي
القاهرة نقلاً عن المرجع السابق ص ١٢٩ .

فالخروج — فى انقوائين — عن حاكمية الدين — ليس فقط اثما فى حق الله سبحانه وتعالى وإنما هو — بالاضافة الى ذلك — اضرار بحقوق الانسان ، فى مراعاة شعوره وضميره المتدينان بالدين الذى يؤمن بـ « (٣٦) » .

ورابعة : وهذا موقف آخر لطله حسين إن اللجنة أقرت « حرية العقيدة مطلقا » ففى موقف آخر من المداولات والمشاورات فرى الدكتور عبد الرحمن بدوى — أحد أعضاء اللجنة — ومعه الانبا يؤنس — عضو آخر من أعضاء اللجنة المشكلة — يريد أن يقرر « مفهوما » يجعل من اسلام الرجل المسيحى « اضرارا » بالزوجة النصرانية بحيث يكون لها الحق عندئذ فى أن ترفع دعوى التفرقة بسبب الضرر الذى وقع عليها من هنا يجب على الشارع أن يضع نصله فى القانون يجيز التفريق للضرر فى مثل هذه الحالة ولقد وجدنا أن هارس الحلة فى الميدان وقتذاك هو طه حسين لقد وقف لهذا الامر وانتدب نفسه للدفاع عن الدين الاسلامى اذ تصدى لهذه المعارضة القوية والشديدة وناهض هذا الرأى الذى رآه خروجا بحرية الاعتقاد عن الضوابط الاسلامية وأن هذه الحرية العقدية ستتخذ فى غير محلها اذا من المعلوم من الدين أنه يباح للمسلم أن يتزوج بكتابية وليس العكس والسبب فى ذلك أن المسلم مؤتمن على عقيدتها التى لا يكتمل ايمانه كمسلم دون الايمان بشرعية عيسى وموسى واذا كان الاسلام يهتف العكس أى يمنع زواج المسلمة من أهل الكتاب لانه فى الحق غير مؤتمن على عقيدتها لعدم ايمانه بشريعتها وبرسولها — ^{صالح} — يعارض

دكتور محمد عمارة والسياسة ص ١٢٩

طه حسين هذا المفهوم لحرية العقيدة اذى يتطله من بعض الضوابط
الاسلامية ويطلب أن يكون الالتزام بالاسلام - من مناطق احترام
الدين - التزاما بكامل الاسلام ، وليس التزاما ببعض الكتاب والتحا
من البعض الآخر ولنستمع الى كلامه فى هذا الصدد « ما دمنا قد قلنا
أن حرية الاديان والعقائد مطلقة فلا بد أن نحترم الاديان جملة
ولا يكون الايمان ايمانا ببعض الكتاب وكفرا ببعضه الآخر فاذا
احترمت الدولة الاسلام فلا بد أن تحترمه جملة وتفصيلا وان الاسلام
لا يسمح للمسلمة بأن تتزوج مسيحيا ويسمح للمسلم أن يتزوج غير
مسلمة » (٣٧) •

هكذا كان طه حسين فى رده ودفاعه محددا وواضحا وحاسما فى
رده عندما طلب النص فى الدستور على حاكمية كتاب الله تعالى وتقديمه
على سائر القوانين بحيث يحترم القرآن جملة وتفصيلا وليس الايمان
ببعضه وترك بعضه وهكذا فقد « الاستشراق والغرب بطريقة المبتدع
(العلمانية) واحدا كان من أبرز المهاجمين للاسلام والمسلمين انه
طه حسين •

رأى طه حسين أن حرية العقيدة لا يمكن أن تكون مطلقة بل يجب أن تكون مقيدة بضوابط معينة ، وهذه الضوابط هي :
١ - حرية العقيدة لا تعني حرية الاعتقاد بل تعني حرية الاعتقاد في إطار العقيدة الإسلامية .

(٣٧) لجنة مشروع الدستور ص ١٢ محضر اجتماع اللجنة بتاريخ ٢٤
محرم سنة ١٣٧٢هـ الموافق ٣ أكتوبر سنة ١٩٥٣م نقلا عن الاسلام
والسياسة ص ١٣١ •

٤ - سلامة موسى :

يعتبر سلامة موسى المستعرب الذي خدم الغرب ونواياهم الخبيثة بنوقفه ضد الإسلام ذهب مذاهب السابقين بل ذهب الى ما هو أبعد منهم فقد كان له موقف متميز دعا فيه بكل صراحة ووضوح وبصورة عارية لا يبالى معها مدى علميتها الصحيحة أو حتى مدى سقوطها وتهاافتها فهو المستهتر اذى لا يبالى بنقد علمى أو نظرية خاطئة قطع حياته العلمية فى الدفاع عن هذه الماهترات التى سوف نتناولها بالبيان ان شاء الله واذا كان من سلف ذكرهم قد نادوا بالعلمانية ومحاربة الدين بمحاولة فصله عن الحكم فان لسلامة موسى موقفا متميزا فقد نادى بكل صراحة الى نبذ اكتابة بالاحرف العربية واستعمال الحروف اللاتينية (١) وكان الحروف العربية هى التى جلبت التخلف للعرب والحروف اللاتينية هى التى جلبت الحضارة للغرب منطق غريب وتفكير نسقيم غليل والغرض من ذلك كله نبذ الحروف التى يكتب بها القرآن الذى هو دستور المسلمين والاعجب من ذلك تنكره للعروبة ودعوتهم الى احياء الفرعونية والقومية والشعوبية الى آخر ونستخلص بعض المواقف المشينة من فلسفة سلامة موسى وعلى رأسها :

١ - تبنيه لنظرية التطور ائدارنية :

تبني سلامة موسى نظرية التطور وحاول تطبيقها فى عالمنا العربى والحق أن سلامة موسى وشبلى شميل يعتبران من أوائل من تبني هذه النظرية ودافعوا عنها بكل ما أوتوا من سلاح ، وسلامة موسى

(١) انظر التفريغ والمآزق الحضارى ص ٦٦ .

هذا عندما اعتنقها حاول تطبيقها على علم النفس لهدف وغاية فالنفس مادية يطبق عليها قانون التطور وبالمثل العقل غير مادي يطبق عليه قانون التطور وحيث أن النفس خلقت متطورة متروية فلا اله خلقها ولا رب يرعاها معنى ذلك نفى العناية الإلهية عن الخلق (٢) وقد كتب سلامة موسى كثيرا من الكتب في علم النفس تكفلت بشرح هذا الموضوع والدفاع عن نظرية داروين فليرجع إليها من أراد المزيد (٣) .

٢ - رفض الاسلام بمقوماته وحضارته :

وفي هذه النقطة نرى سلامة موسى يرفض الماضي بالكلية أي بكل مقوماته وبنس ما فيه من خير أو شر دون تمييز لما يقيّد أو يصح كالاسلام بقوانينه ، نجد هذا الموقف الصريح في كثير من كتاباته ومؤلفاته ينادي بقطع الصلات بماضيها ويشبه الماضي بالموتى ومن يشبه بهم فقد تشبه بالموتى « فليس يذكر الموتى إلا الميت الذي حمه ذهنه وماتت قريحته ولين ينش القبر لكي يلبس أكفان الموتى إلا الفقير المعدم الذي ننت همته وفترت عزيمته وانما واجبنا أن نضرب في العالم فنبتكر ونخترع ونقود إلى المستقبل فبذلك نؤدي لمرحقها علينا في أن تقود الذهن العربي وتعمل على رقيه ورفعته » (٤) .

(٢) كتبت في رسالتي للدكتوراه عن آراء القائلين بتطور النفس وأفضت في ذلك فليرجع إليها من أراد المزيد .
(٣) راجع على سبيل المثال سلامة موسى عقلي وعقلك فقد عقده لهذا الشأن .

(٤) سلامة موسى مختارات ص ١٣٠ المطبعة العصرية القاهرة .

هكذا نرى أن سلامة موسى يرفض الماضي بالمرة ولا يؤمن بإمكانية الجمع بين الدين الاسلامي على اعتبار أنه وحى منزل ومُرشد هاد وإيجابيات الحكمة الانسانية بين العلم والدين بل أنه يرفض الاعتراف بإمكانية الوصول الى وحدة فكرية عن طريق الوفاق بين الدين وما وصل اليه العقل البشرى على اعتبار أنه لا تناقض بين الدين والعقل بل الدين مرشد للعقل وهاد له والعقل يخترع ويبحث مسترشداً بهدى الشرع فهذا هو أقوم طريق للحياة (٥) وغالب الظن أن سلامة موسى ما فقه الاسلام وما عرف عن الاسلام شيئاً وما درس ثقافته المسلمين في منهجيتها العظيمة حيث تقود الى الخير وتبشر بالفلاح من هنا وجدناه يدعوننا الى أن نترك ماضيها العريق وأن نتمسك بالثقافة الاوربية الواقدة ومن عجب أنه يدعى أن ذلك يحقق لنا أكبر قدر من حرية التفكير الحر الجريء (٦) وفي هذا التجنى الصريح على الاسلام بأنه دين لا يعرف الحرية ولا شمم رائحتها وهذا هو الحق راجع الى ما سبق أن سقناه أن سلامة موسى كان يجهل الاسلام ولا يعرف شيئاً من محاسنه فهل ينكر عاقل منصف أن من بدهيات الامور المشهورة عند الناس ومن قضايا الاسلام المهمة والتي أكد عليها وراعها الحرية الانسانية فذاك حق بشرى وأكبر دليل على ذلك الحرية العقدية فالاسلام ما نزل بلداً قط وأجبر المسلمون أحداً على اعتناقه بل نصوصه

(٥) راجع كمال عبد اللطيف سلامة موسى واشكالية النهضة ص ١٢٦

الدار البيضاء طبعة أولى .

(٦) سلامة موسى ما هي النهضة ص ٧ طبع بيروت ١٩٦٢ م .

صريحة في ذلك ومنها قوله تعالى « ان عليك الا البلاغ » (٧) « تذكر
 فلما أنت مذكر ست عليهم بمسيطر » (٨) « لا اكراه في الدين قد تبين
 البرشد من الغي » (٩) لكن سلامة موسى يتجاهل كل هذه الآيات
 وينادى بكل جراءة بأن نحتضن الثقافة العربية ونرفض الثقافة
 الشرقية ويعنى بالشرقية الاسلام لما لها من آثار ضارة بالمجتمع
 نستمتع اليه يقول : « والثقافة الشرقية يجب أن نعرفها لكي نتجنبها
 لما نرى من آثارها في الشرق آثار العبودية وانذل والتوكل على
 الآلهة » (١٠) ويذهب في هذا الامر بعيدا والدعوة بالحاح الى العلمنة
 والتغريب وينادى « باطلاق المدارس والحكومات من القبود الدينية
 لان العلمانية نزعة أوربية تشمل جميع الامم المتقدمة تقريبا » (١١)

هكذا يدعوننا أن نتمسك بالعلمنة ونسى أن العلمانية مفهوم
 غربي يضاد الاسلام اذ ينادى بنبذ الدين وترك العقيدة والتمسك بكل
 ما هو دنيوى ويمت بصلة للمحسوس وحيث تستبعد القيم الدينية
 عن الممارسات السياسية وحكم البلاد من خلال القوانين الوضعية وهذا
 هو السائد في أوربا لأسباب عرفناها سابقا ومنها غياب الابعاد
 العلمية ومناهج التقدم الحضارى من التصور المسيحى ، وهذا بعيد
 كل البعد عن الاسلام الذى يعتبر كل عمل في الحياة دينيا حتى الزراعة
 والصناعة يثاب على فعلها الانسان والأدل على ذلك من حديث رسول
 الله ﷺ : « ما زرع مسلم زرعاً ولا غرس غرساً فأكل منه انسان أو

(٩، ٨، ٧) الآيات على التوالى سورة الشورى آية ٤٨ وسورة الغاشية

٢١ ، ٢٢ وسورة البقرة ٢٥٦ .

(١٠) سلامة موسى اليوم والغد ص ٨ طبع القاهرة .

(١١) نفس المرجع السابق ص ١٢ .

حيوان أو بهيمة الا كان له به أجر » لكن سلامة موسى لجهله بثقافة الاسلام نسي كل ذلك ونادى بالعلمانية صراحة انه اعجاب الغلوب بالغالب كما شرح ذلك ابن خلدون وقد سبق نقل نصه بتمامه لكن سلامة موسى يتناسى أن هذا مفهوم لا يتفق مع الشرق المسلم .

٢ - الهجوم الصريح على الدين :

لعلنا نلاحظ فيما سبق أن سلامة موسى يهاجم الدين عمومًا وبشكل ضمني على معنى أن كلامه يدل على ذلك أما هنا فإنه يهاجمه بشكل مباشر وصريح بما لا يحتمل التأويل نرى هذا الرقص الصريح للانتماء الديني لمصر في قوله : « كما ازدادت خبرة وتجربة وثقافة توضحت لأمامي أغراض في الأدب كما أزالوه فهي تتلخص في أنه — يجب علينا أن نخرج من آسيا وأن نلتحق بأوروبا » (١٢) وهو هنا يقصد بالخروج من آسيا أي الخروج من الدين الاسلامي الذي جاءنا من آسيا ولا يخفى حقه على الاسلام اذ ينادى بكل صراحة مؤكدا على هذا الهدف في جراحة عجيبة على الفسوق والمجون في قوله « كلما زادت معرفتي بالشرق زادت كرهيتي له وشعوري بأنه غريب عني وكلما زادت معرفتي بأوروبا زاد حبي لها وتعلقى بها وزاد شعوري بأنها مني وأنا منها هذا هو مذهبي الذي أعمل له طول حياتي سرا وجهرا فأنا كافر بالشرق مؤمن بالغرب » (١٣) .

(١٢) سلامة موسى اليوم والغد ص ٨ .

(١٣) نفس المرجع السابق ص ٧ .

من مظاهر هجومه على الدين الاسلامي :

والحق أن سلامة موسى يبدو أنه كان رجلاً وصونياً له آمال عراض في هذه الحياة الفانية وله طموحاته الفانية فأراد أن يقترب إلى المعنيتين بذلك من هنا أراد أن يبني آماله الزائلة على أنقاض الدين فكانت حربه الشعواء من أجل هدم الأديان بعمامة والاسلام بصفة خاصة فكان نداؤه لنزع التعليم الديني من المدارس انه يريد من التعاليم أن يسيروا على نهج أوربي لا سلطان للدين عليه ولا دخول فيه على حد تعبيره (١٤) ويتدخل في شئون الاسلام وتعاليمه فكان كلامه هراءاً في هراء لكشفه عن الوجه الكالح والنفس السقيمة العلية لقد نادى بإبطال تشريعه الاسلام في الزواج والطلاق بحيث أن من يعدد أزواج تكون عقوبته السجن ولا يقع الطلاق الا بحكم محكمة (١٥) .

وقد تعقبه هو وأمثاله الأغاضل من العلماء بالنقد اللاذع وبينوا ما في تلك الدعوات من أضرار تمس الأفراد والمجتمعات ولا داعي لذكرها هنا فليرجع إلى محلها من أراد مزيد الاطلاع (١٦) وقد وصل بسلامة موسى الأمر الأشد جرأة على الدين وخاصة الاسلام أن يدعو الناس إلى نبذ الدين والسير في هذه الحياة بحرية مطلقة يبتدعون في الأديان كما يشاؤون أو كما يحاو لأنفسهم أن تفعل بالمثل كما يفعلون في العلوم

(١٤) المرجع السابق ذكره ص ٨ .

(١٥) نفس المرجع والصفحة .

(١٦) راجع على سبيل المثال محمد بن عبد الله عرفة حقوق المرأة في الاسلام ص ٨٢ وما بعدها ، ص ١٥٠ وما بعدها وانظر كذلك محمد فاروق النبهان مبادئ الثقافة الاسلامية ص ٢٠٢ وما بعدها ، ص ٣١١ وما بعدها .
(٧ - المستشرقون)

الطبيعية والكيميائية والميكانيكية وغيرها فيقول في هذا الشأن « يجب أن نترك للناس بيتدعون في السياسة والاجتماع والادب والاذيان فلعلهم في ابتداعهم ما يرقىها الى صف الكيمياء والفلك والميكانيكا » (١٧) •

هكذا تصور هذا الملحد أنه بالامكان أن نطور العقيدة والدين أو نرفضها بالمرّة وهذا أفضل حتى نسير أحراراً ونسى أن طبيعة الأشياء تختلف فإذا أمكننا أن نمارس ذلك في الطبيعة والطب والكيمياء فإنه ليس بالامكان أن نمارس تجربة الخطأ والصواب في المجاهدين الديني والاخلاقي « لأن ذلك سيكون على حساب جهده ومصيره لأنها — وهذا هو الأهم — لن تقدم له الصواب المطلق الذي لا خطأ بعده لان الانسان لا يملك الوسائل التي تمكنه من وضع المنهج الديني والاخلاقي الذي يملك كل مقومات العالمية والاستمرار والشمول » (١٨) •

ان سلامة موسى بجعله نسي أو تناسى ان الدين ثم الاخلاق المنبثقة عنه أشياء غيبية لا اطلاع للعقل عليها وأن ذلك بحر عميق من غاص فيه غرق لكن الكريم سبحانه تكفل بنا فبعث إلينا الرسل مبشرين ومنذرين فقصّر بذلك الطريق علينا ومن أين للعقل أن يعرف الغيبيات مثل الجنة والنار ؟؟ بل من أين للعقل القاصر أن يعرف ذات الله ؟؟ من هنا كانت بعثة الرسل شفقة ورحمة من الله بالعباد •

وهذا ما أخفق في معرفته سلامة موسى أو أمثاله أو ان شئت فقل تعامى عنه وغض البصر عن النظر اليه فهو الجهل المركب أو حب الذات أو الوصاوية والنفاق وقل ما شئت في ذلك والحق ان من أوائل الأهمور

(١٧) اليوم والغد ص ١١٨ •

(١٨) التغريب والمأزق الحضاري ص ٧٢ •

التي حاول المستشرقون أن ييثوها وسط المجتمع المسلم الدعوة التي
الوطنية ودراسة التاريخ القديم والدعوة الى الحرية باعتبارها أساس
نهضة الأمة مع عرض النظم الاقتصادية العربية عرضا مصحوبا
بالاعجاب وتكرار الكلام حول تعدد الزواج في الاسلام وتحديد
الطلاق واختلاط الجنسين (١٩) مما يدعوننا أن نؤمن ايماننا كاملا
لا يخالجه شك في أن سلامة موسى كان عميلا للعرب المستعمر شريكا
للمستشرقين في نشر آرائهم الهدامة وسط المسلمين وصار الامر من
الوضوح والبيان كما شاهدنا ذلك بحيث أنه في وضوحه وبيانه
كالشمس في وضوح النهار فهذه تذكرة لابناء أمتي علمهم أن يثبطوا لهذه
النوايا الخبيثة والمبيطة ضد الاسلام •

٥ - مصطفى مندور :

وهذا نموذج آخر في التعامل مع كتاب الله تعالى يصحوره لنا مصطفى مندور تلميذ المستشرق بلاشير أنه يبتلك مع كتاب الله تعالى متسلكا استشرافا خالصا بقصد أو بغير قصد وذلك في أطروحاته للدكتوراه بعنوان « رسالة الشواذ » .

وفيها يسير خلف استاذه خطوة بخطوة مما سنرى ان شاء الله تعالى قريبا ، على كبر حاك سوف لا نسير مع الكاتب في كل رسالة فهذا أمر يطول شرحه لكننا كمعادتنا سنأخذ بعض المواقف التي تدل على سير الكاتب في باقى الرسالة لنرى كيف صنع المستشرقون في أبناء الشرق المسلم من وراء ما سموه بالبعثات العلمية الى الخارج وحققوا أهدافهم السيئة ضد الاسلام حيث حاربوه عن طريق ابنائه بعد أن عجزوا عن محاربته عن طريقهم فاصطنعوا طريق التغريب « وبلاشير » هذا مستشرق فرنسى خطير مسجل تحت قائمة المستشرقين المتعصبين ولخطورته على الاسلام عينته الخارجية الفرنسية في وزارتها كخبير في شؤون العرب والمسلمين (١) . فتلثم مندور على يديه فكان مشرفا على رسالته السابقة .

(١) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ص ٣٦ .

« الموقف الأول »

قراءة القرآن بحسب المعنى :

يسلك هذا الباحث مسلك استاذ بلاشير فى هذه المسألة الخطيرة من المسائل التى تمس كتاب الله تعالى انه ترسم خطاه فيها وربما زاد عليه أموراً أخطر فى نفس المسألة والى اقارء الكريم البيان فى موضوعنا الذى نحن بصدد الحديث عنه الآن ان شاء الله تعالى وهو قراءة القرآن بحسب المعنى .

يعرض لنا « رجيس بلاشير » رأيه فى المسألة فى كتابه « المدخل الى القرآن » وفى ترجمته للقرآن التى أقحم فيها على انص القرآنى بعض الآيات الموضوعات والتى ثبت كذبها وأنها اسرائيليات مثل « تلك الغرانيق العلاء وان شفاعتهن لترتجى » فوضعها بين الايات « أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثلاثة الأخرى . . . الكم الذكر وله الانثى » (٢) ادعاء منه أنه يستكمل النص على ما ينبغى أن يكون عليه . وقد كان هذا هو الأساس الذى بنى عليه المستشرقون فكرتهم عن المشكلة فماذا قال بلاشير فى المسألة « اقراءة بالمعنى ؟ وما هو موقف تلميذه منه « مصطفى مندور » فى رسالته للدكتوراه ؟؟ يعرض بلاشير رأيه فيها حيث يقول « خلال الفترة التى تبدأ من مبايعة على عام ٣٥هـ حتى مبايعة الخليفة الأموى الخامس عبد الملك عام ٦٥هـ كانت جميع

(٢) الآيات من سورة النجم رقم ١٩ - ٢١ وقد أشار القرطبي فى تفسيره

الى تلك الأحاديث الواردة فى شأن الآيات الكريمات . وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الى آخره ، وأنه لا يضح منها شيء راجع بين ١٢ - ١٣

٨٠ - ٨٢ وهى الأحاديث التى زعم بعضهم أنها تشير الى قصة الغرانيق .

ما وقع للكتب السابقة ونسى أن المسلمين قد اعتنوا بهذا الكتاب حفظاً في الصدور وكتابه في الأبواب ونأوا به عن كل يد محرقة مبدله هذا موجز لرأى بلاشير في المسألة هذا ليس بعريب من بلاشير المستشرق المتعصب لكن الإعجب أن يأتي بعده مصطفى منذور فيطبق نفس المنهج وينقل نفس كلامه في المسألة بل العريب أن يأتي بكلام استاذة ويضيب اليه معلومات أخرى ليست بثيقة المصادر وقد لا تخدم القضية أصلاً ولكنها تتخذ من اغفال قيمة الاسانيد من حيث الصحة والضعف أساساً تؤيد به النظرية التي تحكى (القراءة بالمعنى) ونقتبس بعض هذه النصوص التي تبين وجهة نظره الموانقة لاستاذة في المسألة إذ يقول في فصل بعنوان « القراءة بحسب المعنى » : « هنالك على الاخص نقطة وقع عليها اتفاق كثيرين هي : أن القرآن ربما قرئ بأوجه كثيرة ولكن الأساس هو أن يحترم المعنى وقد أيدت نصوص كثيرة هذه الفكرة فينسب الى عمر قوله : « القرآن كله صواب ، مالم تجعل مغفرة عذاباً أو عذاباً مغفرة وقد دافع ابن مسعود عن تعدد القراءات مؤكداً أنه بعد أن نظر في اختلاف القراءة لم يجد سوى مترادفات وقد نقل أبو شامة عن بعض الشيوخ أنه قال : « أنزل القرآن أولاً بلسان قريش ومن جاورهم من العرب الفصحاء ثم أبيح للعرب أن يقرؤه بلغاتهم التي جرت عادتهم باستعمالها على اختلافهم في الالفاظ والاعراب ولم يكف أحداً منهم الانتقال عن لغته الى لغة أخرى » وقد غير ابن قتيبة عن هذه الاستحالة في هذه الكلمات : « وأو أن كل فريق من هؤلاء أمر أن يزول عن لغته وما جرى عليه اعتياده طفلاً وناشئاً وكلما لاشتد ذلك عليه وعظمت المحنة فيه » (وأورد نصوصاً أخرى مشابهة وكل ذلك نقلاً عن الاثنان) ثم قال : من هذه الوجوه التفسيرية نشأت فكرة (القراءة بحسب المعنى) « وهناك أمثلة ترينا الى أي حد تبع المؤمنون

كلام الله بحروفه والنبي - ﷺ - نفسه لم يظن الى أن كاتبه عبد الله بن أبي سرح كان يغير الكلمات عندما كان يكتب باملائه ثم يسوق أخبارا يستدل بها على انتشار هذه النظرية في المجتمع الاسلامي فيقول : « وقد علم عمر بن عبد العزيز أن رجلا كان يقرأ القرآن فيبني نظام الآيات فلما قوطع في قراءته ادعى أنه لا ذنب في هذا ولا جريرة مادام يذكر كل النص في أي نظام ، كما روى أن مسلما آخر استبدل بعض الكلمات بمصادفاتها (٥) وقد زعم صاحب الرسالة أنه استبقى هذين الخبرين الآخرين من كتاب الاغانى للأصفهاني ج ٣ ص ٢٦١ ط دار الكتب دون أن يبالي بسند الخبر لأن المهم في منهج الاستشراق أن توجد أخبار حتى لو كانت ظنونا وأوهاما كاذبة حتى ولو كان صاحبها - على فرض صحتها - جاهلا أو مخبولا أو مستهترا أو زنديقا والحق أن مثل هؤلاء لا يعتد بهم ولا يعتبرون من العلماء أو من القراء وبالبحث (عن طريق الافاضل من العلماء) كما دكتور عبد الصبور شاهين عن هذين الخبرين لم يجد لهما أثرا في الكتاب المذكور لكن عثر في كتاب آخر للأراغب الأصفهاني وهو بعنوان « محاضرات الادباء » على أخبار تحت عنوان : (من غير حرفا من القرآن فأتى بنادرة لما روجع) وجاء في ذاك :

١ - قال الحجاج لامرأة من الخوارج : أقرئي شيئا من القرآن فقراءت : « إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يخرجون من دين الله أهواجا » فقال ويحك يدخاون ؟ قاتل قد دخلوا وأنت تخرجهم .

(٥) مصطفى مندور رسالة الشواذ ص ١١٣ وما بعدها بالفرنسية نقل عن دكتور عبد الصبور شاهين تاريخ القرآن ص ١٠٢ ، ١٠٣ .

٢ - وقرأ أعرابي «انا بعثنا نوحا الى قومه » ففيل انما هو أرسلنا نوحا ؟؟ فقال ما بينهما الا لجاك (٦) ويلاحظ على هذين الخبرين :

١ - أن أصحابها من الجاهيل المنكير ويغلب عليهم الجهل الا ما كان من تلك المرأة المنسوبة للخوارج فقد أرادت أن تهزأ بالهجاج .

٢ - أن أصحاب هذه الواقعات قد روجعوا كما يشاهدنا من سمعهم وفى المراجعة أكبر دليل على أن الامة الاسلامية كانت حافظة لكتاب ربها كما أنزل بلا تغيير ولا تحريف متمسكة بالصورة المحفوظة لهذا التنزيل الحكيم بحيث لا يسفح المساس بهذه الصورة الكريمة .

٣ - هذا الاعرابى الجاهل الذى استبدل (بعثنا بأرسلنا) الظاهر من حاله الجهل وأنه لم يكن حافظا جيدا للنص الكريم فتصرفه هذا يعد من قبيل الخطأ فى الحفظ وليس الاستبدال بحيث انه لم يسبق اثرا مرويا عن السلف يؤيد موقفه بل كان التناول متما صاحب الهجاج على أية حال فليست هذا بالاخبار التى تعد حجة على كتاب الله تعالى بحيث تعطى الصورة الصادقة عن كيفية تناول السلف لنصه بل هى من قبيل الفكاهات والذوادر التى تذكر فتضحك فليس على مثل تلك الفكاهات هبنى مناهج البحث فى القرآن الكريم (٧) .

(٦) راجع الراغب الاصفهاني محاضرات الأدباء ج ١ ص ٨٥ سنة ١٢٨٧ هـ

طبع ابراهيم المولىحى .

(٧) تاريخ القرآن ص ١٠٥ ، ١٠٦ .

الموقف الثاني :

تناقضات يقع فيها الباحث

مزالق خطيرة يقع فيه الكاتب وهو لا يدري « تناقض وتضارب »
ان صاحب الرسالة « مصطفى مندور » يوالى حديثه عن القراءة بالمعنى
وفى أثناء حديثه يقع فى التناقض مع نفسه وهو لا يدري أو يدري ؟
فهو يذكر فى معرض حديثه عن القراءة بالمعنى أن هذا الامر قد وقع عليه
الاتفاق ثم بعد ذلك يقع فى التناقض عندما يذكر أن ابن مسعود بعد
أن نظر فى اختلاف القراءة لم يجد سوى (مترادفات) وكلمة مترادفات
هذه بدل أو ترجمة من وجهة نظر المؤلف لكلمة (متقاربين) التى لم
يجيء سواها فيما وقع لابن مسعود ، فجوز لنفسه أن يحرف الكلمة
على الصورة السابقة وهذا فيه ما فيه من عدم الامانة العلمية المطلوبة
على مستوى تلك الابحاث لكن الكاتب ضرب بذلك كله عرض الحائط
ليصل الى ما يريد وهو السير خلف أستاذه بلاشير خطوة بخطوة ليوافق
كلامه تماما وهو الوصول الى أن القراءة بالمعنى تبين فى صدقها أى
اتفاق كثيرين من الصحابة وقد ناقض نفسه أيضا عندما نقل فى نفس
الموضع « أن جمهرة العلماء ردوا ذلك فى عنف فابن تيمية دافع عن
ابن مسعود منكرًا أنه شجع على القراءة بحسب المعنى » (٨) وفى نفس
المعنى ينقل عن السيوطى تفسيره لنص نقله عن الجوينى قال « ...
ومن هنا جاز رواية السنة بالمعنى لأن جبريل (عليه السلام) أداه
بالمعنى ولم تجز القراءة بالمعنى لان جبريل أداة باللفظ ولم ينح له ايحائه

(٨) رسالة الشواذ ص ١٥ نقلاً عن دكتور عبد الصبور شاهين ص ١٠٦

الموقف الثالث :

انتقاض من جمع سيدنا أبى بكر للقرآن كعمل خدع به كتاب الله تعالى والامة وتبدأ هذه المصاولة التقوية من عهد بلاشير ويسير خلفه تلميذه « مندور » لقد عمل هذا المستشرق على زرع الشكوك والاولاهم حول عمليّة جمع القرآن : على عهد الخليفة الاول أبى بكر الصديق رضى الله عنه وقصة جمع القرآن على عهد سيدنا أبى بكر وبمعاونة سيدنا عمر مشهورة بل أشهر من أن تذكر فهذا عمل يضاف الى سجل أبى بكر الخالد رضى الله عنه وللمستشرق الفرنسى بلاشير مواقف يوافقها عليها « مصطفى مندور » انه أولا رجح أن نسخ المصحف الذى بدأ فى حياة الصديق لم ينته الا فى عهد عمر اذ كان قد بدأه قبل موته بخمسة عشر شهرا ثم طرح سؤالاً مؤداه هل كان عمل هذا المصحف حلالاً للموقف الذى خشيّه عمر (١٢) ؟؟ ثم أجاب عن تساؤله لقد كان المجتمع — وهذا شئ منطقي — بحاجة الى مجموعة مكتوبة من اوجى معترف بها من قبل المجتمع المسلم ليطبقها الجميع ثم يتمادى فى طرح الشكوك حول هذا المصحف : فهل كانت هذه هي صف أبى بكر؟؟ ويحجب عن تساؤله كلا ... اذ أن هذه الصحف كانت ملكاً خاصاً لأبى بكر وعمر بصفتها الشخصية لا للخليفة رئيس الجماعة ، ويداول أن يخط من قدر هذا العمل الجليل الخالد ؟؟ بقوله : ولقد دل كل شئ — اجمالاً — على أن الخليفة الراشد أبى بكر رضى الله عنه وصاحبه الفاروق عمر حين أحسا نقصا فى نفسيهما مغبة ألا يكون

(١٢) خشى سيدنا عمر ضياع القرآن بعد موت كثير من الحفاظ فى حروب الردة وهذه الواقعة مشهورة فأشار على سيدنا أبى بكر بجمع القرآن لكن سيدنا أبى بكر توقف أولاً ثم شرح الله صدره بعد ذلك للذى شرح له صدر عمر .

لديهما نص كامل نوحى ، كلفا أحد كتاب الوحي ممن سبق أن استخدمهم محمد - ﷺ - فى هذه الوظيفة بأن يهيئه لهما ، ولنا أن نتساءل عن إمكان أن تصدر محاولة عمر - مؤيدة أو معارضة بسنطة أبى بكر - عن سبب آخر - هو الرغبة فى تملك نسخة شخصية من الوحي ، كما كان يملكها صحابة آخرون للنبى (ويعلى) فان الامر لم يمتنع فى ذهن أبى بكر وعمر أمر فرض مصحف امام على جماعة المسلمين ، وإنما الذى يظهر أن من المتحسن ألا يكون رئيس الجماعة فى وضع أقل من بعض الصحابة ممن هم أحسن حالا (١٣) •

هذه الكلمات الخبيثة من هذا المستشرق تنم عن نية سيئة تجاه الخليفين الراشدين نستشف منها :

(أ) ان جمع القرآن ما كان لوجه الله تعالى ولا مبتغى به رضاه وإنما كان عملا شخصيا قصد من ورائه اشباع رغبة ملحة فى نفس الخليفة - ع - •

(ب) هذه الرغبة باعثها ومحركها - أين رضا الله كما ذكرت - وإنما هى منبعثة عن غيرة شخصية وإحساس لديهما بالنقص اذ كيف يملك بعض الصحابة مصحفا ولا يكون لدى الخليفين ذلك ؟؟

(ج) ويثقل بلاشير من هذا العمل العظيم أكثر فيرى أن عملهما هذا كان مسبوقا بأعمال أخرى مشابهة لدى كثير من الصحابة (١٤) •

(١٣) بلاشير المدخل الى القرآن بالفرنسية ص ٣٢ - ٣٤ نقلا عن

تاريخ القرآن ص ١٢٤ ، ١٢٥ •

(١٤) المدخل الى القرآن ص ٣٥ ، ٣٦ نقلا عن دكتور عبد الصبور

شاهين ص ١٢٥ المرجع السابق ذكره آنفا •

هذا هو كلام بلاشير ويأتى تلميذه المخلص بـ الوفى للاستشراق
والمستشرقين قيسايعه فى كل ما قال ذاكرنا نفس هذه الادعاءات فى
رسالته المذكورة آنفا فاذا قال بلاشير انها مزجج نقص ردها مثله
واذا قال بلاشير انها كانت ملكية شخصية قال مندور ان حفصة ورثتها
على أنها ذمة مائة شخصية (١٥) وقد علق الدكتور عبد الصبور شاهين
بتعليق طيب وبرود قيمة على هذه الدعاوى السخيفة من بلاشير وتلميذه
ابوفى مصطفى مندور ثم تساءل : وماذا عن انتقالها الى عمر بعد
أبى بكر ؟ ثم ما القيمة الحقيقية لنسخة من القرآن لدى رجل جمعه
حفظا على عهد رسول الله ﷺ وفى عصر كان المحفوظ فيه أوثق ثبوتا
وأعظم حياة فى وجدانه وعلى لسانه ان لم يكن ذلك من أجل الامة
بأسرها (١٦) .

والخلاصة أن المستشرقين أرادوا أن يخلعوا عن عمل الصديق ميزة
التجديد وأن يجردوه من كونه عملا نذر الصحابة الكرام حياتهم
له وتضافرت من أجله جهود وتوفرت له صفة التواتر باجماع
الامة عليه أى قطعية الثبوت بهذا يصبح عملا فرديا شخصيا لم تدفعه
مصحة الامة وعليه فهو ليس بأولى من غيره بالالترام والتمسك
والمتابعة اذ اعتبر جمع الصديق عملا فرديا صنع لارضاء طموحه لا عملا
جماعيا قصد به صالح الامة والحفاظ على دستورها المنزل من عند
ربها تعالى ، عليه صلاحها ومدار فلاحها ولا يسعنى هنا الا أن أردد

(١٥) رسالة انشواذ بالفرنسية ص ٦ من المقدمة نقلا عن تاريخ

القرآن ص ١٢٥ .

(١٦) السيوطى الاتقان فى علوم القرآن ج ١ ص ٧١ طبعة سنة

١٩٣٥ ط ثانية وانظر تاريخ القرآن ص ١٢٥ .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى « قُلْ مَوْتُوا بِغِيظِكُمْ إِنْ اللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ إِنْ تَهْمِكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تَصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضْرِبْكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنْ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ » (١٧) كَمَا أُخْتِمَ الْفَصْلُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى (إِنْ أَنْزَلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (١٨) فَالْحَقُّ تَعَالَى حَافِظُ لِكِتَابِهِ بِوَعْدِهِ الصَّدَقُ وَلِيَتَّقُوا بَعْدَ ذَلِكَ الْمُتَقُولُونَ أَوْ يَشْكُوكَ الْحَاقِدُونَ مِنَ الْمُسْتَشْرِقِينَ وَأَضْرَابَهُمْ وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِمْ مِنْ الْعَالَمِينَ •

(١٧) سورة آل عمران آية ١١٩ ، ١٢٠ •

(١٨) سبق تخريج هذه الآية •

الفصل الثالث

المناوئون للمستشرقين

المبحث الاول

مدخل الدراسة

من القواعد المقررة أن كل فعل له رد فعل مساوٍ له في الحركة ومضاد له في الاتجاه وهذا ما وقع بالفعل من بعض علماء المسلمين ومفكريهم تجاه المستشرقين ومما لا شك فيه بعد الذي رأيناه من أفعال المسيحيين خاصة هؤلاء المستشرقين والمنصرين أن تتحرك طائفة من علماء المسلمين وأن تقدم شيئاً عملياً أو خطة عملية لمواجهة هؤلاء الحاقدين المارقين ومن الواجب فعلاً على الدول الغنية أن ترصد بعض ما أفاء الله به عليها من خيرات لهذه الحركة المضادة تشجيعاً للعلماء وهنا فإن الحركة تعتمد على عنصرين أحدهما ايجابي والثاني سلبي • ونعني بالايجابي أن يقوم علماء المسلمين بتوجيه أقلامهم نحو الكتابة في الموضوعات العلمية يقدمون من خلالها المعلومات الصحيحة عن هذا الدين ويوضحون الرأي الصواب في تلك المشاكل المتعددة التي أثارها الحاقدون مثل تعدد الزوجات والطلاق والحجاب وغيرها كثير مما تكلم فيه المستشرقون ونعني بالسلبى أن يقوم العلماء باستعراض تلك المؤلفات الإستشراقية القذرة ومناقشتها في ضوء الحقيقة الإسلامية الناصعة والواقع الخبيء بهذا يرفع اللثام وتتكشف

أخطاؤهم ويظهر الحق جليا هكذا يجد المسلم زادا علميا حقيقيا عن نوايا المستشرقين بحيث أن تلك الدراسات الاستشراقية تكون فى طليعة بحوثه بل فى المكانة الاولى من شواغله العقلية (١) •

ولقد أضحت هذه القضية (الاستشراق) خطيرة جدا بحيث تتناقض حولها الآراء فى بلاد المسلمين فونك من يؤيده بل ويتحمس له بدرجة كبيرة على حين نرى فريقا آخر يرفضه جملة وتفصيلا بل ويسب ويلعن كل من يشتغل به على اعتبار أنه عدو للإسلام واقف له بالمرصاد يحيك له المكائد وينصب له الفخاخ وقد رأينا نماذج من المعجبين بالمستشرقين وهم كثر كما علمنا هكذا نرى أن المستشرقين يؤم تأثيرهم السحرى الذى أخذ ببعض الالباب وهذا أمر مشاهد لا يمكن انكاره فى فكرنا الحديث بل والمعاصر من هنا وجدنا بعضا من المفكرين المسلمين لم يتجاهلوا هذه الحقيقة الواقعة ولم يكتفوا بمجرد الرفض لهذا الفكر الوافد والهدام لديننا لعالمهم أن الرفض وحده لا يقوم بعلاج مثل تلك المشكلة الخطيرة على الإسلام لذا رأوا أن العلاج الحقيقى يكمن فى مواجهة المشكلة وطرحها على بساط البحث ودراساتها دراسة متأنية لاستخلاص النتائج واقتراح الحلول هكذا نرى أن هذه المشكلة (الاستشراق) تفرض نفسها علينا بل وبالبحاح وتطرب منا وقفة تأملية جادة لبحثها ودراستها من حيث الابعاد والتأثير بالنسبة لهذا الدين الحنيف وأتباعه (٢) لذا نرى نفرا من المفكرين

(١) انظر سعد الدين السيد صالح الأساليب الحديثة فى مواجهة الاسلام ص ١٢٥ سنة ١٤١٣ دار الأرقم ط ثانية •

(٢) انظر الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى ص ٢٠ سنة ١٤٠٩ هـ •

يعرضون بعض الخطط المفصلة لمقاومة تلك الحركة الشرسة ضد الإسلام والمسلمين والتي عن طريقها يمكن التصدي والمواجهة لتلك الأفكار السامة على سبيل المثال ما عرضه الباحث الكبير الدكتور محمد النبهى يرحمه الله تعالى وذلك فى كتابه الشهير الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى (٣) من هذه الخطط •

١ - على أجهزة الدعوة الإسلامية والدراسات المتعلقة بها أن تساهم بقدر فى تنقية الحياة المصرية والعربية والإسلامية من تلك الرواسب التى خلفها الاستشراق والتبشير فتمنع عملاءها من حياة التوجيه على أن تكون لها من الصلة القوية بوزارة التعليم وإنشاء مدارس أخلاقية بمناهج إسلامية بدلا من تلك التى فتحتها المستشرقون والمبشرون فى بلادنا باسم العلم وخدمته - كذب طبعاً - كما تكون ذا صلة بالصحافة ووزارة الثقافة والإرشاد وتوجيه القلم والكتاب إلى خدمة الدين وتبصير الناس بما يجرى حولهم من تدبير وتخطيط •

٢ - أن يكون مع المؤسسات التعليمية الإسلامية مثل الأزهر الشريف جهازا قويا ونشطاً يعمل فى هذا المجال لتفنيد أقوال المستشرقين وأرائهم ضد الإسلام وشرح وبيان محاسن الإسلام مع تقوية أواصر المحبة والمودة بين الشعوب التى تدين بهذا الدين الحنيف

٣ - يا حبذا لو وضعنا بكل سفارة لنا فى الخارج مكاتب اتصال ملحقه بالسفارات بهذا يمكننا أن نتتبع كل جديد بالمخارج عن كتابه هؤلاء المستشرقين والمنصرين وكشف خططهم فى حينها قبل استفحال

(٣) راجع بالتفصيل ص ٥١٣ وما بعدها منه •

أمرها ولا ننسى هنا أن ننوه بالعمل الطيب الذى قدمه دكتور محمود حمدى زقزوق فقد كان له بعض الخطط والمقترحات فى سبيل هذا الهدف (٤) •

١ - موسوعة الرد على المستشرقين : وقد تكلم عن المنهج العلمى الواجب اتباعه فى اعدادها من ناحية أسلوب التناول والخطوات التحضيرىة للمادة وكذلك مراحلها والاعداد لها وغير ذلك من التحضير والمراجعة والتدقيق والطباعة والنشر والترجمة وهكذا •

٢ - مؤسسة اسلامية علمية عالمية لا تنتمى بالولاء لقطر بعينه مهمتها القيام على شئون المسلمين على أن تكون بعيدة عن المذهبية السياسية والفكرية والدينية بعينها فولاؤها أولا وأخيرا لله ورسوله وخدمة دينه وبإمكانها استقطاب الكفاءات والقدرات العلمية الاسلامية فى شتى بقاع المعمورة هكذا تتقف على قدم المساواة أمام الحركة الاستشراقية على أن يكون لها دوريات وحوليات ومجلات بلغات حية متعددة •

٣ - دائرة معارف اسلامية جديدة تصدر باللغات العربية والملايينية وغيرها بدلا من التى صنعها المستشرقون اذ بها كثير من الاخطاء والتجنى على الاسلام بحيث تتفوق عليها تخطيطا وتنظيما علميا عن طريقها تنقل وجهة النظر الاسلامية الصحيحة فى شتى مجالات الدراسة الاسلامية والعربية ينفتح بها المسلمون وغير المسلمين دراسة مبنية على أساس من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وأقوال السلف

(٤) انظر الاستشراق والخلفية الفكرية له ص ١٥٥ وما بعدها •

المصالح مع عرض لتاريخ الاسلام الفاصح وسيرة الاعلام من المسلمين عرضا يليق بهم وبجلالهم وبما قدموه للاسلام والانسانية بهذا نرد على دائرة المعارف التي صنعها المستشرقون ودرسوا فيها كثيرا من الاحقاد والاضغان على الاسلام ونبيه وكتابه وصحابه رسول الله ﷺ

٤ - جهاز عالمي للدعوة الاسلامية مهمته الدعوة لنشر الاسلام ورعاية المسلمين الذين دخلوا الاسلام حديثا كما يكون من مهمته حماية المسلمين بالوراثة كما يتطلب العمل الاسلامي اصدار سلسلة من الكتب الاسلامية تنشر باللغات الحية عن طريقها يمكن تصحيح الاخطاء عن الاسلام مع عرض للاسلام بأركانه وشروطه وأوامره ونزاهيه كل ذلك بصورة مبسطة علمية دقيقة تتناسب مع رجل العصر الحاضر كما تقدم كل الحلول لمشاكل المسلمين التي تظهر بين الفينة والأخرى •

٥ - ترجمة لمعانى القرآن الكريم ترجمة اسلامية صحيحة ترشد الى روح القرآن ونهجه الصحيح بدلا من تلك المترجمات المتعددة التي صنعت بيد المستشرقين وهي بحق ترجمة خاطئة بها من الكذب والنقص والغلط المتعمد وطمس المعالم طبعا بقصد ، هكذا صنع أعداء الاسلام في كتاب الله تعالى فيجب على المسلمين أن يعيدوا ترجمته ترجمة تليق بما فيه من أحكام وأصول صحيحة بهذه الوسيلة تفتضح تلك الترجمات التي صنعت بيد المستشرقين والتي غالبا ما كانوا يقدمون لها بمقدمات مملوءة بالطمع على الاسلام وهذا العمل لو قدم بالفعل لكان خير للاسلام والمسلمين في أنحاء المعمورة خاصة وان العرب كمسلمين يشكلون حوالى ١٥٪ من تعداد المسلمين في العالم فهل نترك البقية من المسلمين حوالى ٨٥٪ يعيث بدينها الرهبان والقساوسة عن

طريق تلك الترجمات الفاسدة عن قصد إكساب الله تعالى بيد أناس غرباء عن الإسلام بعيدين عنه حاقدين عليه يتحينون الفوص للانقضاض عليه دائماً •

٦ - تنقية التراث الإسلامى مما علق به من أقوال اسرائيلية كان هدفها فى القديم نفس الهدف فى الحديث (الدس على الإسلام والكيد له) فنحن نملك تراثا طيبا هو أثري وأحسن تراث فى العالم كله فيجب أن نعتز به ونفخر ولا نفرط فيه أو نهمل فى شأنه فما أخرجنا الى تنقيحه •

٧ - الحوار الهادئ مع المستشرقين خاصة المعتدلين منهم بهذا يتضح وجه الصواب ويظهر الامر جليا أمام المعجبين بالغرب المفتونين بهم وهكذا يمكن التخفيف من حدة التأثير بهم أو اندفاعهم نحو الغرب وتمييزهم لهذه الحضارة المعادية الزائفة وإعادتهم الى حضرة الإسلام وأفكاره الصحيحة المستقاة من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ •

٨ - دار نشر اسلامية عالمية من مهمتها طبع ونشر المطبوعات الاسلامية بكل اللغات الاجنبية وحتى لا تظل المطبوعات الاسلامية تحت رحمة الناشرين والطباعين العرب الحاقدين على الإسلام ونبيه ﷺ هذه بعض المقترحات قدمت من الباحثين المسلمين المناوئين لمستشرقين خاصة المتعصبين منهم والحاقدين على الإسلام وهى بحق مقترحات طيبة لو نفذت كان لها أثرها الطيب العائد على الإسلام والمسلمين بكل خير كما يكون لها أثرها البناء فى مواجهة الاتجاهات السلبية المعادية للإسلام فى الحركة الاستشراقية والتنصيرية (م) على أنه

الاستشراقية (م) على أنه

(٥) المرجع السابق والصفحات •

مما تجب الاشارة اليه والتتويه بذكره أن بعض الباحثين قد تقدم
 بخطة طيبة تعالج المشكلة التي نحن بصدد الحديث عنها — المستشرقون
 وأفعالهم السيئة — هذه الخطة عبارة عن محاولة طيبة تفيد الاسلام
 في العالم غير العربى مفادها •

« نشر اللغة العربية بين أبناء العالم »

والحق أنه اقترح وجيه معه حجته وما يؤيد وجهة النظر من
 أجل هذا الغرض ذلك أنه يجب على المسلمين أن يهتموا بنشر لغة
 القرآن وحديث رسول الله ﷺ بين أبناء العمورة غير العرب بالطبع
 لانهم يعرفون لغتهم ويقرأون بها كتاب ربهم وسنة نبيهم عليه الصلاة
 والسلام اننا لو قمنا بهذا العمل العظيم — نشر اللغة بين الاوربيين
 وغير العرب الذين لا ينطقون بها — فانهم سوف يهتمهم قراءة كتاب
 الله باللغة التي نزل بها ما أخرجنا لهذا العمل القيم خاصة وأن
 النصارى يشيرون في سائر بلدان العالم التي يوجد بها مسلمون
 معاهد لتعليم لغاتهم وثقافتهم لذا يجب علينا نحن المسلمين أن ننشر
 في كل دولهم — أسوة بهم — معاهد لتعليم اللغة العربية (٦) بل الحجة
 الاوجه أن الغرب المسيحي الحاقد على الاسلام ينظر الى اللغة العربية
 على أنها مصدر الخطر الذي يواجههم فهي الرباط المحكم الذي يربط
 المسلمين بعضهم ببعض وأن تقطيع أوصال العرب والمسلمين لا يمكن
 أن يتم ما دام بينهم لغة واحدة يتفاهمون بها ويتكلمونها (٧) هذه بعض

(٦) راجع الأساليب الحديثة في مواجهة الاسلام ص ١٢٦ •

(٧) قارن دكتور مصطفى خالدى ، دكتور عمر فروخ التبشير

والاستعمار في البلاد العربية ص ٢٢٤ سنة ١٩٨٦ ط ثالثة المكتبة

المصرية •

الخطط والتوصيات التي اقترحتها أو قدمها بعض الباحثين المسلمين لمواجهة هذا المخطط الدنيء للمستشرقين وهو محاربة الاسلام والمسلمين واقتحام بيوتهم عليهم بالسلاح والقوة وهذا ما حصل بالفعل فقد استعمروا بلاد المسلمين وأذاقوهم الآمرين فقد تم ذلك بمساعدة الدراسات التي قدمها المستشرقون عن بلاد المسلمين وقد تقدم بعض الامثلة لذلك فليرجع اليها من أراد واحقاقا للحق فنحن لا ننكر دور المستشرقين في الدراسات الاسلامية التي قدموها عن الاسلام في كل نواحيه الفكرية والعقدية والادبية لكننا في الحق نشك في هذه النوايا الخبيثة خاصة ما ظهر منهم من الحقد الواضح والسب والشتائم على رسول الله وكتابه الله والصحابة الكرام وان كان البعض منهم ، له دور بارز وايجابي وكلمات صادقة عن الاسلام والدراسات الاسلامية وله الجهود المضنية بذلت في تحقيق النصوص القديمة والمخطوطات التي نشرت مع التحفظ في هذه الشهادة فان الكثير منهم قد جابه الصواب في فهم النصوص وتفسير الاحداث وهذا لا ينكر فأعمالهم خير شاهد عليهم ولذلك فائننا نطرح على الاسماع سؤالا يخطر دائما بالبال مؤداه :

هل الدافع للمستشرقين من وراء دراستهم للاسلام هو خدمة الاسلام ؟؟ خاصة انه لم يؤمن به سوى القليل منهم والذي آمن في ايمانه دخل وشك ؟؟ ولعله وصولية ونفاقا ؟؟ أو خدمة للاستعمار والمستعمرين ؟؟ كما أثبت ذلك التاريخ وهناك الكثير من الامثلة على ذلك على سبيل المثالة المستشرق الهولندي « سنوك هزجورنجه » ١٨٥٧ - ١٩٣٦م قدم الى مكة عام ١٨٨٤م تحت اسم عبد الغفار ومكث مدة نصف عام وعاد بعدها ليكتب تقارير تخدم الاستعمار في

«هل نحن حريصون على الحفاظ على هويتنا وعقائدها وتراثنا واستقلالية شخصيتنا الإسلامية أم لا؟» إذا كانت الإجابة بالإيجاب فنحن إذن أصحاب قضية يجب أن نعمل من أجلها بكل إمكانياتنا وطاقاتنا... وهى قضية مصيرية من أجل ثبات الذات، قضية صراع حضارى مرير، والاستشراق طرف فى هذه القضية لأن كثيرا من الدراسات الاستشرافية فى مجال الإسلاميات تهدف بطريق مباشر أو غير مباشر الى طمس معالم هويتنا والتشكيك فى عقائدها وتراثها والفيل من استقلالية شخصيتنا العربية الإسلامية والتصدى لذلك من جانبنا له أساليب مختلفة ترتز كلها على شرط جوهرى لا بد من توافره قبل أن نخطو خطوة فى هذا السبيل ويتمثل هذا الشرط فى الثقة بالنفس والايمان بالهدف» (١٢) •

ولقد كان هذا الباحث مصيبا فيما قال فكم أصاب قوله اهدف • ولعل مما يؤكد على وجهة نظره هذه أن واحدا من فلاسفة الغرب هو الفيلسوف الانجليزى «برناردشو» يكتسب الغطاء عن هذا الوجه الكالح للمستشرقين فيجحدنا عن ذلك الحقد الدفين فى نفوسهم والعصبية الجاهلة التى تسيطر عليهم فى عبارته الواضحة الجلية «ان قسائمية القرون الوسطى اما لجهلهم المطبق واما لتعصبهم الاحمق قد رسموا الاسلام بألوان سوداء مظلمة وكانوا فى الحقيقة قد تطعموا على كرم محمد ومقتبته لان مجيها كان يظهر لهم اهل بيته ضد المسيحية ، أما أنا فقد درست الدين الاسلامى وشخصية محمد ﷺ — تلك الشخصية العظيمة اللامعة فوجدت محمدا بعيدا عما يلحقونه به من التهم ويجب أن يسمى فى الحقيقة مخلص الإنسانية

• مصفاة مناسا وميدا (١١)

(١٢) دكتور محمد حمدي زقزوق ض ١٥٥٠ مناسا وميدا (١١)

ومنقذها « (١٣) هذه الحقيقة التي اعترف بها الفيلسوف الانجليزي برنارد شو لا يعتبر هو وحده القائل بها أو المؤمن المصدق بذلك اننا نراها لدى كثير من الغربيين نأخذ منهم على سبيل المثال « جون وينستر » الفكر الانجليزي الذي اهتدى الى الاسلام بعقله بعد دراسة متأنية فبدأ يفضح الروح الغربية المناوئة للاسلام الحاقدة له تلك الروح التي دأبت دائماً على مهاجمة الاسلام وتشويه صورته وتجريح الرسول ﷺ فيقول في ذلك « يظهر أن الغرب المسيحي قد تأمر منذ الحروب الصليبية على التزام الصمت تجاه محاسن الاسلام، وحاول تشويه مبادئه بطريقة متعمدة كلما تحدث عنها » (١٤) هذه بعض كلمات للمنصفين من الغربيين فلعلها تريل الغشاوة عن أعين هؤلاء المفتونين بالغرب المعجبين بدراستهم ومنهجهم الذي سلكوه تجاه الاسلام وأذكر في هذا المجال كلمة الفيلسوف الشهير توماس كارليل في كتابه « الابطال » حين تحدث عن الاسلام بقوله « لقد أصبح من أكبر العار على أي فرد متمدن من أبناء هذا العصر أن يصغى الى ما يظن من أن دين الاسلام كذب وأن محمداً - ﷺ - خداع مزور وأن لنا أن نحارب ما يشاع من هذه الأقوال السخيفة المخجلة - وحين يتحدث عن شخص النبي ﷺ يذكر عفته وعظمة نفسه - يقول : « ما كان محمد أخا شهوات رغم ما اتهم به ظلماً وعدواناً وأشد ما نجور وتخطيء اذا حسبناه رجلاً شهوانياً لاهم له الا قضاء مآربه من الملأ » (١٥) ثم يذكر ما أكثر البعد بينه وبين الشهوات والملذات

(١٣) محمد محمد الدهان ص ٥٢ مرجع سابق .

(١٤) المرجع السابق والصفحة .

(١٥) المرجع السابق ص ٥٣ .

أيا كانت (١٦) بناء على كل ما سبق من شهادات الغرب فهل يراجع المستشرقون أنفسهم نحو دراستهم للإسلام؟؟ وهل يراجعوا رأيهم الذى أصدروه فى شخص رسول الله ﷺ؟؟ نحن لا نطلب منهم أن يغيروا معتقدهم كمسيحيين ويعتقدوا الإسلام ويكتبوا عن الإسلام الخير الذى يستحقه؟؟ لكن هناك أوليات بدئية يتطبعها المنهج العلمى السليم وتوضيح ذلك أننى قد أرفض وجهة نظر ما ولا تعجبنى هذا واقع ولا شئ فيه لكن المطوب أن أبين للقارئ أولا وجهة النظر هذه من خلال فهم أصحابها لها ثم بعد ذلك أن شئت وافقت عليها وان شئت خالفت هذا هو المنهج الذى يجب أن يتبع (١٧) وعليه فان الكيان الإسلامى كله يقوم على أساس الايمان بالله ورسوله ﷺ الذى أوحى اليه بالقرآن عن طريق جبريل عليه السلام والواجب على العالم النزيه والباحث المحايد أن يشرح ذلك فى كتاباته التى يتناولها بالشرح والبيان لقرائه عندما يتناوله بقلمه الحديث عن الإسلام بهذا يمكن للقارئ أن يعرف السر الذى يجعل المسلمين يتمسكون بعقيدتهم ويفتدونها بكل نفيس وغال (١٨) أما من جهة الكاتب فله الحرية المطلقة فى أن يوافق المسلمين فى معتقدهم الايمانى أو يخالفهم وصدق الله تعالى فى قوله « لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » (١٩) غير أن هذا المنهج العلمى المحايد بعيد عن أذهان المستشرقين مما دعاهم أن يكتبوا ما يحلو لهم عن الإسلام والقرآن مهملين أبسط مبادئ

(١٦) نفسه ص ٥٤.

(١٧) دكتور محمد حمدي زقزوق ص ٩٢ وما بعدها.

(١٨) راجع دكتور حسين مؤنس مجد الإسلام ص ٥٦٩.

(١٩) سورة البقرة آية رقم ٢٥٦.

البحث العلمي فيضلون عند معالجتهم للمسائل التاريخية والتي تأتي مشوهة (٢٠) وللأسف مازال هذا الأسلوب متبعاً في الدراسات الاستشراقية للإسلام والمسلمين رغم ما يقال من أن حدة الغلو قد خفت فهي الروح التي لا تزال تعيش قوية في نفوس هؤلاء المستشرقين فلا تزال توجد فئة من الباحثين الغربيين المهتمين بالدراسات الإسلامية تحرص على نشر ألوان التحامل القديم على الإسلام وعلى نطاق واسع وبأساليب متنوعة وقد أحسن المستشرق «آربري» عندما اعترف بالحق قائلاً :

« اننا نحن المستشرقين نقع في أخطاء كثيرة في بحوثنا عن الإسلام ومن إيجاب أن لا نخوض في هذا الميدان لانكم - أنتم المسلمين العرب - أقدر منا على الخوض في هذه الابحاث » (٢٢) هذه شهادة صدق قيلت على لسان هذا المستشرق وأحسن ان صدق وخاب ان كذب لان هذا الذي قاله هو الحق الذي يصدقه الواقع والبرهان فربما قالها اعتقاداً بها وتصديقاً بصحتها ولا بعد في ذلك وعلّم الله قد هداه الى الصواب هكذا نوى أن الله تعالى الحافظ لتبانيه يوعده الصدق (اننا نحن نزلنا الذكر واننا له لحافظون) (٢٣) يقيض لهذا :

(٢٠) انظر دكتور محمد البهي الفكر الاسلامي الحديث ص ٥٩١

وما بعدها .

(٢١) الاستشراق والخلفية الفكرية ص ٩٦ .

(٢٢) عبد الرحمن رحمن رحمة الله عليه المجلد الثلاثي وخوافيها

التبشير الاستشراقي الاستعماري ص ٩٦ .

(٢٣) سبق تخريج هذه الآية الكريمة وهي من سورة العنكبوت (٨١)

الدين من رجال الغرب علماء أنصفوا الحقيقة أنطقهم الله بها فقاموا يكتبون أروع ما يقال عن دين الله تعالى الاسلام وعن كتابه القرآن ومن هؤلاء فوق ما سبق أن ذكرناه :

٢ - الأستاذ يوسف زخريا وهو مسيحي يعمل بتدريس مادة الشريعة الاسلامية فى الجامعة الامريكية اذ يعترف بافضل لهذه الشريعة الغراء فهى تمتاز عن الشرائع الأخرى المعهول بها فى عصرنا الحاضر بأنها فضلا عن كونها مجهودة القواعد والاحكام التى يجب أن يسير عليها المسلمون بما حوت من أمر ونهى هى فوق ذلك شريعة مدنية تصلح حال الامم التى تتمسك بها وتسير على نهجها سواء آكانت هذه الامم مسلمة أم غير مسلمة هكذا تتوالى الشهادات لصالح الاسلام كنظام عادل وصالح للازمان •

٣ - ويأتى فى هذه المرتبة القيمة والمحترمة ما علق به أستاذ الفلسفة بجامعة هارفرد الدكتور (هوكنج) عندما يذكر أن تقدم البلاد الاسلامية ليس فى اتخاذ اساليب الغرب المنكرة للدين المعادية له وعدم اعتباره موجهاً لحياتهم اليومية وإنما سبيل الرقى والتقدم والنمو والحضارة والازدهار فى اتخاذ الدين الاسلامى الحنيف مصدرا لعملهم فنظام الاسلام يستطيع توليد أفكار جديدة وأحكام مستقلة تتفق مع الحياة وأخيرا يقرر بأنه على يقين ثابت بأن الشريعة الاسلامية تحتوى على جميع المبادئ اللازمة لرقى الانسان والنهوض به وسعادته (٢٤) هذه بعض الشهادات من هؤلاء الاعلام الغربيين ممن درسوا الاسلام وتمعنوا فيه فوصلوا أخيرا الى حقيقته الهادية وأحكامه الهادفة الى سعادة البشر أجمعين فى كل عصر وحين •

ثم ان هذه الشهادات العظيمة واقيمة من هؤلاء المعتدلين الذين لم يعجبهم منهج المستشرقين ضد الاسلام من بنى جلدتهم أعنى شهادات الباحثين الغربيين بالخير للاسلام هذه الشهادات لم تقف عند حد الرجال فقد وجدنا نساء أوروبيات محترمات قد اقتنعن بالاسلام حيث آمن به وصدقن برسوله وأعطين الاسلام نفس الشهادة الطيبة وانما نورد هنا هذه الشهادات من مثل هؤلاء الباحثين والباحثات من الاوربيين والاوربيات قبل الخوض فى ذكر بعض المسلمين ممن ناوؤا الاستشراق تكون أبلغ فى الحجة وأسلم موقفا تجاه أباطيل اخوانهم من المستشرقين الحاقدين على القرآن وكتابه ونبيه وعليه فان علماء المسلمين ليسوا بدعا بعد تلك الشهادات من هؤلاء المنصفين للاسلام المناوئين للمستشرقين ونذكر من هؤلاء الاوربيات الفاضلات .

١ - الدكتورة أوربا خالرى :

تقول فى وصف اقرآن ببلاغته واعجازه وردا على بنى جلدتها من الحاقدين « ان أسلوب القرآن فريد فى بابه وليس له مثل سابق فى الأدب العربى ويقع من النفس البشرية موقعا صحيحا لا تصنع ولا اغتراء ولا تهويه ولا استكراه » - وتريد من شهادتها الطيبة - ان آيات القرآن كلها - وعلى القارئ أن يتأمل بتؤدة لفضة كلها - على جانب عظيم من الفصاحة حتى ما كان منها خاصا بالوامر والنواهى التى يجب أن تكون فى أسلوب هادى ، كما أن سيرة الانبياء وأوصاف بدء الخلق ونهايته والاحكام وصفات الله وخصائصه كل ذلك يتكرر ذكره فى هذا الكتاب العجيب بأشكال وصور متعددة ولكن دون أن يفقد شيئا فى روعته ومكانته ، وكذلك الانتقال من موضوع الى موضوع فى القرآن يحصل كثيرا ولكن دون أن ينحط

الشعير عن مستواه ومن غير أن تقل حلاوته ، ان التعقق وسلامة التعبير صفتان ظهرتا بجلاء فى القرآن كما أن جميع صور ابلاغة تجد تطبيقا كاملا فى هذا الكتاب العجيب •

— وأخيرا تختم شهادتها العظيمة للقرآن بقولها — فكيف يقال والحالة هذه انه من صنع محمد — ﷺ « (٢٥) •

٢ — الكاتبة البرطانية « ايفيلين كويلد » :

تحكى قصتها وكيف كانت تعيش فى الجزائر وكيف كانت تتردد على المساجد وتعجبها الروحانية الطيبة التى تراها فى بيوت الله الى آخر كلامها (٢٦) وتستدرج فى حديثها عن الاسلام وجماله وعن عقيدته وكمالها ثم تقول بعد ذلك « ورحت أقرأ عن الاسلام وكلما أمعنت فى القراءة ازداد ايمانى بأن الدين الاسلامى أكثر الاديان طواعية وقربا من العقل ، وأنه الدين الوحيد الذى يستطيع تفسير النظم الحاضرة والبلوغ بالانسانية الى ما تنشده من طمأنينة وسلام ، — ثم تحكى زيارتها الى المسجد الحرام وما شاهدته من عظمة الاسلام الداعى الى التوحيد الخالص لله تعالى — ولاحظت أن الناس لا يصرون باتجاه القبر النبوى لان محمدا — ﷺ — منع الصلاة عند قبره ونهى عن اتخاذ القبور مساجد لان الصلاة انما تكون لله وحده جل جلاله وليس فى الاسلام صلاة لغير الله ولا قبنة غير الكعبة حقا ان الاسلام هو الدين الطبيعى الذى يتقبله المرء بطوعه فيما لو ترك لنفسه » (٢٧) •

(٢٦، ٢٥) الدكتور محمد أحمد جمال مفتريات على الاسلام ص ٢٦٠

وما بعدها •

(٢٧) نفس المرجع السابق ص ٢٦١ •

٣ - االدكتوراة الهولندية « ستان رايتنس » :

انها الأخرى تبدى اعجابها بالاسلام وعدل الاسلام وأنه ادين
 الوحيد الذى أعطى المرأة حقها كاملا غير منقوص ووفر لها احترامها
 وصان لها كرامتها فتقول فى هذا الشأن « اهتمامى بالامور الدينية كان
 كبيرا منذ وصولى الى الجامعة وازداد اهتمامى بالاسلام حين كنت
 أدرس فى جامعة « تجايكن » بهولندا علم تاريخ الشعوب ولذلك اخترت
 لاطروحتى لنيل االدكتوراة من جامعة كولونيا موضوعا اسلاميا وزرت
 المشرق مرتين فى عام ١٩٦٥ م ، ١٩٦٨ م فازددت اعجابا بما تعرفت
 عليه من تراث ثقافى حضارى اسلامى فتأثرت به أكثر مما عرفت فى
 الجواربى النفاقى وجدت بعد دراستى الطمأنينة التى بحثت عن
 كثيرا ورحت أتعلم فى دراسة اللغة العربية وفى قراءة القرآن فوجدت
 الاسلام قد استحوذ على عقلى وروحى معا لأمرين :

الأول : أن الاسلام يأخذ الانسان على طبيعته وفطرته تماما .

الثانى : أنه يحتوى على نظام كامل لكل النواحي الروحية
 والاجتماعية .

وفىما يتعلق بالمرأة منحها الاسلام مركزا مرموقا بينما هى فى
 الأديان الأخرى أمة لا حق لها ولذلك اعتنقت الاسلام لانه أعطانى
 حاجة الروح والعقل معا هذه هى الحقيقة التى تجعلنى الآن أشعر بأننى
 جزء من هذا العالم الذى أحبه عالم الاسلام (٢٨) .

(٢٨) انظر نفس المرجع السابق والصفحة .

هذه بعض الامثلة لهؤلاء السيدات الفضليات ممن درسن الاسلام
 من أجل الكيد له لكن شاء الله لهن الهداية فدخلن الاسلام عن طوعية
 واقتناع وبدأن الدعوة لله تعالى والدفاع عن دينه (الاسلام) وهناك
 الكثير منهن اكتفيت هنا بضرب الامثلة ومن أراد المزيد فليرجع الى
 مصادرهما (٢٩) .

(٢٩) راجع على سبيل المثال المرجع السابق ص ٢٦٣ وما بعدها أيضا
 الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ص ٣٥ .

(٩ - المستشرقون)

البحث الثاني

نماذج من المناوئين المسلمين للمستشرقين :

رأينا فيما سبق أن هناك من المستشرقين فريقا التزم بالموضوعية والحييدة نحو دراسته للإسلام ومن آثار النزاهة العلمية التي اتبعها في دراسته وصل إلى محاسن الإسلام فأنصفه بعض الانصاف وقد وصل الأمر ببعضهم في انهاء أن اعتنق الإسلام وأخذ يدافع عنه ويدعوا له وقد ضربنا الامثلة الكثيرة لهم فيما سبق والآن مع بعض الامثلة لمفكرى المسلمين ممن ناووا المستشرقين وأخذوا ينقدوهم ويظهرون للناس عوارهم ويكشفون لهم عن نياتهم الخبيثة نذكر من هؤلاء .

١ - دكتور مصطفى السباعي :

نستطيع أن نقول ان الدكتور مصطفى السباعي من الدعاة لله عز وجل المخلصين لخدمة الإسلام والمسلمين دافع بقوة عن الإسلام ورد بشدة على افتراءات المستشرقين في كتبه التي ألفها وفي مقالاته الاذاعية وفي خطبه وكلماته الرنانة الى آخر طرقه التي استعملها يقول الدكتور مصطفى السباعي في أحد مقالاته « كثيرا ما أتمنى أن يتفرغ منا رجال للكتابة عن هذه الحضارة الغربية وتاريخ علمائها بالاسلوب نفسه الذي يكتب به المستشرقون من تتبع الاخبار الساقطة وفهم

النصوص على غير حقيقتها وقب الحاسن الى سيئات والتشكيك في كل خبر يصدر عن هؤلاء الغربيين ولو حصل هذا لخرجت منه صورة لهذه الحضارة ورجالها مضحكة مخزية ينكرها المستشرقون قبل غيرهم (٣٠) •

وفي موطن آخر يبين الخطر المحقق من جراء أبحاث المستشرقين وما تكنه نفوسهم من حقد على الاسلام والمسلمين وما يصنعونه بأبناء المسلمين من عداوة ووقوف أمام هدفهم (نصره الاسلام) فيقول السباعي في ذلك « لقد كتبت عن المستشرقين كلمة موجزة في كتابي السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي » قبل أن أزور أكثر جامعات أوروبا واختلف اليهم وأتحدث اليهم وأناقشهم فلما تم لي ذلك ازدادت ايمانا بما كتبتة عنهم واقتناعا بخطرهم على تراثنا الاسلامي كله سواء أكان تشريعا أم حضاريا لما يملأ نفوسهم من تغض ضد الاسلام والعرب والمسلمين » (٣١) •

ويذكر الدكتور السباعي عدة مواقف واحداث وقعت له هناك على يد المستشرقين الحانقين نذكر منها واحدة على سبيل المثال لنبين للقارئ الكريم الى أي حد وصل هذا الحقد على الاسلام ومستقبل المسلمين حيث يذكر الدكتور السباعي أنه خلال الحرب العالمية الثانية أجهز الغرب على أحد طلاب العلم المتخرجين من الأزهر الشريف ممن يطلب الدكتوراه في جامعاتهم « في التشريع الاسلامي » وذلك من

(٣٠) انظر دكتور السباعي المستشرقون ما لهم وما عليهم ص ٦٥

سنة ١٩٧٨ ط ثانية • • • ٦٥ • • •

(٣١) المرجع السابق ذكره ص ٥١ • • •

جامعة لندن لسبب عجيب ان أطروحته كانت عن حقوق المرأة في الاسلام
أما الطالب فقد برهن في رسالته على عظمة التشريع الاسلامي الذي
أعطى المرأة حقوقها كاملة غير منقوصة وقد تدجج السباعي سائلا
المستشرق المشرف ولماذا لم تنجح الرسالة ولم ينل صاحبها شهادة
الدكتوراه؟؟؟ مع أنكم تدعون حرية الفكر في جامعاتكم؟؟ وقد قال
الطالب رآيه الذي اقتنع به وهو مسلم؟؟ ان الجواب كان أعجب من
رسوب الرسالة أنه رسب لأن الطالب تكلم بالاسلام واشتغل من الاسلام
وسار في رسالته على نهج الاسلام المستمد من كتاب الله وسنة نبيه؟؟

لقد رسبت الرسالة ولم تدجج لان الطالب كان يقول الاسلام
يمنح المرأة كذا والاسلام منع المرأة من كذا (٣٢) •

من تلك القصة يرى القارئ أن هذا المستشرق قد صنع من نفسه
وصيا على الاسلام حيث تساعل هل الطالب ناظر زسمى باسم الاسلام؟
ورمى صاحب الرسالة بالجهل ظلما وعدوانا وبغيا ولددا حيث يذكر بأن
آراء الطالب في حقوق المرأة لم ينص عليها فقهاء الاسلام الاقدمون
كما يتهم الطالب بأنه مغرور بنفسه — كذبا طبعا من المستشرق — اذ
يدعى أنه يفهم الاسلام أكثر مما فهمه أبو حنيفة والشافعي (٣٣) •

هذه هي حجج المستشرق قدمها تبريرا لرفضه الرسالة وكما هو
مشاهد انه كلام عار عن البيان والبرهان أو الحجة والدليل لكنها
العصبية العرقية والحقد الدفين من قديم على الاسلام وأهله والوقريف

(٣٣) نفس المرجع السابق ص ٥١ ، ٥٢ •

(٣٢) نفس المرجع السابق ص ٥١ ، ٥٢ •

دائماً ضد هذا الدين ولا يقف المستشرقون عند هذا الحد من الافتراء وتشويه صورة الاسلام ومحاربة طلاب العلم لكسر نفوسهم وصددهم عن طلب العلم الدينى الاسلامى بل يتجاوزون كل الحدود ويتعدونها الى الكيد والتخريب لعقيدة المسلمين وأخلاقهم المكتسبة من الاسلام يكن السباعى رحمه الله تعالى يرد عليهم فى (أحاديثه الازاحمية) لهفرياتهم ومحاولة تحطيمهم للقيم العليا والاخلاق المثلث مشيراً الى ذلك بقوله : « ان مما يهدفون اليه هو اشاعة الانحلال الاخلاقى بين الشباب والفتيات عندنا فهم يزينون لهم الخروج على آداب الاسلام وأخلاقه وتعاليمه السامية بحجة أنها رجعية وكذلك يزينون لهم العبث والتموه وفقدان المثل الاعلى وضياع الشخصية وحجتهم فى ذلك أنه تقدم وتمدن وأن ذلك من علامات الرقى والحضارة مع أنهم فى بلادهم يشكون من انحدار الاخلاق والمثل » (٣٤) •

هكذا نرى بحوثهم عن الاسلام تبدأ مع ضمائر مدخولة ولم يخطر ببالهم أبدا نية التجرد للحق والاخلاص له بل بالعكس يعز عليهم أن يتفوهوا بلمة الحق التى فيها انصاف الاسلام أو تتكشف عن حقيقة من حقائقه العايدة السامية •

وانما يدخلون هذا الميدان (ميدان البحث فى الاسلام) وفى اذهانهم أفكار مسبقة هى أن الاسلام دين ياطل لابد من حربه حتى يذهب من الوجود وفى الحق أن هذا مخالف لايسط قواعد العلم التى تحتم على الباحث أى باحث أن يبدأ ببحثه وهو يخال الذهن من الاحكام والتجرد من الاهواء والشهوات •

هكذا يصل الى النتائج المرجوة بعد استعمال الادلة النليصة والبراهين (٣٥) الساطعة هذا هو البحث العلمى الحقيقى المعترف به وليس ما يصنعه المستشرقون وهى الحقيقة التى يشير اليها المستشرق المنصف الفرنسى الجنسية « موريس بوكاى » من أن معظم الباحثين الغربيين قد نشؤوا على سوء اثنية ضد الاسلام مع سوء فهم له ولكتابه المجيد هكذا حاول المستشرقون غير المنصفين أن يشوهوا صورة الاسلام أمام أعين الناشئة (٣٦) شهادة يقر بها ويعترف بوكاى بكل صراحة وخير الفضل ما شهدت به الاعداء كما يذكرون فى المثل وهو حق •

ويستمر الشيخ السباعى رحمه الله تعالى فى مناوأة المستشرقين والرد على مفترياتهم وبيان تفاهت آرائهم من ذلك رده على فرية ابتدعوها ظلما على الاسلام وهى ادعائهم أن الاسلام يتسم بالظلم فى أحكامه ومعاملاته على سبيل المثال ضرب الجزية على أهل الكتاب من أجل أن يعتقدوا الاسلام بالقوة ويرد عليهم الشيخ بأسلوبه المقتنع ويضرب الامثلة التى توضح كلامه اذ يقول : « انه لامر مضحك هذا القول الذى يقولونه — ويشير بالحجة الى أن أهل الذمة دخلوا الاسلام طواعية لا كرها — فإو كان أهل الذمة مطمئنين الى دينهم مقتنعة به عقولهم راضية به نفوسهم لما تركوه خشية من دفع اثنى عشر درهما فى السنة أو غيرها وإأى انسان يترك دينه لو كان مطمئنا اليه خوفا من دفع هذا المبلغ الزهيد ، ولو خير المسلم وهو واقع تحت حكم الاستعمار بين أن يخرج عن أمواله كلها أو أن يخرج من دينه لما وجدنا

مسلمًا واحدًا على الأرض يفضل ماله على دينه (٣٧) •

ثم يبين لهم العظمة الكامنة في الإسلام ويحل لهم اللغز الذي حيرهم ولم يستطيعوا أن يفطنوا لسببه قبيبه هو لهم لقد طرحوا على أنفسهم سؤالاً وما استطاعوا له جواباً واعتبر لغزاً في نظرهم هذا السؤال أو اللغز ما هو سر نجاح المسلمين الأوائل؟؟ وما هو سبب انتصارهم على أعظم قوتين في العالم في ذلك الوقت مع قلة عدد المسلمين وندرة عتادهم بل أسلحتهم كانت بدائية مع أن الجانب الآخر كان يتمتع بالاعداد الهائلة والأسلحة الفتاكة وهم قوتا الفرس والروم؟

يقول في هذا الصدد : « لما كان المؤرخون الغربيون هماديين في تفكيرهم وفلسفتهم في الحياة فقد عجزوا عن حل اللغز المحير في زعمهم وهو انتصار المسلمين بأسلحتهم البسيطة وأعدادهم القليلة على أعظم دولتين في العالم وهما دولتا الفرس والروم مع ما تملكاه من أسلحة فتاكة وأعداد ضخمة من الجيش ولكن هناك عوامل ثلاثة كانت سبباً لانتصار المسلمين وهي العقيدة الراسخة والاهداف السامية والخلق الاسلامي الرفيع الذي تخلق به المسلمون (٣٨) •

هذه بعض الصور من دفاع الدكتور السباعي رحمه الله تعالى وبعض الألوان البيانية المقنعة والتي تفهم الخصم بالادلة والبراهين

(٣٦) نفس المرجع السابق والصفحة •

(٣٧) راجع مفتريات على الاسلام ص ٢٢٤

(٣٨) نفس المرجع السابق ص ٢١٨ •

و ضرب الامثلة ونكتتى بهذا وانتقل الى لون آخر من ألوان المناوأة للمستشرقين والدفاع عن الاسلام والمسلمين هذا اللون الجديد وهذه الشخصية المسلمة الداعية لله المتحملة فى سبيله تعالى الكثير انه الداعية الاسلامى الكبير صاحب القلم السيل الذى ما سكت ليلا أو نهارا ساهرا مدافعا عن الاسلام بقلمه ووعظه وخطبه فضيلة الشيخ محمد الغزالي •

THE UNIVERSITY OF CHICAGO

1970 - Long Beach, California
 1970 - Long Beach, CA 377-
 1970 - Long Beach, CA 377-

٢ - الشيخ محمد الغزالي :

يعتبر الشيخ الغزالي من العلماء المبرزين الذين أثبتوا وبرهنوا للغرب وخاصة المستشرقين منهم على أن الاسلام دين الحق الذي أنزل من عند الله تبارك وتعالى هو دين العدالة الذي انصف كل مظلوم وأعطى لكل ذي حق حقه كما رد افتراءاتهم وكذبهم على الله ورسوله وكتابه تعالى حيث أنهم حاولوا صرف الخلق عن الخالق وكتابه وسفاهة نبيه ﷺ إلى مخاريق زخرفوها للناس وتأويلات اصطنعوها من عند أنفسهم (١) يقول الشيخ الغزالي رداً على المستشرقين الذين يريدون أن يأتيوا على القرآن الكريم ويحاولون نفى كونه من عند الله ونسبته إلى الرسول ﷺ وأنه اخترعه من عند نفسه يقول الشيخ الغزالي رداً ذلك عليهم بالدليل العقلي « أن محمداً - ﷺ - ترك بين أيدينا ما يشهد بنبوته فما الذي تركه غيره فان جمهور الانبياء مات من دهر بعيد وقد وصلت إلينا أسماؤهم ومواريتهم الدينية والروحية والفكرية فقط وإن لمحمد كتاباً نرى أنه من عند الله ويرى المستشرقون أنه من عند نفسه، فماذا لموسى وعيسى ؟ ليس لهما كتب من طراز القرآن ، غاية ما هنالك صحائف كتبها كثيرون تضمنت نكتاً من تعاليم أوائل الانبياء » (٢) .

ويواصل الشيخ محمد الغزالي دفاعه عن الاسلام وبيان نواياهم (السيئة) مع تهافت أفكارهم وآرائهم فيقول في هذا الصدد « ولا يعرف العقل ولا المنطق حداً لما يقوم به المستشرقون من تحريف التاريخ

عن محمد الغزالي في كتابه "دفاع عن الاسلام"

الطبعة الأولى ١٩٦٤م - دار الفكر - بيروت

(١) الشيخ محمد الغزالي، دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين فقد عقده لهذا الغرض وانظر دكتور بركات عبد الفتاح دويدار الحركة الفكرية ضد الاسلام، ص ٩٦، مطبوعات جامعة أم القرى ١٤٠٦هـ - ٢٠٠٥م

الاسلامى وتشويهه لمبادئ الاسلام وثقافته واعطاء المعلومات الخاطئة عنه وعن أهله ، وهم كذلك يجاهدون بهذا الوسائل لينتقصوا من الدور الذى أداه الاسلام فى تاريخ الثقافة الانسانية ، ان المستشرقين جميعا فيهم قدر مشترك من هذا الخصام مع التفاوت « (٣) ان وجد بينهم انما هو فى الدرجة فقط ، فبعضهم أكثر تعصبا ضد الاسلام وعداوته له من البعض الآخر ولكن يصدق عليهم جميعا أنهم أعداء وإذا كان الاستشراق قد قام على اكتاف الزهبان والمشركين فى أول الامر ثم اتصل من بعد ذلك بالمستعمرين فإنه مازال حتى اليوم يعتمد على هؤلاء وأولئك ولو أن أكثرهم يكرهون أن تتكشف حقيقتهم ويؤثرون أن يخنعوا وراء مختلف العناوين والاسماء (٤) » .

ولعل مما يوضح هذا الامر أكثر ما ذكره الدكتور حسين الهراوى اذ يكشف عن نوايا المستشرقين فى قوله : « ان للمستشرقين طريقة لا تشرف العلم وهى أنهم يفترضون فرضا ثم يلتمسون أسبابه فاذا وجدوا فى القرآن آيات تتناسب معانيها مع غرضهم اقتبسوها وإذا وجدوا آيات لا تتناسب مع غرضهم تجاهلواها وقالوا انها غير موجودة فى القرآن الكريم » (٥) .

هكذا ينطبق عليهم الوصف الذى وصفهم به الشيخ الغزالي حين يصور

(٢) الشيخ محمد الغزالي دفاع عن العقيدة والشريعة وانظر

مفتريات على الاسلام ص ١٢٤ .

(٣) دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين ص ١٣ .

(٤) نفس المرجع السابق ص ١٤ .

(٥) انظر الأساليب الحديثة ص ١٠٤ .

لنا حقيقة المستشرقين والدور القذر الذى ي لعبونه ضد الاسلام والمسلمين فيقول : « ان الاستشراق كهانة جديدة تلبس مسوح العنم والرهبانية فى البحث وهى أبعد ما تكون عن بيئة العلم والتجرد وجمهرة المستشرقين مستأجرون لاهانة الاسلام وتشويه محاسنه والافتراء عليه » (٦) انهم فى بحوثهم لا يعرفون سوى السقيم من المعلومات والعامل من الخبث التى هى متسوسة على الاسلام المليئة بالاسرائيليات والغرائب والخرافات وعن طريقها يستخرجون ما يريدون من دس على الاسلام واهانه له وما يرضى مشاربهم بحيث يحمون النصوص ما لا تحتل من المعانى متجاهلين مدى صحة هذه المصادر (٧)

هذه بعض مواقف للشيخ محمد الغزالى ضريتها مثالا للقارى الكريم ليرى نهجه فى الدفاع عن الاسلام ضد مطاعن هؤلاء المستشرقين الحاقدين على أنه مما تجدر الاشارة اليه أن الشيخ محمد الغزالى لم يقف فى هجومه عند حد المستشرقين بل أخذ يكيل بسهام نقده الموجهة ضد المستغربين ممن افتننوا بأراء المستشرقين واعجبوا بكلامهم ضد الاسلام فنقاوه بحذاميره على سبيل المثال نرى الغزالى فى كتابه دفاع عن العقيدة والشريعة يتعرض لهؤلاء بالطعن والسباب ومنهم طه حسين صاحب كتاب فى الشعر الجاهلى ، مستقبل الثقافة فى مصر وفى ذلك نستمتع الى الغزالى حيث يقول : « ومن المضحك أن يجيء الدكتور طه حسين فيتبنى هذا الضلال ويخرجه فى كتاب ألفه عن الشعر الجاهلى بعد أن يخيل للناس أن هذا الكفر هو نتاج عقائه

(٦) دفاع عن العقيدة والشريعة ص ٨ .

(٧) قارن الأساليب الحديثة فى مواجهة الاسلام ص ١٠٦ .

الخاص وليس نقلا عن المستشرقين مثل مرجليوت الذى أنكر قصة مجيء إبراهيم وابنه اسماعيل الى مكة وعنده أن اليهود الذين استوطنوا بلاد العرب اخترعوها وهو يرى (أى طه حسين) « مثل مرجليوت » فى اختراعهم لها نوعا من الحيلة فى اثبات الصلة بين اليهود والعرب وبين الاسلام واليهودية وبين القرآن والتوراة » (٨) •

هكذا نرى أن الجهل قد خيم على رؤوس هؤلاء المستشرقين ومن تابعهم من بلاد الاسلام فهم على مستوى كبير من الجهل بل هم الجهل يعينه أو ان شئت فقل ان الجهل تنزع عنهم وطمس على قلوبهم فهم لا يفقهون الصواب من اقول أو السديد من الرأى فيما يقول أحمد غارس الشديان « ان هؤلاء المستشرقين لم يأخذوا العلم من شيوخه وانما تطفلوا عليه تطفلا وتوثبوا فيه توثبا ومن تخرج فيه بشئ فانما تخرج على اقسس ثم ادخل رأسه فى أضغاث أحلام أو ادخل أضغاث أحلام رأسه وقرهم أنه يعرف شيئا وهو بجهله وكل منهم اذا درس فى احدى لغات الشرق أو ترجم شيئا منها تراه يخطب فيها خطب عشواء فما اشتبه عليه منها رقعة من عنده بما شاء وما كان بين الشبه واليقين حدس فيه وخمن فرجح فيه المرجوح وفضل المفضول » (٩) •

هكذا نرى أن كلا من الدكتور السباعي والشيخ الغزالي يتحملان عبئا ثقيلا من أجل الدفاع عن الاسلام بكل ما يملكان من وسائل الدفاع لمفضح نوايا هؤلاء وراد افتراءات المستشرقين الغربيين والمقلدين من القوميين ومكتفى بهذا انقدر من الحديث عن منهج الغزالي وأسلوبه فى الدفاع وننتقل الى مثل آخر هو العالم الفاضل المدافع الثابر :

(٨) دفاع عن العقيدة والشرعية ضد مطاعن المستشرقين ص ٤٠ •

(٩) دكتور مصطفى السباعي الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما

عليهم ص ١٣٠ سنة ١٤٠٥ هـ •

الدكتور محمد البهى :

لا نريد أن نطيل الكلام هنا ولكن سوف نضرب مثلاً واحداً من دفاع الدكتور البهى وفيه يظهر لنا المنهج الذى اتبعه فى مجادلة هؤلاء ومحاربتهم لمواقفهم العدائية ضد الاسلام وحتى لا نطيل على القارئ الكريم نقول وبالله التوفيق اننا لو أمسكنا بأيدينا كتاباً من كتبه لىكن مثلاً الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى نرى ان الدكتور البهى يتناول فيه افتراءات المستشرقين المتعددة سواء منها ما يتعلق بشخص الرسول ﷺ ودعوته المباركة أو ما يتعلق بالقرآن الكريم وغير ذلك ونحن هنا لا نريد أن نستعرض فى ذكر كلامه الذى نقله عن المستشرقين فى الاسلام ونبيه ويكفى فقط أن أحيل القارئ على عدة صفحات يرى فيها بنفسه كيف أن الدكتور البهى تقصى كل ما قاله المستشرقون وجمعه وأخذ يرد عليه (١٠) •

ولنأخذ هذا المثال من الرد عليهم كما جاء فى كتابه المذكور فهو بعد استعراضه — كما ذكرت سابقاً — لأرائهم فى الاسلام وفى شخص رسول الله ﷺ يقول : « ان الاسلام الذى يعرضه هؤلاء المستشرقون المتحاملون على الاسلام فى كتبهم هو اسلام من اختراعهم وهو بالطبع ليس الاسلام الذى ندين به كما أن محمداً الذى يصورونه فى مؤلفاتهم ليس هو محمد الذى نؤمن به وانما هو شخص آخر من نسج خيالهم (١١) »

(١٠) راجع على سبيل المثال ص ٢٧ وما بعدها ، ص ٢٠٢ وما بعدها.

ص ٢٠٧ وما بعدها فوق ما سيأتى من كتابه القيم الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى .

(١١) الفكر الاسلامى الحديث ص ٥٧٠ .

ثم ان وجهة النظر هذه على الرغم من أنها لا تعتمد على مصدر مكتوب يؤيدها فان الظروف العامة والظواهر المترادفة فى كتابات هؤلاء المستشرقين تعزز وجهة النظر هذه وتضفى عليها بعض خصائص الاستنتاج العلمى ونحن المسلمين لسنا فى حاجة الى دليل لاثبات بغض أهل الكتاب للإسلام ولنبيه وأكتابه(١٢) فهذا البغض أو هذا الحقد بدا وظهر منذ بعث ﷺ ومازال مستمرا حتى وقتنا الحاضر فقد ظهرت لنا بجلاء واتضحت الاهداف الدنيئة والنوايا السيئة منهم تجاه الاسلام وكتابه ونبيه ﷺ كما قال عز من قائل « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا » (١٣) ، « ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ماتهم » (١٤) .

فقد وجدوا فى مجال الاستشراق بابا ينفثون منه سمومهم لمحاربة الاسلام والمسلمين بل طريقا يسلكونه من أجل الوصول الى ما يصبون اليه من هدم للإسلام وكيد له من هنا دخلوا هذا الباب باب الاستشراق مستخفين تحت رداء الدراسات الاسلامية والعربية(١٥) ان الحقيقة التى يجب أن يفهمها المستشرقون جميعا على اختلاف طوائفهم وأجناسهم هى أن الدين الاسلامى هو بحق الدين المنزل من عند الله تعالى مسخ به كل الاديان ومحا به ما عداه فحقيقته ثابتة لاشك فى ذلك وعقيدته وشريعته باقية بقاء الدهر وكتابه محفوظ من التبديل والتحريف .

(١٢) راجع نفس المرجع ص ٥٣٤ .

(١٣) سورة المائدة آية رقم ٨٢ .

(١٤) سورة البقرة آية رقم ١٢٠ .

(١٥) قادن دكتور محمود حمدي زقزوقي الاستشراق والخلفية الفكرية

فالاسلام حقيقة ثابتة وعقيدته راسخة وشريعته كاملة متكاملة (١٦)
هذه حقيقة يجب أن يعترف بها المعاندون المشاكسون بل الحاقدون
شاؤوا أم أبوا « والله متم نوره ولو كره الكافرون » (١٧) •

هذه بعض الامثلة ممن ناوؤا المستشرقين والحق أنهم كثر منهم
على سبيل المثال عباس محمود العقاد (١٨) ومنهم الدكتور عبد الجليل
شلبى (١٩) وغيرهم كثير ممن لا يتسع المجال لذكر آرائهم ومناهجهم فى
ذلك ويجب أن ننوه بالدور الكبير الذى لعبه العالم الاسلامى فى هذا
المضمار انه فضيلة الأستاذ الدكتور محمود حمدى زقزوق فله التأليف
الكثيرة فى هذا الشأن وعلى رأسها كتابه القيم « الاستشراق والخلفية
الفكرية للصراع الحضارى » وهو كتاب طيب فى بابه جدير بالاطلاع
عليه فقد بذل فيه الباحث جهدا كبيرا رد فيه على المستشرقين ونقد
دنهجهم وذكر ما يجب أن يتبع فى هذا الطريق من أجل محاربة أفكارهم
السامة وخططهم الدنيئة ضد الاسلام والمسلمين حيث كتب فصلا آخر
بين فيه موقفه من الاستشراق وسيرى القارىء الكريم اننا اقتبسنا
منه الكثير من خلال كلمات هذا الكتاب •

-
- (١٦) راجع غابر بن محمد السفينى المستشرقون ومن تابعهم وموقفهم
من ثبات الشريعة وشمولها دراسة وتطبيقا ص ٧٤ •
(١٧) سبق تخريج الآية الكريمة •
(١٨) راجع على سبيل المثال الاسلام فى القرن العشرين ص ٤
وما بعدها من صفحات •
(١٩) راجع صور استشراقية فقد عقد الكتاب لهذا الغرض •

وله كذلك كتاب قيم بعنوان « الاسلام فى الفكر الغربى » راجع على سبيل المثال ص ٦٠ منه لترى بنفسك كيف أن العالم الفاضل أخذ على عاتقه أن يبين للمسلمين خطط المستشرقين والمستعمرين وله كذلك بحث بعنوان « الاسلام فى الفكر الثقافى » وهو بحث طيب فى بابه منشور بحوليه كلية الشريعة بجامعة قطر أنظر ص ١٠٩ من الحواشى المذكورة الى غير ذلك •

الفصل الرابع

« الاتجاه الموضوعى فى هذه المسئلة »

أولاً - مقدمة :

فيمما سبق رأينا اتجاهين متضادين تماما تجاه المستشرقين - كما رأينا ذلك بوضوح تام - وأحد الاتجاهين معجب بهم حيث ينادى بأن نسير فى ركاب الغرب فى كل شىء حتى فى الأكل والشرب وربما قد وجدنا أن البعض قد رجع وأعلن فى شجاعة خطاه وبعده عن الصواب ونادى بعد ذلك بالاسلام وأخذ يمدحه ويدعو لتمسك به كما هو الحال مع طه حسين ، وعلى عبد الرازق ونسأل الله أن يكون ذلك حقا ان شاء الله تعالى .

أما أصحاب الاتجاه الثانى فهم المناوئون المحاربون للمستشرقين اذ بينوا للناس مخازيهم ومثاسدهم بل نيتهم السيئة المبيتة ضد الاسلام وفى هذا الفصل بمشيئة الله تعالى نذكر رأينا فى المسئلة مع التعرض لأصحاب الاتجاه الموضوعى بحيث يكون ذلك وسطا فى الحكم فهو لا يذكر الجوانب السلبية أو السيئات التى قدمها هؤلاء المستشرقون فقط أو يذكر الحسنات فقط ويتغافل عما قدموه من أفعال سيئة ضد الاسلام والمسلمين وكما قال أحد الباحثين المثابرين فى هذا المجال نحن لا ندخل عليهم دخول المنكر المعاند الباحث عن المثالب ، وانما دخولنا عليهم دخول الباحث الذى يتوخى الصواب ليصل من خلاله الى الحقيقة وهذا الأسلوب أو هذا المنهج لا شك يجع الكاتب المنصف أو صاحب المنهج الموضوعى لابد أن يتجه الى ما لهؤلاء القوم من

(١٠ - المستشرقون)

الاشرقين من ايجابيات يرى من الواجب أن يذكرها احقاقا للحق
بالسبل ينظر الى تلك السلبيات التي سطرت بأيديهم وسجت عليهم
بحيث لا تنكر ولا ريب فهذا المنهج طيب ومبارك يوصل للصواب في
الحكم على الاشياء وهو المنهج بحق الذي حثنا على اتباعه الاسلام
الحنيف احقاقا للحق ووضعنا للامور في نصابها (١) وصدق مولانا تعالى
الناقل « ولا يجرمنكم شنئان قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو اقرب
للنقوى » (٢) « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله
ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين » (٣) وكما ذكر أحد الباحثين
الآخرين في الحق أن كل من الثناء المطلق والتحامل المطلق يتنافى مع
الحقيقة التاريخية التي سجلها هؤلاء المستشرقون فيما قاموا به من
أعمال وما تفرقوا اليه من أبحاث ونحن كمسلمين من قوم يأمرهم دينهم
بالعدل مع العدو والصديق (٤) من هنا نرى من الواجب على الباحث
المنصف أن لا يغمطهم حقهم في الخير ان وجد منهم فيقدر لهم أعمالهم
العامية وأبحاثهم المفيدة ولا ضرر في ذلك اذا اعترفنا لعدونا بما له
من مزايا وإيجابيات فلربما يكون ذلك مفيدا لنا حافزا لهممنا من أجل
التهوض والاستفادة من جهودهم فنستعد من جديد لقبول التحدى
الذى تفرضه علينا ظروف التحدى على اعتبار أننا مسلمون متمسكون
بديننا متمسكون بعقيدتنا الخالدة (٥) •

فمن المؤكد أن التزام هذا المنهج (الموضوعية) هو دائما طريق
طيب في صالح الاسلام اذ مما لا يغيب عن أذهان العقلاء أن الاسلام

(١) راجع الاستشراق والخلفية الفكرية ص ٧٠ •

(٢،٣) الآيتان على التوالي سورة المائدة ٨ وسورة النساء ١٣٥ •

(٤) راجع الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم ص ١٣ •

(٥) دكتور محمود حمدى زقزوق ص ٧٠ •

بوصفه الدين الحق الثابت من عند الله تعالى فهو لا يخشى عليه من أقوال
 المعرضين أو تيارات الملحدّين المناوئين مهما كانت قوة هذه اتيارات
 والاقوال ومهما كانت مصادرهما أو ثنائها وانتشارها وطالما أن اتباع
 هذا الدين الحنيف يفهمونه الفهم السليم على الوجه الذي أنزل به من
 عند الله تعالى لكن الخوف الحقيقي عندما يفتقد الاسلام لى أتباعه
 الوعى الناضج والفهم الصحيح لأصوله وغاياته وما يرمى اليه (٦).
 وبناء على ما سبق نستطيع أن نقول هناك فريقان من المستشرقين غريق،
 اترم بالموضوعية عند دراسته للاسلام واتصف بالحيادة والنزاهة
 العلمية وأنصف الاسلام والمسلمين بعض الشيء مما أدى الى اعتناق
 البعض منهم للاسلام (٧) وقد شجع على ذلك ظهور النزعة العقلية
 الجديدة اتى بدأت تظهر فى أوروبا بعد عصر القرون الوسطى العاتية
 ضد الاسلام والتي تعتبر على وجه العموم مخالفة للكنيسة بحيث
 سنحت الفرصة أمام بعض الباحثين من الاوربيين فكتبوا فى نصرة
 الاسلام والوقوف أمام هذا التيار المناوئ للاسلام المجحف له فى
 عصر ما قبل النهضة (القرون الوسطى) وبالفعل ظهرت بعض المؤلفات
 العلمية وصفت بالاعتدال تجاه الاسلام وحضارته وحلت محل الآراء
 القديمة التى تبناها اللاهوتيون حتى ذلك الحين والتي تمثلت فى
 وصف النبى ﷺ بأنه شيطان كذاب وساحر الى آخر كما تمثلت فى وصف
 الكتاب الجيد بأنه من صنع محمد وأنه ضرب من اللغو الباطل الى آخر
 أوصافهم للكتاب المنزل من عند الله تعالى فحلت محلها آراء أخرى أقل
 عنفا وأقرب الى الاعتدال والصواب ناحية الاسلام والمسلمين

(٦) نفس المرجع السابق ص ٧٧ .

(٧) راجع العقيقى المستشرقون ج ٣ ص ٦١٩ وراجع ما ضربناه من

أمثلة لهم فيما سبق .

المبحث الأول

إيجابيات المستشرقين

والسؤال الذى يطرح نفسه الآن ما هى أنواع هذه الايجابيات؟؟
والسلبيات ما هى أمثلتها؟؟ والسؤال الثانى الذى يطرح نفسه أمثلة
من هؤلاء المعتدلين؟؟ نماذج من أقوالهم؟؟ هل هم معقدلون على
طول الخط على اعتبار أن الجانب الإيجابى للاستشراق ربما يتمثل فى
صورة الهجوم علينا وعلى أمجادنا وليس فى صورة المدح وان كان هذا
يبدو أمرا غريبا على الأذهان بل هو أمر مستغرب بالفعل ولكن اذا
عرف السبب بطل العجب اذ من المعلوم أن هناك عددا من هؤلاء
المستشرقين المنصفين مدحوا حضارتنا فى مؤلفاتهم وأشادوا على علمائنا
ومجدوا تراثنا ولنضرب الأمثلة لهم قريبا ان شاء الله تعالى (٨) ومع
شكرنا لأمثال هؤلاء الباحثين المخلصين الحقيقة والنزاهة العلمية
البعيدين عن الاهواء والاغراض الا أننا يجب أن لا نغفل عن ملاحظة
جديرة بالاعتبار وتتلخص فى أن جانب المدح والثناء قد يكون له تأثير
تخديرى علينا فيجعلنا نغمض عيوننا مستسلمين لتلك الاحلام السعيدة
التي تذكرنا بماضيينا التأييد وعزنا القديم (٩) والآن نجيب عن السؤال
الذى طرحناه على الاسماع سابقا وهو السؤال عن الايجابيات؟؟

وقد لخص لنا الأفاضل من العلماء جهود المستشرقين على مدى
تاريخهم الطويل فى أعمال مختلفة ومتعددة تحدد فى النقاط التالية :

(٨) انظر الاستشراق والخلفية الفكرية ص ٩٠ .

(٩) دكتور محمود حمدي زقزوق ص ١٥٠ .

١ - عملية التدريس الجامعي : فى أوروبا اذ لا تكاد تخلو جامعة فى أوروبا أو أمريكا من معهد خاص بالدراسات العربية والاسلامية يضاف الى ذلك مكتبة عامرة بالكتب والمراجع التى تخدم الموضوع هذه المعاهد تفتح أبوابها لطالبي العلم فى كل بقاع الارض (١٠) •

٢ - جمع المخطوطات العربية وهو عمل اهتم به المستشرقون منذ زمن بعيد فقد انطلقوا يجمعون المخطوطات العربية من كل بلد من بلاد الشرق الاسلامى وكان هذا العمل يقوم على وعى منهم بقيمة هذه المخطوطات لما تحويه من تراث غنى فى مختلف العلوم (١١) وبالفعل نراهم قد اكتشفوا كثيرا من المخطوطات قاموا بتحقيقها ونشرها وترجمة جزء لا بأس به منها وفهرستها فهذه أعمال ذات قيمة علمية عظيمة ساعدت فى احداث النهضة العلمية الحديثة فى العالم الذى يدين بالاسلام واذى لا يدين به •

٣ - الترجمة من أعمالهم ذات القيمة العلمية التى يجب أن ينوّه بها ترجمة الكتب فقد قاموا بالفعل بترجمة مئات الكتب العربية والاسلامية الى معظم لغات أوروبا ومن أعمالهم التى لا تنسى قيامهم بعدة ترجمات للقرآن الكريم بصرف النظر عن كونها ترجمة صحيحة أم سقيمة على كل حال لقد قاموا بترجمة كتاب الله تعالى الى لغات أوروبا تلك الترجمات التى خوت بين طياتها الغث والسمين أو ان شئت فقل خوت بين جنباتها النعم الزعاف وقد مهدوا لترجماتهم بمقدمات وضعوا فيها قصوراتهم عن الاسلام تلك الشذورات المبهجة بحيث أعطوا للقارىء من بادىء الامر تصورهم القدر الذى يتفق

(١٠) نفس المرجع السابق ص ٧١ ، ٧٣ •

(١١) نفسه ص ٧٥ •

ومشاربهم العدائية ضد الاسلام ولا يتفق شئ معظم الاحيان مع الحقائق الاسلامية بل قد يصطدم مع هذه الحقائق اصطداما جوهريا (١٢) •

٤ - التأليف : واذا كانت الدراسات الاسلامية والعربية لها المجالات الكثيرة فان المستشرقين قد ألفوا في كل هذه المجالات حتى أن الذي ألفوه في قرن ونصف حسب الاحصائيات بلغ ستين آلب كتاب كتبوا في كل فروع العلم والمعرفة مثل التاريخ وعلم الكلام والشريعة والفلسفة الاسلامية التصوف الاسلامي وآداب اللغة العربية والدراسات القرآنية والدراسات المتعلقة بالسنة النبوية الشريفة على أن هذه المؤلفات في مختلف فروع العلم بعضها له من القيمة العلمية والفائدة المرجوة للباحثين والكتّاب وبعضها مملوء بالطعن يطفح من جوانبه حقدا على الاسلام والمسلمين بها من الأكاذيب والترهات التي ليست من العلم في شئ (١٣) ولذلك يجب أن تقرأ هذه الايجابيات بحذر وأن نتناولها بشئ من التؤدة والنظرة المتأففة فاننا اذا ذكرناها فمن باب الانصاف الذي التزمنا به كما وصانا به ديننا وكتاب ربنا لكن يجب أن نضع في الحساب أن عملهم ما كان مقصودا به وجه الله أو خدمة العلم في غالب الاحيان بل ان مكرهم واضح وحقدهم طامح ضد الاسلام والمسلمين بحيث أن اذاهم يفوق كل عمل تقدموا به واكبر دليل على ذلك أن معظم كتبهم لا تخلو من همز ونكر ضد الاسلام وطعنونهم لا تخفى على أحد لقد طعنوا في الاسلام جملة وتفصيلا

(١٢) نفسه ص ٧٧ •

(١٣) المرجع ذاته ص ٧٨ •

طعنوا في الكتاب وفي السنة وفي النبوة وفي الصحابة وفي التاريخ (١٤) •

فدراستهم للإسلام يخق وهذا في الغالب تهدف الى اكتشاف المعايير ونشر المثالب والاختفاء التي يتصيدونها ولا عيب في الإسلام والحمد لله الا أنهم كما يقال في المثل يصنعون من الحبة قبة وهذه خصائصهم وطبعهم دائما بحيث ينقضون على الإسلام نقدا وهما لا على أساس من علم أو بصيرة من معرفة أو نص صحيح بل خط الغث بالثمين دون اعتبار لصحة النص أو مسنده من هنا فاني أنبه بنى جلدي الى هذه الاشغال المستورة تحت ستار البحث العلمي فلا تغتر بما قدموا من أعمال ظاهرها طيب وباطنها خبيث مذاقها حلو وطعمها طيب لكن فيها الهلاك لما دس فيها من السم الزعاف (في داخلها) ويعلق أحد الباحثين على ذلك فيذكر أن بعض المسلمين المنهزمين نفسيا وفكريا أمام الهجوم الاستشراقي المخطط لديهم الإسلام ويطربوا بآعاج بل ويغتر بما قام به بعض المستشرقين في العصر الحديث من دراسات اسلامية وبما قيل من أن دراستهم لخدمة العلم على معنى أنهم حققوا المبدأ القائل « العلم من أجل العلم » وهو مبدأ أكاديمي يجب أن يتصف به الباحث كما هو معلوم لأنه يضيف صفة الموضوعية والنزاهة والخبرة لمن يحققه ويسير عليه ومن ثم يستحق هؤلاء المستشرقون طبقا لهذا الزعم الكاذب طبعاً — أن يوصفوا بأنهم موضوعيون أو محايدون كذلك يستحقون أن يوصفوا بأنهم دارسون متصفون للإسلام والمسلمين

(١٤) انظر في ذلك تفصيلا موضحا في كتابنا المستشرقون

وأثرهم السيء على البيئة الإسلامية

يعلن هذا الباحث على ذلك بأن هذا الزعم باطل وعار عن الصحة والصواب وإنما هو من باب التضليل والستر لتلك النوايا الخبيثة فللعلم في الإسلام إنما هي وسيلة وليس غاية كما يذهب المستشرقون (١٥) •

لكن الأستاذ نجيب العقيقي يحاول (١٦) مدافعاً عنهم — أن يبرز عملهم ودأبه طيب مستدلاً على ذلك بأجود الجبارة التي بذلوها في التأليف والترجمة والنشر وما أنفقوه من أموال كثيرة رصدت من أجل هذا العمل وهو تحقيق التراث واكتشف عنه وحفظه وتيسير الإطلاع عليه نعم كل هذا واقع لكن السؤال الذي نريد أن نسأله ؟؟ هل قصدوا بهذه العملية الضخمة المنظمة والمخطط لها خدمة الإسلام أو خدمة المسلمين ؟؟ هل قصدوا بذلك خدمة الغرب والشرق ؟؟ الحق الذي لا يماري فيه أنهم ما قصدوا ذلك أبداً أو ما كان هذا من أهدافهم أبداً وما توجهت نيتهم إلى ذلك بالمرّة إن الاستشراق قد استهدف في نشأته الأولى خدمة الكنيسة وتقديم العون للاستعمار وهذا ثابت بالدراسات واعتبر هذا الهدف بالدرجة الأولى نصب أعينهم (١٧) وأكبر دليل على ذلك ما نشاهده بين الحين والآخر من التواء في الأسلوب عند توجيه العبارات واضطراب في المناهج يشاهد ذلك عند سوق الأخبار والمعلومات واعتساف في تأويل النصوص كي توافق مشاريعهم ومآربهم الدينية ضد الإسلام ومع كل هذا نجد العقيقي يدافع عنهم بأن المتعصبين منهم يعتبرون قلة إذا قيسوا بغيرهم من النصفين والمعتدلين الموضوعين وأن المتعصبين ضد الإسلام قلة بالنسبة للمتعصبين من

(١٥) راجع دكتور أحمد محمد غراب رؤية اسلامية للاستشراق ص ٧٩

(١٦) انظر العقيقي المستشرقون ج ٣ ص ١٦٠ وما بعدها

(١٧) انظر محمد عبد الفتاح غليان افقوا على الاستشراق ص ٦٣

المسلمين ضد النصارى (١٨) والحق أن هذا افتراء على المسلمين فإن التاريخ الطويل شاهد على عدل المسلمين وانصافهم لأهل الذمة من اليهود والنصارى بل إن التاريخ خير شاهد على أن أهل الذمة ما نالوا حقوقهم كاملة وما عاشوا في هدوء وطمأنينة إلا في كنف الاسلام والمسلمين تكفل لهم ا دولة حقوقهم كاملة وتصون لهم أموالهم وحياتهم وأعراضهم وتمكنهم من أداء شعائهم الدينية وتحفظ لهم كنائسهم وبيعهم (١٩) وما يعيشون فيه الآن من احترام وتقدير وآمن وأمان في كنف بلاد المسلمين خير شاهد على ذلك والآن الى الشطر الثاني من من السؤال وهو الحديث عن سلبياتهم :

(١٨) نفس المرجع السابق والصفحة وانظر المقيي المستشرقون

ج ٣ ص ١١٦٢ .

(١٩) راجع دكتور محمد فاروق البنهاق مبادئ الثقافة الإسلامية ٣٦٢

المبحث الثاني

« الحديث عن سلبياتهم »

نحن نعلم بيقين أن الغرب خاصة المستشرقين منهم قد اهتموا بدراسة تراثنا الاسلامي ودرسوه دراسة عميقة في جميع فروعهم ، وألفوا وكتبوا وحققوا ونشروا كما رأينا سابقا فهم لم يتركوا شاردة ولا واردة الا اقتبعوها يدرسونها ويتفحصون فيها واهتموا ببحثها ودراستها وساعدتهم على ذلك الأموال التي رصدت من أجل هذا الغرض بل وكل سبل الراحة إذ كل ما يطلبه المستشرقون وجدوه وقد يسأل سائل لماذا كل هذا الاهتمام الزائد بتراثنا وفكرنا ؟؟ فهل هو محبة في الاسلام ؟؟ أم هو العكس ؟؟ والعامل الفطن من أول وهلة يدرك أن هذه الاعمال ليست حبا في الاسلام ولا خدمة له ولو كان الامر كذلك فلماذا لم يعتنقوه ؟؟ ولماذا لا يؤمنون بنبي الاسلام وهو المصدق لما معهم ؟؟ بل هو صاحب البشارة في التوراة والانجيل ؟؟ الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون « (١) لذا نقول انه من الواضح الجلي أن هذه الاعمال من المستشرقين بل من الغرب عموما ليست خدمة للاسلام ولا حبا فيه وانما صنعوا ذلك نكاية فيه والتماسا للاخطاء واشغرات كي ينفذوا منها الى محاربة الاسلام وكى ينفثوا سمومهم الخبيثة بين

اتباعه ومعتنقيه ويتبين هذا من أعمالهم ومكائدهم المبينة ضد الاسلام وكتابه ونبيه ﷺ والتي منها على سبيل المثال :

١ - الاساءة الى تعاليم الاسلام بمحاولة تحريفها وتبديلها وتغيير الحقائق ومحاولة التشكيك فى كبر أوامره فى محاولات يائسة لايقاف المد الاسلامى الذى ينتشر بفضل الله تعالى وإرادته « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون » (٢) فهم بذلك يريدون أن يحولوا بين انتشار الاسلام فى الشعوب النصرانية من هنا كانت سهامهم المسمومة وطعونهم فى الاسلام ومحاولة تشويه صورته الطيبة لاقتناع النصارى بالبعد عنه لعدم صلاحيته للحياة (٣) •

٢ - أضعاف الروح الاسلامية عند المسلمين بمحاولة تشكيكهم فى عقيدتهم وبث الفرقة والتناحر بينهم ومحاولة ردتهم عن دينهم أو على الأقل الحديث عن عدم صلاحيته للحياة كقانون عام صالح لأهوار الدنيا والآخرة وقد تم لهم بالفعل بعض ما أرادوا فقد كونوا لهم أعوانا من بين أبناء المسلمين تبناوا فكر الغرب ودافعوا عنه بل دعوا الى اعتناقه والتمسك به لأنه أفضل من الاسلام فى نظرهم (٤) •

٣ - التمكين للاستعمار الغربى فى بلاد المسلمين ومحاولة امداد المستعمر بالمعلومات عن تلك البلاد كما هو الحال مع المسفشرق « سنوك هوجرونجه » الذى قدم الى مكة تحت اسم عبد الغفار وغاد

(٢) سورة التوبة آية رقم ٢٢

(٣) انظر ناصر عبد الله القفارى وناصر عبد الكريم العقل المرحز فى

الإلديان والمذاهب المعاصرة ص ١٨١ •

(٤) انظر الفصل الثانى من هذا الكتاب لثرى الى أى حد وصل

المحميون بالمستشرقين •

ليكتب تقارير تخدم الاستعمار في المشرق الاسلامي (٥) وهي الحقيقة التي اعترف بها المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون عندما قال « لم نبحث في الشرق الا عن منفعتنا فقد دمونا كل ما هو خاص بهم دمرنا فلسفاتهم ولغاتهم وآدابهم ، والشرقيون ليسوا من المستحاجة حتى يعتدوا بكرم أخلاقنا وقد تحققوا بالشواهد أننا نرغب في أن نجعلهم ضعفاء » (٦) . وقد كان ماسينيون أكبر داعية لاضاعة الحرف العربي إذ نادى الى الكتابة بالعامية وبالحرف اللاتيني فقد كان زعيم هذه الحركة بلا منازع (٧) .

٤ - الغزو الفكري العلماني الذي أصاب بلاد المسلمين بحيث مسحوا الافكار الدينية أو كما يسمى (غسيل مخ) فوجدنا أناسا لا يحملون من الاسلام الا الاسم فقط أما العقيدة فأصبحت خاوية (٨) .

٥ - بعث الخلافت القديمة واحياء الآراء البعيدة عن الاسلام مثل البابية والبهاية والقديانية وغيرها ومحاولة احياء التشبه الواهية . بذلك يفككون روابط المحبة بين الناس لأن الوحدة الاسلامية هي من أخطر الامور التي واجهت هؤلاء المستشرقين أعداء الاسلام ، ووحدة الامة لا تتم الا بوحدة الفكر والثقافة (٩) جاء في تقرير وزير المستعمرات البريطاني (أومسبي غو) لرئيس حكومته بتاريخ ٩ يناير ١٩٣٨م

(٥) انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ص ٣٩ .

(٦) راجع الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة ص ١٨٤ .

(٧) قارن الموسوعة الميسرة ص ٤٠ .

(٨) راجع الفصل الثاني من الأملات الكثيرة على ذلك .

(٩) انظر الأساليب الحديثة في مواجهة الاسلام ص ١٦٠ .

« ان الحرب علمتنا أن الوحدة الإسلامية هي الخطر الأعظم الذى ينبغى على الامبراطورية أن تحذره وتحاربه وليس الامبراطورية وحدها بل فرنسا أيضا ولفرحتنا فقد ذهبت الخلافة وأتمنى أن تكون الى غير رجعة » (١٠) •

٦ - صرف هم المسلمين الى الاتجاهات الادبية والنظرية ولقت أنظارهم الى العلوم الادبية النظرية فقط وتحويل الانظار عن الاتجاهات العلمية التجريبية حتى يظل العالم الاسلامى بعيدا عن أسباب تقدم العلمى الحديث (١١) هكذا يظلون محتاجين للغرب فى كل شئ فيرتمون فى أحضانهم دائما •

٧ - محاربة لغة القرآن (اللغة العربية) والدعوة الى اللغات الاوربية واخترع المستشرقون وأعوانهم من المستعمرين الطرق الكفيلة لذلك وفيما سبق ضربنا الامثلة لكلمات بعض المستشرقين فى هذا النصد ومن هذه الوسائل :

(أ) الدعوة الى احياء اللهجات المحلية بجعل اللغة العامية لغة رسمية للتعامل فى المصالح والحكومات •

(ب) الدعوة الى الكتابة بالحروف اللاتينية ومحو الحروف العربية وقد نجحوا بالفعل فى تركيا حيث رفعت الحروف العربية من الكتابة واستعملت الحروف اللاتينية وهى ما تسمى بحركة التتريك نسبة الى مصطفى كمال أتاتورك الداعى الى العلمانية ونبذ الاسلام وتحطيم الخلافة •

(١١) قارن الأساليب الحديثة فى مواجهة الاسلام ص ١١١ •

(١٠) الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب المعاصرة ص ٤٠ •

(ج) الادعاء - الكذب طبعاً - بأن الفصحى تقضى على قوة الغرب الاختراعية انه انضحك على الذقون كما يقولون فى المثل وانما الحقيقة مخاربة القرآن الكريم كتاب الله لانهم يعلمون أن هذا الكتاب المجيد هو سر قوة المسلمين وسر عزهم ووحدةهم فأخذوا بطرق شتى ومنها محاربة اللغة التى نزل بها هذا القرآن العظيم فحاولوا النيل منها واستبعاد قدرتها على مسيطرة ركب التطور والحضارة (١٢) •

الدعوة الى التقاعس وعدم الجهاد فى سبيل الله فزينوا حب الدنيا فى أعين المسلمين وخوفوهم من الموت وادعواهم الى عدم حمل السلاح أو تعلم ذلك وحاربوا الدعاة فى سبيل الله تعالى بعد أن احتبوا بلادهم لان أقسى كلمة على أسماعهم كلمة الجهاد فى سبيل الله وأكبر دليل على محاربتهم لذلك حرم الفرنسيون المستعمرون فى بلاد الجزائر تقديس كلمة الجهاد فى آيات القرآن الكريم كما حاربوها فى أبواب الفقه الاسلامى (١٣) •

٩ - افتراءهم الكذب على الاسلام وادعائهم أنه انتشر بحد السيف فهو دين القسوة والقهر وقد أخذوا على عاتقهم نشر هذه الفرية حتى تضيق شريعة الجهاد فى سبيل الدعوة لدين الله عز وجل وهى الفرية التى رد عليها كارليل ردا تاريخيا واقعيا ومنطقيا عقليا وإعلنا نعود اليه بعد ذلك ان شاء الله تعالى (١٤) عند حديثنا عن ضرب بعض الامثلة للمستشرقين المنصفين •

(١٢) قارن الموسوعة الميسرة ص ٣٧ وانظر كذلك الأساليب الحديثة ص ١١١ •

(١٣) راجع الأساليب الحديثة فى مواجهة الاسلام ص ١١٩ •

(١٤) أحمد، محمد جمال، مفتریات على الاسلام •

١٠ - انشاء الموسوعات العلمية بغرض حرب الاسلام .

(أ) على سبيل المثال دائرة المعارف الاسلامية قام على اعدادها نخبة من علماء المستشرقين تناولوا فيها كثيرا من أحكام الاسلام كشرح لاركانه وأركان الايمان والتعريف بالرسول ﷺ وبالصحابية الكرام وبالأحكام الشرعية والتعريف بالتاريخ الاسلامي وبالشعوب الاسلامية وغيرها وقد أطلقوا عليها اسم دائرة المعارف الاسلامية والحقيقة أن المسلمين ما اشتركوا فيها وليس لهم أى شأن يذكر في كتابتها أو اعطاء مادتها العلمية لكنهم أطلقوا عليها هذا الاسم من باب التتمويه والمداراة فقط لكنها في حقيقة الامر في غاية الخطورة على الاسلام والمسلمين فالمطلع عليها يجدها تطفح حق وحسدا وبها من التعصب ضد الاسلام والشكوك حوله واضطراب ظاهر لمن يطالع عليها والخلاصة أنهم وضعوا فيها كل أحقادهم وبغيرهم وخصوصاً ماتهم (١٥) فهي مصنوعة لخدمة أغراضهم .

(ب) قاموس المنجد : فيما سبق وجدنا المستشرقين قد حاربوا الاسلام في هذه الدائرة نعم أنهم حاربوا الاسلام بما أودعوه آراء نسامة وقتلة فيما أطلقوا عليه اسم دائرة المعارف الاسلامية ويحاربون لغة انقرآن (اللغة العربية) فيصطنعون ما يسمى (بالمنهج) وهي عبارة عن قاموسين أحدهما للألفاظ اللغوية والمطلع عليه يجد أذ مملوء بالاختفاء اللغوية وثاني قاموس أطلقوا عليه اسم (ممد الآداب) وهي قاموس حافل بالاختفاء والشبهات وقد تعرض له الباحثين من المسلمين حيث كشفوا عن عواره وبيّنوا أخطائه تلك

(١٥) قارن أضواء على الاستشراق والمستشرقين ص ١٢٥ .

تزيد على أربعمائة خطأ شائع تاريخي وعلمي (١٦) •

فهو يعتبر من أخطأ القواميس المتداولة في كل الأيدي وذلك لما فيه من أخطاء جسيمة وألفاظ مدسوسة فيه ليست بعربية أصلاً بل هي اصطلاحات كهنتية مثل [قدس و قداس] وغيرها كثير •

(ج) الموسوعة العربية الميسرة :

وما قيل في قاموس المنجد ينطبق على الموسوعة العربية الميسرة فقد ترجمت إلى العربية ووجهت إليها الانتقادات الحادة وجملة ما قيل فيها أنها دائرة معارف أجنبية وليست عربية وقد ترجمت إلى العربية دون تقدير لتاريخ الإسلام وحقائقه وما فيه من دروس وعبر ودون تقدير حاجة الباحث العربي فهي لا تحمل مطلقاً أية وجهة نظر عربية لما فيها من موضوعات هزيلة تحمل بين طياتها الكذب والبهتان أضف إلى ذلك أنها تنكرت للتاريخ الهجري فلا تعترف بالسنة الهجرية مطلقاً في كل أبواب دراستها من مواد إسلامية وخاصة فيما يتعلق بعصر النبي ﷺ والخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم أجمعين (١٧) •

٤ - مفتاح كنوز السنة والمعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي الشريف : وحتى هذان العملان اللذان اشتهر بهما المسلمون وأولواهما عناية كبرى بل احتلت هذه المراجع مكان الصدارة بين مراجع المسلمين وربما أولواهما عناية أكثر من مراجعهم ومع ذلك فإن فيهما من الخلل والتحريف وكان أخطر ما جاء في مادة (حديث) ومادة (سنة) في ذلك التجريح المؤلم للإسلام بحيث يفسد الحقيقة على أهلها ويكفي

(١٦) نفس المرجع السابق ص ١٢٦ •

(١٧) نفس المرجع السابق ص ١٢٧ •

هذا خطرا لمن يعتمد على مراجعهم دون نظر وأخذ ذلك فى الاعتبار (١٨) ويكفى أن القائم على هذين العاملين هو المستشرق الحاقد « فنسك » فهو عدو لدود للإسلام والمسلمين حيث أودع حقه فى مؤلفاته والتي منها (عقيدة الإسلام) (١٩) كما أنه ألف كتاب « مفتاح كنوز السنة » الذى أودعه سمومه وحقه أما الثانى وهو « المعجم المفهرس » فهو عمل مشترك قام به عدد من المستشرقين لكن تحت اشراف فنسك وتوجيهاته وماذا ينتظر المرء من توجيهات العدو سوى الكيد والدس وهذا ما صنعه بالفعل فنسك هذا والله المستعان والآن الى اجابة السؤال الثانى وهو ذكر أمثلة من المعتدلين وبعضا من أقوالهم التى تشهد بذلك .

(١٨) راجع نفس المرجع ص ٢٢٩ .

(١٩) قارن الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب المعاصرة ص ٣٥

« المبحث الثالث »

ذكر بعض المستشرقين النصفين :

والآن نتقدم بذكر بعض المستشرقين الذين قد تتردد أسماءهم في سياق الموضوعية والانصاف للإسلام بل قد يساقون أحيانا في عداد من يقدم الخدمات العلمية للإسلام والمسلمين يستحب هنا أن نذكر أسماءهم وبعض كلماتهم التي تدل على ذلك ومن هؤلاء قوم أنصفوا الإسلام وأنصبت كلماتهم على القرآن الكريم وماله من مزايا ومحاسن وبعضهم أنصف الحضارة الإسلامية وما لها من تأثير على البلدان وبعضهم أنصف التشريع الإسلامي الحكيم لأنه صالح للدنيا والآخرة وبعضهم رد الشبهات عن رسول الله ﷺ وبعضهم دافع عن أصحابه والتاريخ الإسلامي المجيد على أية حال ليس بالامكان أن نستعرض كل أسمائهم لكننا سنأخذ بعض الامثلة منهم مشدرة ببعض كلامهم المنسوب اليهم من هؤلاء على سبيل المثال :

١ - الأستاذ « فيني » والذي يقول عن القرآن الكريم « ان القرآن ليس كتابا دينيا فقط بل هو كتاب عام وآداب وسياسة واجتماع ... حتى أنه يرشد الاتسان الى وظائفه اليومية » .

٢ - الأستاذ « ادوار جييون » والذي يقول عن القرآن أيضا « ان القرآن معترف به من حدود الاوقيانوس الاطنطيكى الى نهر

الكانج انه الدستور الاساسى ليس لاصول الدين فحسب بل للاحكام الجنائية والمدنية والشرائع التى عليها مدار حياة البشر وترتيب شؤونهم

٣ - الاستاذ «ريتشارد وود» :

انه يرد مزاعم المستشرقين قولهم فى تخلف المسلمين راجع الى تمسكهم بالكتاب المجيد فيقول : « ان كثيرا من المستشرقين يزعمون ان المسلمين لن يتقدموا ما داموا مقيدين بنصوص القرآن التى لا تتلاءم مع المعارف والفنون الحديثة وهذا وهم باطل نشأ عن الجهل بمقاصد القرآن » (٢٠) .

٤ - دكتور لوريا فاليرى : يذكر مدح المستشرقين من وجوه آخر للقرآن فيقول : « ان كثيرا من المستشرقين يزعمون ان أسلوب القرآن فريد فى بابه وليس له مثيل سابق فى الادب العربى ويقع من النفس البشرية موقعا صحيحا لا تصنع فيه ولا افتراء ولا تهويه ولا استكراء وكذلك الانتقال من موضوع الى موضوع فى القرآن يحصل كثيرا ولكن دون أن ينحط التعبير عن مستواه ومن غير أن تقل حلاوته ، وكذلك هناك جهود أخرى للوصول الى معرفة موضوعية فى مجال العلوم العربية مثل الفلسفة والطب والعلوم الطبيعية » (٢١) .

٥ - ريتشارد سيمون :

من هؤلاء المعجبين بالاسلام فقد تناول فى كتابه « التاريخ النقدى لعقائد وعادات أمم الشرق » تناول فيه عادات وعقائد المسلمين

(٢٠) راجع مفتريات على الاسلام ص ٢٥٩ .

(٢١) راجع نفس المرجع السابق ص ٢٥٩ ، ٢٦٠ .

فى وضوح واتزان مستندا فى عرضه لها على مراجع لبعض المسلمين
أبدى اعجابه وتقديره لعادات المسلمين وقد أتهم بالموضوعية أكثر
من اللازم •

٦ - ومن المعجبين أيضا بالتسامح الإسلامى وعادات المسلمين :

« بير بايل » وقد ظهر هذا بوضوح عند عرضه لحياة محمد ﷺ
فى قاموسه التاريخى والنقدى الذى ظهرت طبعته الاولى فى روتردام
عام ١٦٩٧م بالمثل « سمون أوكلى » فهو يعد نسبيا غير متحيز وقد
مجد فى كتابه « تاريخ السرايسنة » أى العرب المسلمين مجد فى هذا
الكتاب الشرقى الإسلامى بل ورفع فوق الغرب (٢٢) •

٧ - هادريان ريلاند :

تعد الامثلة السابقة المشار إليها فى الصفحات التى مرت أمثلة
رائدة فى الاتجاه الجديد نحو الفهم الصحيح للإسلام وعظومه ، لكننا
الآن نقف أمام علم من أعلام المنصفين ممن حاربوا من الكنيسة
واضطرتهم الظروف أن يخفى ما فى نيته من الانصاف للإسلام فأخذ
يدارى ويوارى وكأننى به نظر الى الآية الكريمة فعمل بها وهى قوله
تعالى « من كفر بالله من بعد إيمانه الا من أكره وقابله مطمئن
بالإيمان » (٢٣) هذا العالم هو « هادريان ريلاند » وتعتبر أولى
المحاولات العلمية الجادة للتعرف على الإسلام تلك التى أتت على يديه

(٢٢) قارن دكتور محمود حمى زقزوق الاستشراق والخلفية

الفكرية ص ٤٠ ، ٤١ •

(٢٣) سورة النحل آية رقم ١٠٦ •

عمل استاذاً للغات الشرقية في جامعة « أوترشت بهولندا » له كتاب بعنوان « الديانة المحمدية » في جزأين عرض في أولهما العقيدة الإسلامية معتمداً على مراجع بالعربية والملايينية وفي الجزء الثاني قام بتصحيح الأخطاء التي وضعها المستشرقون الناقدون من قبله وقد شاعت في زمانه ، هذه الآراء التي أودعها كتابه كانت مثارا للاهتمام واجدال لدرجة أدت الى إثارة التشنجات حول المؤلف فاتهم بالعداء للنصرانية ونصره الإسلام في حين أنه لم يكن يقصد إلا الوصول الى الحقيقة من خلال دراسته الموضوعية المتأنية (٢٤) من هنا قامت قيامه الكنيسة الكاثوليكية تجاه الكتاب وتجاه مؤلفه فأدرجت الكتاب في قائمة الكتب المحرم تداولها (٢٥) وعلى الرغم من ذلك نرى أن الكتاب قد ترجم الى معظم اللغات الحية في أوروبا كالانجليزية والفرنسية والالمانية والهولندية والاسبانية وقد قدم ريلاند لكتابه هذا بمقدمة تتضمن الحديث على الأديان بعامه وعن الإسلام بخاصة فالأديان تحارب من أعدائها اما لعدم فهمها أو برميها بكل سوء بطريقة تنبئ عن قصد سيء دنىء والإسلام كدين مفترى عليه قد تعرض لمثل ذلك من أعدائه كسأن كل الأديان ويأخذ ريلاند بالحديث النبوي الشريف « الحكمة ضالة المؤمن يفسدها أنى وجدها » لذا يرى أنه يجب على المرء أن يبحث عن الحقيقة حيثما كانت وبناء عليه فإنه من الواجب علينا أن نعرض الإسلام للقارئ لا كما يظهر من خلال ضباب الجهل وخبث الناس وانما كما يدرس حقيقة في مساجد المسلمين وهدارسهم فلم يحدث أن تعرض دين من الأديان في ربوع الأرض

٢٤ - راجع رؤية اسلامية للاستشراق ص ١٠٥ - ١٠٦
 ٢٥ - قارن الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ص ٣٤ - ٣٥

وفى أى عصر من العصور مثلما تعرض له الاسلام من جانب خصومه من الاحتقار والتسويه والوصف بكل خصلة سيئة لدرجة أن الامر قد وصل الى حد أن من يريد أن يصف نظرية من النظريات بوصف سىء ينعتها بأنها نظرية محمدية - ﷺ - واصبح الحال على ما رأينا من استهزائه وسخرية وكأن دين محمد عليه الصلاة والسلام لا يوجد به شىء طيب على الاطلاق وأن كل معتقداته وأوامره فاسدة ووصل الامراء بالباحثين عن الحقيقة الصواب ممن يريد التعرف على الاسلام بصدق أنه لا تقدم اليه الا الكتب السيئة التى لا تحوى الا كل خبث ولؤم أو آراء فاسدة ضالة كاذبة ثم ينصح ريلاند أمثال هؤلاء الباحثين عن الحقيقة المحبين للصواب أن يتجهوا ناحية اللغة العربية فيدرسونها جيدا ليمكنهم أن يقرأوا بأنفسهم عن الاسلام من منابعه الاصلية فيسمع محمدا بنفسه وهو يتحدث بلغته كما ينبغي على المرء أن يقرأ ويقتنى الكتب العربية هنا يرى بعينه هو لا بعين غيره وعندئذ سيتضح له أن المسلمين على الصواب عند ما تمسكوا بهذا الدين وباعوا من أجله كل شىء ثم يذكر بعد ذلك أن أكبر دليل على صحة هذا الدين انتشاره السريع فى أنحاء القارات الثلاث آسيا وأفريقيا وأوربا هذا الدين الذى انتشر هذا الانتشار البعيد وبسرعة ليس دينا ماجنا أو دينا سخيفا كما يتخيل كثير من المسيحيين الذين لا يعرفون الصواب (٢٦) •

ويبدو أن ريلاند قد أحس بالخطر المحقق به من الكنيسة برجالها فصنع شيئا يدارى به عن نفسه وهو ما نراه فى هذه الكلمات يقول ريلاند « صحيح أن الدين الاسلامى دين سىء جدا أو ضار بالمسيحية الى حد بعيد ولكن أليس من حق المرء لهذا السبب أن يبيحه »

لأنه ينبغي للمرء أن يكتشف أعماق الشيطان وجيله ٤٤ أن الإجدى بالمرء أن يسعى من خلال أبحاثه وقراءاته للتعرف على الإسلام في حقيقته حتى يقف ضده بأساليب أشد قوة وأكثر أماناً (٢٧) وأعتقد أن القارئ الكريم لهذه العبارات الأخيرة من ريلاند سوف يوافقني على أنها ليست من قلبه أو هي ليست بصادقة ولكنه أطلقها ذرا للرماد في العيون بعد ما شاهد من بطش الكنيسة وقوتها الظالمة الغشومة حيث أنها لم تقتنع بهذه المبررات فحرمت تداول كتابه ووضعته في قائمة الكتب المحرمة — كما ذكرت سابقاً — فهذا طبع اللاهوتيين دائماً في كل عصر وحين لا يريدون للإسلام أن يظهر على حقيقته فيطلع عليه الناس فينصرفون عن المسيحية وهذا ما تخشاه الكنيسة وتحسب له كل حساب على أية حال فإن هذا الانحياز الحي من الانصاف والبحث عن الحقيقة قد انتشر في أوروبا منذ القرن الثامن عشر ولم يقف عند حد ريلاند إنما الروح الجديدة تجاه الإسلام والمسلمين وعلى سبيل المثال نرى منهم :

٨ — هـ، نتجورمى وات :

يشير إلى هذه الحقيقة فيقول : « جد الباحثون في تعديل الصورة المشوهة التي تولدت في أوروبا عن الإسلام ، وعلى رغم الجهد العلمي الذي بذل في هذا السبيل ، فإن آثار هذا الموقف المجافى للحقيقة التي أحدثتها كتابات القرون الوسطى في أوروبا لا زالت قائمة فالبحوث والدراسات الموضوعية لم تقدر بعد على اجتنبها » (٢٨) وهي الصورة

(٢٧) انظر المرجع السابق ص ٤٣ .
 (٢٨) دكتورة عفاف صبرة المستشرقون ومشكلات الحضارة ص ٦١ سنة ١٩٨٠م دار النهضة العربية وأنظر كذلك إبراهيم البليان المستشرقون والإسلام ص ٣٦ ملحق بمجلة الأزهر ص ٣٩٠ هـ ١٣٩٠

التي يؤكد عليها الاستاذ « برنارد لويس » في كتابه (العرب في التاريخ) عندما يقول « لا تزال آثار التعصب الديني الغربي ظاهرة في مؤلفات عدد من العلماء ومستترة في الغالب وراء اجواشي المروضة في الابحاث العلمية » (٢٩) وعلى كل فان النتيجة المستخلصة من ذلك هي أن الروح العدائية تجاه الاسلام واتي انتشرت على يد البابوات في القرون الوسطى أخذت تتغير الى الاحسن وان كانت لم تنته بالكلية وهي ارواح التي اعترف بها أعداء الاسلام من الحاقدين عليه من أمثال « جب » المستشرق الانجليزي الحاقن (٣٠) انه يعترف بهذه الروح الجديدة وأنها موجودة بالفعل وسط صفوف الباحثين من المستشرقين حيث يقول في هذا الصدد : « لقد قامت في حقوفهم في السنوات الاخيرة محاولة ايجابية تحاول النفوذ بصدق واجلاص الى أعماق الفكر الديني للمسلمين بدل السطحية التي اتصفت بها دراساتهم السابقة » ومع كل ذلك فانه من الواجب أن لا نغفل الذكر في بيان أن الروح العدائية ما زالت قائمة في نفوسهم حتى بعد كل هذه الابحاث التي وصفت بالموضوعية ولعل مما يؤكد على وجهة نظري هذه ويحقق صدقها ما صرح به الاستاذ « نورمان دانيل » في قوله : « على رغم المحاولات الجديدة المخلصة التي بذلها بعض الباحثين في العصور الحديثة للتحرر من المواقف التقليدية للكتاب المسيحيين عن الاسلام فانهم لم يتمكنوا من أن يتجردوا منها تجردا تاما كما يظنهمون » (٣١) .

(٢٩) المرجعان السابقان والصفحة .

(٣٠) راجع الموسوعة الميسرة ص ٣٦ .

(٣١) راجع د/ ابراهيم اللبان ص ٣٦ وما بعدها وانظر كذلك

دكتورة غلاف صبرة ص ٦١ ، ٦٢ .

٩ - يوهان ج رايסקة :

ويعتبر أول مستشرق ألماني جدير بالذكر والاعتبار أنهم بالزندقة لموقفه الايجابي من الاسلام وهو من النماذج الحية الرائدة في عالم الاستشراق بهذه القرن الثامن عشر الميلادي عبقريا فذا (٣٣) في اللغة العربية واليه يرجع الفضل في ايجاد مكان بارز للدراسات العربية في ألمانيا لكن علماء عصره تجاهلوه وحاربته رجال اللاهوت بعد أن اتهموه بالزندقة ولعل هذا الأمر راجع الى موقفه المناصر للاسلام اذ امتدح الاسلام ورفض في كتاباته وصف النبي - ﷺ - بالاولصاف التي كانت شائعة وقتذاك من الكذب والسحر والتضليل الى آخر كما رفض وصف الاسلام بما شاع في أوروبا من أنه دين يحتوى على الخرافات المضحكة والسذاجات أيضا رفض تقسيم تاريخ العالم الى مقدس وغير مقدس بل انه في كتاباته ينصف العرب حيث وضع العالم الاسلامي في قلب التاريخ العالمي وفوق ذلك كله فان آراءه اتسمت بالصراحة العالية فلم يكثر بالعواقب الوخيمة التي تنتظره من جراء التصريح بتلك الآراء العظيمة في الاسلام والمسلمين (٣٣) .

وبالفعل فان ذلك قد جر عليه وبيلات كثيرة وصعاب شديدة اتسمت في الضائقة المالية التي عاشها من جراء مقاطعة الكنيسة والحرب التي أشعلتها ضده في نفوس الجماهير لذلك عاش حياته بائسا ومات مسلولاً

(٣٢) انظر الموسوعة الميسرة ص ٣٤ .

(٣٣) دلجج مكتوب محمود حمدي نذوق ص ٤٣ وما بعدها .

وهو فى الثامنة والخمسين من عمره (٣٤) رثاه بعضهم من أمثال (فوك) بقوله : « لقد أصبح شهيد الأدب العربى وصارت حياته تاريخا لتلك الآلام التى سجلها فى مذكراته وقد كان من المخجل أن أحدا من الرجال البارزين فى عصره لم يعرف الأهمية الفائقة لهذا الرجل العبقري الذى كان واحدا من أعظم علماء العربية » (٣٥) •

هذه بعض الأمثلة للمعتدلين المنصفين منهم لكن هل كانوا يبحثون عن الحقيقة من أجل الحقيقة؟؟ وباختصار هل كلهم معتدلون على طول الخط؟؟ والجواب إذا يلزم الأمر أن نضرب مثلا لبعض هؤلاء المنحرفين عن الخط •

تصنيفات كثيرة من تصنيفات ابن خلدون
 راجع إلى تصنيفات ابن خلدون
 تصنيفات ابن خلدون

(٣٤) انظر المرجع السابق والصفحات وانظر كذلك الموسوعة
 الميسرة ص ٣٤ •
 (٣٥) قارن الاستشراق والخلقية الفكرية للصراع الحضارى ص ٤٤

« أمثلة لهؤلاء المتعصبين »

وبجانب الصورة السابقة نرى صورة أخرى مضادة لها ومخالفة
انهم المتعصبون ضد الاسلام من المستشرقين ممن اوقفوا حياتهم
لمحاربة هذا الدين فقد كان للاهوتيين نشاط ملاحظ فى ذلك الوقت المبكر
كان من نتيجته نشر الافتراءات والاكاذيب حول الاسلام ونبيه ﷺ
فالاسلام قوة خبيثة شريرة وأما القرآن فهو من اختراع محمد ومن
تأليفه وأن ذلك أمر لا يقبل الجدل وأن القرآن ذو ذوق ردىء للغاية
ولا جديد فيه الا القليل وأن فيه اطنابا بالغا ومملا الى حد بعيد (١)
وأن محمدا ﷺ ليس الا صنما أو اله قبيلة أو شيطانا الى آخر تلك
الترهات والافتراءات وانتشرت الخرافات والاساطير وقد أشرت الى
ذلك فى فصل سابق فلا داعى الى التكرار ما نريد أن نؤكد عليه أن
الروح الموضوعية امتنعت (٢) عند بعض هؤلاء والى القارىء الكريم
بعض الأمثلة منهم على سبيل المثال :

١ - جيبير أنزويختى :

يعتبر من أعلم المؤلفين المسئولين عن الأدب فى عصره (ت ١١٢٤م)
شاع فى زمنه الأدب الهزيل الذى يصف النبى ﷺ وأتباعه بأنهم عباد
أصنام وأنهم يعبدون آلهة ثلاثة هى (ثيرفاجان) و (محمد وأبولو)

(١) انظر الموسوعة الميسرة ص ٤٠ وقد سبق الكلام فى ذلك كثيرا

فيما سبق ص ٥٠

(٢) قارن ساندرو نظرة الغرب الى الاسلام فى القرون الوسطى ص ١٧

ترجمة الدكتورين على فهمى خنيس ، صلاح الدين حسنى دار مكتبة الفكر
طرابلس ليبيا سنة ١٩٧٥ م .

وقد سبقت الإشارة الى ذلك فى فصل سابق لكن على آية حال فانه يهمنى هنا اعتراف النوبختى المذكور آنفا بأنه لا يعتمد فى كتاباته عن الاسلام على أية مصادر مكتوبة وأشار فقط الى آراء العامة وأنه ليست لديه آية وسيلة يميز بها بين الخطأ والصواب ثم يذكر مبررا تلك الكتابات الهزيلة عن الاسلام والنبى ﷺ حيث يقول « لا جناح على المرء اذا ذكر بالسوء من يفوق خبيثه كل سوء يمكن أن يتصوره المرء » (٣) .

هذا أنموذج لتلك الروح التى سادت أوروبا خلال فترة زمنية طويلة اتسمت بالحق واللامبالاه وعدم الاكتراث بالروح العالمية .

٢ - مكسيم رودنسون :

يتهم الاسلام بعدم الموضوعية وأنه بعيد عن العلم وأنه لا يمت بصلة الى العلم الا من بعيد يقول فى هذا الصدد : « ولا يصادف المرء موقفا موضوعيا الا فى مجال مختلف تماما لا يمت الى الدين الاسلامى الا بصلة بعيدة وأعنى العلم بأوسع معانيه » (٤) .

وقد علق بعض الافاضل (٥) على هذا الكلام انفارغ بحق اذا يقول : « وقد أخطأ رودنسون هنا فى جعله العلم لا يمت الى الاسلام الا بصلة بعيدة فقد كان الاسلام فى حقيقة الامر وراء كل انجاز علمى حققه المسلمون فى مختلف المجالات ، وبدءا من عام ١١٣٠م كان العلماء

(٣) دكتور محمود حمدي زقزوق ص ٣١ .

(٤) مكسيم رودنسون فصل كتبه فى تراث الاسلام تصنيف شاذ وبوزورث ترجمة محمد زهير المسهورى ج ١ ص ٢٦ سلسلة عالم المعرفة الكويت سنة ١٩٧٨م . نقلا عن دكتور محمود حمدي زقزوق فى كتابه السابق ذكره .

النصارى فى أوربا يعملون جاهدين على ترجمة الكتب العربية فى الفلسفة والعلوم وكان لرئيس أساقفة طليطلة وغيره الفضل فى اخراج ترجمات مبكرة لبعض الكتب العلمية العربية بعد الاقتناع بأن العرب يملكون مفاتيح قدر عظيم من تراث العالم الكلاسيكى .. ولكن هذا الاتصال العلمى العميق بحضارة الاسلام لم يكن له تأثير فى تغيير النظرة الغربية للصورة العقديّة أو الالهية أو التاريخيّة للاسلام» (٦) •

٣ - بطرس الموقر :

من الصور القبيحة التى عادت للاسلام مبكرا ويقلب « ببطرس المكرم » فرنسى الجنسية من الرهبانية البندكتية رئيس دير تكلونى قام بتشكيل جماعة من المترجمين للحصول على معرفة عن الاسلام كما كان هو أيضا خلب أول ترجمة حصلت لمعانى القرآن الكريم الى اللغة اعتبر أن الاسلام عبارة عن هرطقة يعنى خروج على الدين المسيحى أو ان شئت فقل زندقة •

وقد حاول أن يجد المبررات للأعمال التى يقوم بها (من ترجمة لقرآن وغير ذلك) من أجل التعرف على الاسلام « فاذا لم يكن بالامكان تنصير المسلمين به فمن حق العالم على الاقل أن يساعد اخوانه الضعفاء فى الكنيسة الذين يسهل افتضاحهم بأشياء صغيرة » (٨) والحقيقة أن

(٦٠٥) هو الاستاذ الدكتور محمود زقزوق ص ٣١ ، ٣٢ •

(٧) تراث الاسلام ص ٣٧ ، ٣٩ أيضا الموسوعة الميسرة فى الأديان

والمذاهب المعاصرة ص ٣٤ •

(٨) تراث الاسلام ج ١ ص ٣٨ مرجع سبق ذكره •

الموضوعية التي كان يبحث عنها بطرس المكرم أو الموقر كما يلقب ندم تجد تجاوبا في ذلك العصر البعد مع الوضع في الحسبان أنها لم تكن موضوعية بالمعنى الحقيقي الصحيح لهذه العبارة لكن بالامكان أن نعدّها موضوعية موجهة (٩) أى ضد الاسلام وأحكامه وضد المسلمين وعقيدتهم •

هذه بعض الامثلة من المناوئين الذين وقفوا ضد الاسلام ونذروا قلمهم لهذا الغرض لكن من العجيب أننا قد نرى بعض الشخصيات مضطربة يمدح مرة ويشكك أخرى فإليس ثابتا على حال وليس له رأى واحد من هؤلاء على سبيل المثال •

١ - توماس كارليل :

له مواقف مضطربة مرة يمدح الاسلام في شخص الرسول ﷺ ومرة يذم الاسلام في كتابه المجيد وفي التزويل الحكيم له كتاب بعنوان « الابطال وعبادة البطولة » وقد ألفه عام ١٨٤١م في هذا الكتاب يمدح شخص رسول الله ﷺ حيث يصفه بالاخلاص والصدق لكنه من الناحية الأخرى يصف القرآن الكريم بأنه كتاب ممل مضطرب مختلط مشوش جاف يعيد ويكرر بلا نهاية مطول حتى الاملال، معقد، غباء لا يطاق (١٠)

هكذا نرى أن رؤية مضطرب تجاه الاسلام ولا أدري ما الذى دعاه الى هذا هل هو الخوف من الكنيسة هذا احتمال وارد أم هي النية

(٩) قارن دكتور محمود زقزوق ص ٣٢ •

(١٠) راجع رؤيه اسلامية للاستشراق ص ١٣٩ وانظر كذلك أضواء

على الاستشراق ص ١٩ •

الخبیثة والضمیر السیء كما هو الحال عند معظمهم عندما یمدحون الاسلام ذرا لرماد فی الدیون عندما یمدّون فی الكتابة عن الاسلام فاذا جروا القارئ الیهم بدؤا یدسون السم فی العسل وهذا احتمال وارد أيضا خاصة وأن معظمهم حتی المعتدلين منهم تجد عنده هذا الاتجاه وبعجبنی تعلیق للأستاذ عباس محمود العقاد یشرح ما نحن فیه الآن ویبینہ أتم بیان حیث یقول « كل ما اطلعنا علیه من مؤلفات المستشرقین المتلاحقة فی العصر الحاضر يدل علی أن المخلصین منهم فریقان ، طلاب المعرفة ، وطلاب العقیدة وقد تجمعهم فئة واحدة یقال عنهم جمیعا أنهم طلاب الحقیقة فی عالم العلم لا فی عالم الضمیر — ثم یقول — ولیس بهؤلاء خفاء فیما یمکتبون لانه یتم علی مقاصد أصحابه بعد مراجعة سیرة ، ومنهم من عرفوا بالامانة العلمیة فیما یمکتبونه من سائر المطالب العلمیة غیر الاسلام وفیما عدا طلاب العلم یندر الاخلاص فی مؤلفات القوم حیثما عرضوا للمسلمین أو عرضوا لما اعتقدوه أو تعودوه ولكنهم فی قلة الاخلاص أو سوء الذیة أنواع ودرجات » (١١) •

هذا وصف العالم والأدیب والمفکر الکبیر عباس محمود العقاد لهؤلاء المستشرقین بعد أن اطلع علی ما کتبوا وسطرته أیدیهم الخبیثة وینتھم السیئة عن الاسلام فهم كما وصفهم اذا تکلموا عن الاسلام غلبهم الحقد وتملکهم الهوى فلا یسعهم الا أن یدسوا ویشوھرا معالیه بل ویغیروا ویبدلوا فی أحكامه ونصوصه هذا طبعهم مما ینبئ عن الحقد والحسد فی کل ما یمکتبون أو یخطون بأیدیهم القذرة (١٢) « غلت

(١١) انظر الموسوعة الکاملة للأستاذ عباس العقاد الناشر دار الکتاب

اللبنانی بیروت •

(١٢) راجع محمد محمود الصواف المخططات الاستعماریة لمکافحة

الاسلام ص ٢٥١ وما بعدها دار الاعتصام ط ثالثة •

أعديهم ولعنوا بما قالوا» (١٣) ولعل في كلمات العقاد ما يؤيد رأينا الذي ذكرناه قبل كلامه فهم بحق قد خبثت نيتهم وساءت طويبتهم وفسد طبعهم حيث جبلوا على هذا الطبع البغض والحقد للإسلام ولنبييه وكتابه والله غالب على أمره .

٢ - جوستاف لوبون :

آراؤه شاذة وغريبة أوصافه قبيحة (لشخص رسول الله ﷺ وعصمة ربي) ومع ذلك وصفته الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة (١٤) بأنه منصف للإسلام كما وصفته بأنه مادي لا يؤمن بالأديان مطلقا ولا أدري كيف يكون ملحدا وماديا ثم ينصف الإسلام؟؟ هذا لعمرى في القياس غريب؟؟ كيف يكون كافرا وبعد ذلك ينصف الحضارة الإسلامية؟؟ على أية حال وصفت أبحاثه وكتبه بأنها تنقسم بانصاف الحضارة الإسلامية مما دفع الغربيين إلى إهماله وعدم تقديره (١٥) على أية حال بين أيدينا الآن كتابان لهذا المستشرق الفرنسي الملحد الجاحد للأديان أحدهما فيه انصاف والآخر فيه ذم وقذح أما الكتاب الأول والذي فيه يمدح الإسلام فانه بعنوان « حضارة العرب » نشره سنة ١٨٨٤م وفي هذا الكتاب جاءت أبحاثه تنقسم بانصاف الحضارة الإسلامية مما جعل الغرب لا يقرؤنه بل يهملونه ويحاربوه (١٦) .

(١٣) سورة المائدة آية ٦٤ .

(١٤) راجع الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ص ٣٥

(١٥) قارن رؤية إسلامية للاستشراق ص ٢٧ وانظر المرجع السابق

والصفحة .

(١٦) رؤية إسلامية للاستشراق المرجع السابق والصفحة .

أما الكتاب الثانى فعن « محمد النبى » وفى هذا الكتاب يزعم أن
 ما كان ينتاب الرسول ﷺ مما يشبه الحمى وما كان يسمعه من صوت
 كمنصلة الجرمين ليس وحيا وإنما هو نوبات من الصرع واضطرابات
 عصبية (بأبى هو وأمى ﷺ أفديه) •

هذه هى حكاية جوستاف اللعين وهذه قصته مع الاسلام
 وائى لأتعجب كيف يسوغ لنفسه أن يمدح حضارة أساسها - كما
 وصف - رجل مصاب بالصرع والحمى والاضطرابات العصبية ؟؟ ان
 هذا هراء فى هراء ؟؟ وفى نظرى أن ما صنع من مدحه للحضارة
 الاسلامية عبارة عن ذر الرماد فى العيون نيدخل بعد هذا المدح المادى
 للحضارة المادية الاسلامية الى ما يريد أن يصل اليه وهو النيل من
 شخص رسول الله ﷺ فداه روحى عليه الصلاة والسلام •

فهى نفس الطريقة التى اتبعها المستشرقون عند حديثهم عن
 الاسلام يمدحون ثم يذمون بعد ذلك ليكون الذم أوقع فى النفس
 وليحظ بالقبل هند القراء هذه هى الطريقة القذرة التى ساروا عليها
 دائما ومازالوا وانخلاصة أن جوستاف لوبون لانه ماذى فلم ينظر فى
 الاسلام الا الى هذا الجانب المادى من هنا مدح الحضارة ولانه
 لا يعرف الروحانية ولم يشم لها رائحة من هنا أتى ذمه لشخص
 الرسول ﷺ •

(١٧) نفس المرجع ص ٢٨ •

(١٨) سورة آل عمران آية رقم ١٩ •

(١٢ - المستشرقون)

« أما بعد »

فقد سرنا سؤيا في هذا الشوط الطويل والذي عرفنا من خلاله النوايا السيئة والمخططات الدنيئة التي يحييها هؤلاء المستشرقون الحاقدون الذين ينتهزون دائما الفرص ويتربصون بنا الدوائر للانقضاض على مقدساتنا التي هي ميراثنا عن نبينا ﷺ بغية ازالة كلمة التوحيد من الأرض لتحل محلها كلمة المثلوث النصراني ورفع راية الصليب الكاذب أو احلال العقيدة الصهيونية الفاشية النازية التي ما أنزل الله بها من سلطان بل هي أقوال الحاخامات من أصحاب الرؤوس المسكرة والتدبير السيء المحكم لخراب العالم عقديا وخلقيا وماديا ، وقد استخدم أهل الكتاب من اليهود والنصارى كل الأساليب واستعملوا كل الوسائل المشروعة وغير المشروعة لتحقيق أهدافهم السيئة ضد الاسلام الحنيف مستغلين في ذلك حسن النوايا عند المسلمين والتسامح الإنساني لديهم كما تعلموه من كتاب الله وسنة نبيهم ﷺ .

وفيما سبق - أي في الفصل السابق - رأينا أنفسنا أمام اتجاهين بل ثلاثة (للمستشرقين) اتجاهات مختلفة فيما يتعلق بالاهداف والمواقف بازاء هذا الدين الحنيف الذي اختاره الله لعباده « ان الدين عند الله الاسلام » (١) .

وقد علمنا فيما سبق أن الاتجاه الأول يعتبر اتجاها متطرفا متعصبا حادقا لا يعتمد على المراجع الحقيقية ولا يهمه ذلك ، كل ما يهمه الدس على الاسلام ومحاولة التشكيك فيه من خلال الخرافات والاساطير التي

انتشرت في فترة سابقة من هذا الزمن (القرون الوسطى) عصر الظلام والجهالة كان وما يزال يسرى له أتباع حملوا الحقد حتى وقتنا هذا اذ لم يتحرروا من هذه الروح السيئة .

أما الاتجاه الثاني فكما رأينا كان نسبيا اذا قارنا بينه وبين أصحاب الاتجاه الاول كان أقرب الى الموضوعية والى الحيدة والنظرة العلمية كما وجدنا غريقا ثالثا ينطبق عليهم القول القائل مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء يمدحون مرة ويذمون أخرى رأيهم مضطرب مشككون متشككون ليس لهم موقف ثابت وأقول ما هو موقف الباحث اذن من ناحية الحكم على هؤلاء المستشرقين ؟؟ هل يذم ؟؟ أم يمدح ؟؟ والواجب على الباحث أن لا يذم باطلاق ولا يمدح باطلاق يذم وقت الحاجة عندما يجد منهم اللؤم قد بدا والخبث قد ظهر وقد رأينا أمثلة لهؤلاء فراجعهم هناك ويمدح كذلك ولا يغمط الناس حقوقهم عندما يتطلب الامر ذلك أى عندما يجدهم معتدلين يسيرون على طريق الصواب خاصة وقد رأينا بالفعل أن بعضهم يسلك طريق الانصاف وقد شاهدنا كذلك أمثلة لهم فمن الاجفاف للحقوق أن نذم على طول الخط ومن الظلم علينا لو أنصفنا على طول الخط كذلك فعل الباحث المثابر الذى يريد الصواب والوصول الى الحق أن ينظر نظرة متأنية فيما قاله هؤلاء وفيما صنعوه فى الاسلام أو قدموه من أفعال وأقوال .

هذا هو رأى الصواب الذى يجب علينا أن نتبعه والله تعالى وحده القادر على أن يهدينا سواء السبيل فهو المستعان وعليه التكلان ومنه التوفيق وبه السداد وبيديه الرشاد والله تعالى أعلى وأعظم .

الخاتمة

أما بعد :

فهذا كتاب أقدمه للقارئ الكريم عليه يثير انتباهه الى التأمل والتفكير في أبعاد هذه الحركة الخبيثة (الاستشراق) فيفطن الى أهداف هؤلاء وما يصبون اليه من غرض دنيء هو هدم دين الله عز وجل ومجاولته طمس نور كتابه احديهم فلعل بعد ذلك يتخذ الموقف المناسب والصحيح ولعلنى اكون قد قدمت للقارئ الكريم الزاد الذى به يتبصر طريقه فان كنت قد وفقت لذلك فهذا توفيق من الله تعالى وان كان قد وقع التقصير فهذا شأن بنى آدم والكمال لله وحده والحمد لله فقد بينت من خلال هذا الكتاب تلك الروح العدائية التى تكمن فى نفوس هؤلاء للاسلام والمسلمين خاصة فى القرون الوسطى المظلمة والتى ما زالت وان كانت قد خفت حدتها بعض الشيء حيث اتفق الجميع فى هذه الروح العدائية التى تريد للاسلام الزوال والولاتباعه الهلاك مستعملين كل الوسائل مستغلين كل الفرص والانكى من ذلك ما تفوهت به هذه الالسن طعنا فى الرسول ﷺ وأصحابه الكرام وتاريخهم المجيد الناصع وكتابهم المجيد القائد اذ انطلقت الاقلام تكتب والصحف تسود بهذه الخزعات وهو ما رأيناه بالتفصيل فى الفصل الأول بأبحاثه المتعددة أما الفصل الثانى فقد رأينا أن قوما من بنى جلدتنا قد تأثروا بالفعل بهذا التيار فأصبحوا يرونه القدوة لهم والسبيل الذى يجب أن يسلكوه وينهاوا منه بل أخذوا يدعون له بكل ما أوتوا من قوة البيان وفصاحة اللسان واقفين ضد الاسلام فكانوا بذلك درعا وسندا لهؤلاء المستشرقين نعم قد رأينا أن البعض منهم عاد الى حظيرة الاسلام واعترف بخطئه ويقف وقفته الجريئة يعلن فيها ذلك وانى لأرجو الله تعالى أن يكون ذلك بحق بعدما

اتضح لهم الصواب في المسألة ورأوا بحق أن الاسلام دين ودولة فاذا كان النبي ﷺ صاحب رسالة سماوية فقد كان كذلك مؤسس الدولة الاسلامية التي تراثت أطرافها غيما بعد شرقا وغربا على يد صحابته الكرام رضوان الله عليهم بحيث غزت العالم القديم وقتذاك (أفريقيا وآسيا وأوروبا) وتهافت الرأي القائل ان على مصر أن تنظر الى المدينيات العربية فتختار من كل أحسنه وأكبر دليل على تهافت هذا الرأي وضعفه أنه ينسى ان مصر بل والعالم العربي الاسلامي له مدنية أصيلة لها سميتها وعلاماتها التي تميزت بها عما سواها من حضارات العالم الاخرى فحاجتنا الملحة هي جعل هذه الحضارة أو المدنية تتلاءم مع العصر الحاضر (١) .

بهذا ينظر قول القائلين أن الاسلام دين فقط فالاسلام منهاج شامل للدين والدنيا للعقيدة والشرعية والحضارة والاخلاق للحياة والدنيا وللآخرة التي هي خير وأبقى فالدعوة الى الاسلام - بطريق العلمانية - كما رأينا النماذج في الفصل الثاني - والبعد عن سياسته الدولة وشؤون العمران هو قطع لاجدى مناقية وتعطيل لاجدى رئيسته وكتمان ببعض بيانات كتابه ينتج من كمال والكتمال الايمان بهذا المذهب الضيف فتحمل أبناء هذا الوطن عبء نشر هذه الدعوة العلمانية بكات مثله واخرها عن وظائف الشطرنج فانه كانت دعوة العرب كطلاح لاصول الكنيسة عندما تولت الحكم فما لنا ولهم الدعوة الغربية فلأدى بكمليتها

(١) راجع دكتور محمد عمارة الاسلام والسياسة الرد على شبهات

العلمانيين ص ٧ من الكلمة التي قيم بها دكتور عبد الرزاق المهنيوري

راجعا دكتور محمد عمارة والسياسة

بماشا لهذا الكتاب .

فى بلادنا المسلمة فالدعوة اليها فى العالم الاسلامى يعتبر دواء فى غير محله ولغير مرضه باعتبار ذلك دعوة الى حل ليست له « مشكلة » فى عالم الاسلام (٢) ؟؟

كما بينا ذلك بالتفصيل فى الفصل الثانى من هنا تأتى أهمية الفصل الثالث حيث وجدنا ورأينا بعض الشخصيات التى ما زالت غيرتها على الاسلام مستمرة ودفاعها عنه مسنميتا وهم من أطلقنا عليهم اسم المناوئين للمستشرقين حيث نقدوا هذا الطريق وبيّنوا عوارة وحكموا عليه بأنه نظام فاشل فى كل جوانبه •

هكذا بدت لنا من خلال البحث فى هذا الفصل (الثالث) تلك البروح القوية المملوءة بالايمان والحيوية المعتمنة بكتاب الله المتوكله عليه المتهدية بهدية الغيورة على دينه ثم كان ختام الكتاب بالفصل الرابع والذى تضمن فيما تضمن من أحكام ونتائج الحكم على الاستشراق من خلال النظرة الموضوعية التى لا تعصب فيها ولا بغضاء بل النظر فى المسائل التى طرحها هؤلاء المستشرقون ثم الحكم عليها من خلال النظرة المحايدة (الموضوعية) البعيدة عن الهوى والميل أو الشهوات والاغراض وقد علمنا أن للمستشرقين ايجابيات وسلبيات لكن الحق نقول - وهو الطريق الذى التزمنا أن نحكم من خلاله - ان السلبيات كانت أكثر وأعظم خطرا من الايجابيات تلك الايجابيات المشبوهة والتى تؤخذ بحذر بعدما رأينا من النيات الخبيثة والمقاصد السيئة اذ ذلك اذ

.....

(٢) المرجع السابق ص ٥ من الكلمة التى قدم بها شيخ الأزهر الشيخ جاد الحق على جاد الحق •

نظرنا الى هذه الايجابيات فمع الاخذ فى الاعتبار تلك النوايا والمقاصد
وهذا ما اتضح بجلاء من خلال استعراضنا لبعض الاشخاص البارزين
فى هذا العلم (الاستشراق) ومن كانت لهم الباع الطويل فى هذا
المضمار •

وبعد فانى اتقدم بالحمد والشكر والثناء الجميل لله تبارك وتعالى
على أن وفق وأعان حتى خرج هذا الكتاب الى النور والحمد لله أولاً
وأخيراً والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وأتباعه
وسلم فبه مسك الختام وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين •

ثبت بمراجع البحث

أولا قرآن وسنة

- ١ — كتاب الله تعالى ، القرآن الكريم
- ٢ — سنن ابن ماجه ، رضى الله عنه
- ٣ — صحيح مسلم بشرح النووي ، رضى الله عنهما
- ٣ — فتح البارى شرح صحيح البخارى ، رضى الله عنهما
- ٥ — تفسير القرطبى ، رضى الله عنه
- ٦ — الاستشراق بين الموضوعية والانفعالية ، قاسم السامرائى
- ٧ — الاستشراق والمستشرقون وجهة نظر ، عدنان وزان
- ٨ — لاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى ، محمود حمدي زقزوق
- ٩ — الاسلام على مفترق الطريق ، محمد أسد
- ١٠ — الاستشراق والتبشير وصلتهما بالامبريالية العالمية ابراهيم خليل أحمد
- ١١ — أسس التقدم عند مفكرى الاسلام فى العصر الحديث ، فهمى جدعان
- ١٢ — الاسلام والحضارة الغربية ، محمد محمد حسين
- ١٣ — الاسلام وأصول الحكم ، على عبد الرازق
- ١٤ — أضواء على الاستشراق والمستشرقين ، محمد أحمد دياب
- ١٥ — أعلام الموقعين ، ابن القيم
- ١٦ — الامام مالك ، محمد أبو زهرة

- ١٧ - الاسلام والسياسة الرد على شبهات العلمانيين ، محمد عمارة
- ١٨ - الاتقان فى علوم القرآن ، التسيوطى
- ١٩ - الأساليب الحديثة فى مواجهة الاسلام ، سعد الدين السيد صالح
- ٢٠ - أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها التبشير الامتشراف الاستعمار
عبد الرحمن حسن خنكة
- ٢١ - الاسلام فى القرن العشرين ، عباس محمود العقاد
- ٢٢ - أضواء على الامتشراف ، محمد عبد الفتاح عليان
- ٢٣ - تاريخ الحضارة الاسلامية والفكر الاسلامى ، أبو زيد شلبى
- ٢٤ - التعريب والمعارف الحضارى ، سليمان الخطيب
- ٢٥ - تهاافت العلمانية ، عماد الدين خليل
- ٢٦ - تخليص الابريز فى تخليص تاريخ ، ضمن الاعمال الكاملة
لنظماوى بتعليق محمد عمارة
- ٢٧ - تاريخ القرآن ، عبد الصبور شاهين
- ٢٨ - تأملات ، لطفى السيد
- ٢٩ - التبشير والاستعمار ، مصطفى خالدى ، عمر فخرى
- ٣٠ - حضارة العرب ، جوستاف لوبون ، مع الترجمة العربية
- ٣١ - حقوق المرأة فى الاسلام ، محمد بن عبد الله عرفة
- ٣٢ - الحركة الفكرية ضد الاسلام ، بركات عبد الفتاح فريد
- ٣٣ - حقيقة الاسلام وأصول الحكم ، محمد عجيل الطيفى
- ٣٤ - الخطب الصهبانى بروثوكولات حكماء صهبان ، الترجمة محمد
خليفة التونسى
- ٣٥ - الدين والحضارة فى الفكر النظماوى ، سليمان الخطيب

- ٣٦ - دور كايم ربييم الثقافة الصهيونية ، بحث بحولية كلية أصول الدين المنوفية عبد المعبود سالم
- ٣٧ - دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين ، محمد الغزالي
- ٣٨ - رؤية اسلامية للاستشراق ، أحمد عبد الحميد غراب
- ٣٩ - رابطة العالم الاسلامي ندوة محاضرات عام ، ١٣٨٨ هـ لمجموعة من العلماء
- ٤٠ - سلامة موسى واشكالية النهضة ، كمال عبد اللطيف
- ٤١ - صور استشراقية ، عبد الجليل عبده شلبي
- ٤٢ - طه حسين رجل فكر وعصر ، أحمد شلبي
- ٤٣ - العربية والعثمانية ، جوزيف مغزل
- ٤٤ - عقل وعقلك ، سلامة موسى
- ٤٥ - الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي محمد البهي
- ٤٦ - الفكر الغربي في عصر النهضة ، البرت حوراني من الترجمة العربية
- ٤٧ - الفكر الفرويدي امتداد للفكر الصهيوني وخادم له ، مقال بحولية كلية أصول الدين شيبين الكوم عبد المعبود سالم
- ٤٨ - فلسفة النشوء والارتقاء ، شبل شميل
- ٤٩ - في الشعر الجاهلي ، طه حسين
- ٥٠ - قوى الشر المتحالفة - الاستشراق التبشيري الاستعمار ، محمد محمد الدهان
- ٥١ - مبادئ نظم الحكم في الاسلامي ، محمد فاروق التبهان

- ٥٢ — المستشرقون ومن تابعهم وموقفهم من ثبات الشريعة وشمولها
دراسة وتطبيقا عابر بن محمد السفينى
- ٥٣ — المستشرقون ، نجيب العقيقى
- ٥٤ — المستشرقون ما لهم وما عليهم ، مصطفى السباعى
- ٥٥ — المستشرقون بين دعاوى التعصب والانصاف ، عبد المعبود سالم
- ٥٦ — مدخل لدراسة الفكر الاسلامى الحديث والمعاصر ، سيد رزق
الحجر
- ٥٧ — الموسوعة الميسرة فى الاديان والمذاهب المعاصرة ، الدورة العلمية
للشباب الاسلامى الرياض سنة ١٩٨٩م
- ٥٨ — المثقفون العرب والغرب ، هشام شرابى
- ٥٩ — المرشد الامين للبنات والبنين ، ضمن المجموعة الكاملة لأعمال
رفاعة الطهطاوى تحقيق محمد عمارة
- ٦٠ — مناهج الألباب المصرية فى مباحج الآداب العصرية ، ضمن
الأعمال الكاملة للطهطاوى
- ٦١ — مفتريات على الاسلام ، محمد أحمد جمال
- ٦٢ — مبادئ الثقافة الاسلامية ، محمد فاروق النبهان
- ٦٣ — الموافقات ، الشاطبى
- ٦٤ — معركة الاسلام وأصول الحكم ، محمد عمارة
- ٦٥ — مجلة الهلال ، عدد أكتوبر ونوفمبر سنة ١٩١١م
- ٦٦ — مستقبل الثقافة فى مصر ، طه حسين
- ٦٧ — المقدمة ، ابن خلدون

- ٦٨ - مجلة العربي عدد نوفمبر سنة ١٩٧٦م ، مقال /لمحمد الدسوقي
- ٦٩ - مختارات ، سلامة موسى
- ٧٠ - ما هي النهضة ؟ ، سلامة موسى
- ٧١ - محاضرات الأدباء الراغب الأصفهاني
- ٧٢ - مجد الاسلام ، حسين مؤنس
- ٧٣ - الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة ، ناصر عبد الله القفاري ،
وناصر عبد الكريم العقل
- ٧٤ - المستشرقون ومشكلات الحضارة ، عفاف صبرة
- ٧٥ - المستشرقون والاسلام ، ابراهيم اللبان
- ٧٦ - الموسوعة الكاملة ، العقاد
- ٧٧ - المخططات الاستعمارية لمكافحة الاسلام ، محمد محمد الصواف
- ٧٨ - نظرة الغرب الى الاسلام في القرون الوسطى ، مياذن من
الترجمة العربية
- ٧٩ - نظام الحكم في الاسلام ، محمد فاروق النبهان
- ٨٠ - نظرية التطور في ضوء الاسلام ، رسالة دكتوراه عبد المعبود
سالم
- ٨١ - اليوم والغد ، سلامة موسى



المقدمة

- ٨ الروح التي سيطرت على الفكر الغربي خلال العصور الوسطى
- ٨ المبحث الأول موقف الغرب من الإسلام في القرون الوسطى
- المبحث الثاني : صورة الإسلام في القرون الوسطى كما رسمها المستشرقون في أوروبا
- المبحث الثالث : بداية الكتابات الاستشراقية في هذه الفترة مع ذكر نماذج منها
- ٢١ نماذج من أقوال المستشرقين
- ٢٧

الفصل الثاني

- ٢٩ المعجبون بالمستشرقين
- ٢٩ المبحث الأول البذور الأولى أو البدايات الأولى لهؤلاء المعجبين
- ٢٩ ١ - أحمد لطفي السيد
- ٣٣ ٢ - فكرة القومية لدى بعض المفكرين المسيحيين
- ٣٦ ٣ - رفاعة الطهطاوي
- ٤٦ ٤ - منصور فهمي
- ٤

المبحث الثاني

- ٤٧ شيوع هذا الفكر وكثرة أنصاره
- ٤٨ ١ - الشيخ علي عبد الرازق
- ٥٨ هل رجع الشيخ عن رأيه

صفحة

- ٦٥ ٢ - شبل شميل
 ٧٢ ٣ - طه حسين
 ٨٥ هل رجع طه حسين عن قوله
 ٩٢ ٤ - سلامة موسى
 ١٠٠ ٥ - مصطفى منـدور

الفصل الثالث

- ١١٢ المناوئون للمستشرقين
 ١١٢ المبحث الأول مدخل لدراسة الفصل
 ١٢٤ شهادة الباحثين الغربيين لعظمة الاسلام
 ١٢٦ باحثات أوربيات يشهدن لعظمة الاسلام
 المبحث الثاني : نماذج من المناوئين المسلمين
 ١٣٠ ١ - دكتور مصطفى السباعي
 ١٣٧ ٢ - الشيخ محمد الغزالي

الفصل الرابع

- ١٤٥ الاتجاه الموضوعي في هذه المشكلة
 ١٤٨ المبحث الأول : ايجابيات المستشرقين
 ١٥٤ المبحث الثاني : الحديث عن منافعهم
 ١٦٢ المبحث الثالث : ذكر بعض المستشرقين المنصفين
 الأستاذ فيني ، الأستاذ ادوارد جييون ، الأستاذ ريتشارد وود ،
 دكتور أوريا فاليري ، ريتشارد سيمون ، بير بارل ، مادريان
 ريلاند منتجو مري وات ، يوهان ج. رايسكة

المهتدين

الصفحة

١٧١	المبحث الرابع : أمثلة لهؤلاء المتعصبين
١٧٣	جيبير النوبختي ، مكسيم رودنسون ، بطرس الموقر
	شخصيات مضطربة في الحكم على الاسلام ، توماس كارليه ،
١٧٤	جوستاف لوبون
١٧٨	أما بعد
١٨٠	الخاتمة
١٨٩	الفهرست
١٨٤	المراجع